



الجامعة الأمريكية المفتوحة  
كلية الدراسات الإسلامية والعربية

فقرات الخبير



حقوق الطبع محفوظة

## لدار الأندلس الخضراء

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

المملكة العربية السعودية - جدة

الإدارة: صرب : ٤٢٣٤٠ جدة ٢١٥٤١ هاتف : ٦٨١٠٥٧٧ - فاكس : ٦٨١٠٥٧٨

المكتبات : حي السلامة - خلف مسجد الشعبي هاتف - فاكس : ٦٨٢٤٢٠٩

حي لثقر - شارع باخشب - هاتف: ٦٨١٥٠٢٧ - فاكس: ٦٨١٠٥٧٨

مكتب الرياض: هاتف / فاكس : ٢٤٣٤٩٣٠

الموقع: [www.alandalos.com](http://www.alandalos.com)

البريد الإلكتروني: [info@alandalos.com](mailto:info@alandalos.com)

الجامعة الأمريكية المفتوحة

مؤسسة تعليمية  
مستقلة غير ربحية

Web Location:  
[www.aou.edu.com](http://www.aou.edu.com)

King Street  
Alexandria, VA  
U.S.A

مكتب الجامعة بالقاهرة  
Email: [Info@aou.edu.com](mailto:Info@aou.edu.com)

هاتف: ٤١١٥٢٧٦

فاكس: ٤١١٥٢٦٠

مركز البحوث وإعداد  
المناهج بالجامعة

٢٠ فر عبد العزيز عيسى المنطقة  
التاسعة - مدينة نصر - القاهرة.

تليفاكس: ٠٢٠٢٦٧٠٩٢٦٩

حقوق الطبع © ١٤٢٥هـ. لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بشكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام رقمي أو إلكتروني يُمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن من دار الأندلس الخضراء.

## لجنة إعداد وتطوير المناهج بالجامعة

مكّب القاهرة - مكّب جدة



شامرك في إعداد مادة هذا الكتاب:

أ.د / عبد الحميد أبو سكين.

الأستاذ المتفرغ بكلية اللغة العربية

جامعة الأزهر بالقاهرة

إشراف ومتابعة

د/ محمد يسري إبراهيم

رئيس مركز البحوث وإعداد المناهج بالقاهرة

# بسم الله الرحمن الرحيم

## رسالة إلى الدارس

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفبه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

الإخوة والأخوات طلبة وطالبات الجامعة الأمريكية المفتوحة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.....وبعد:

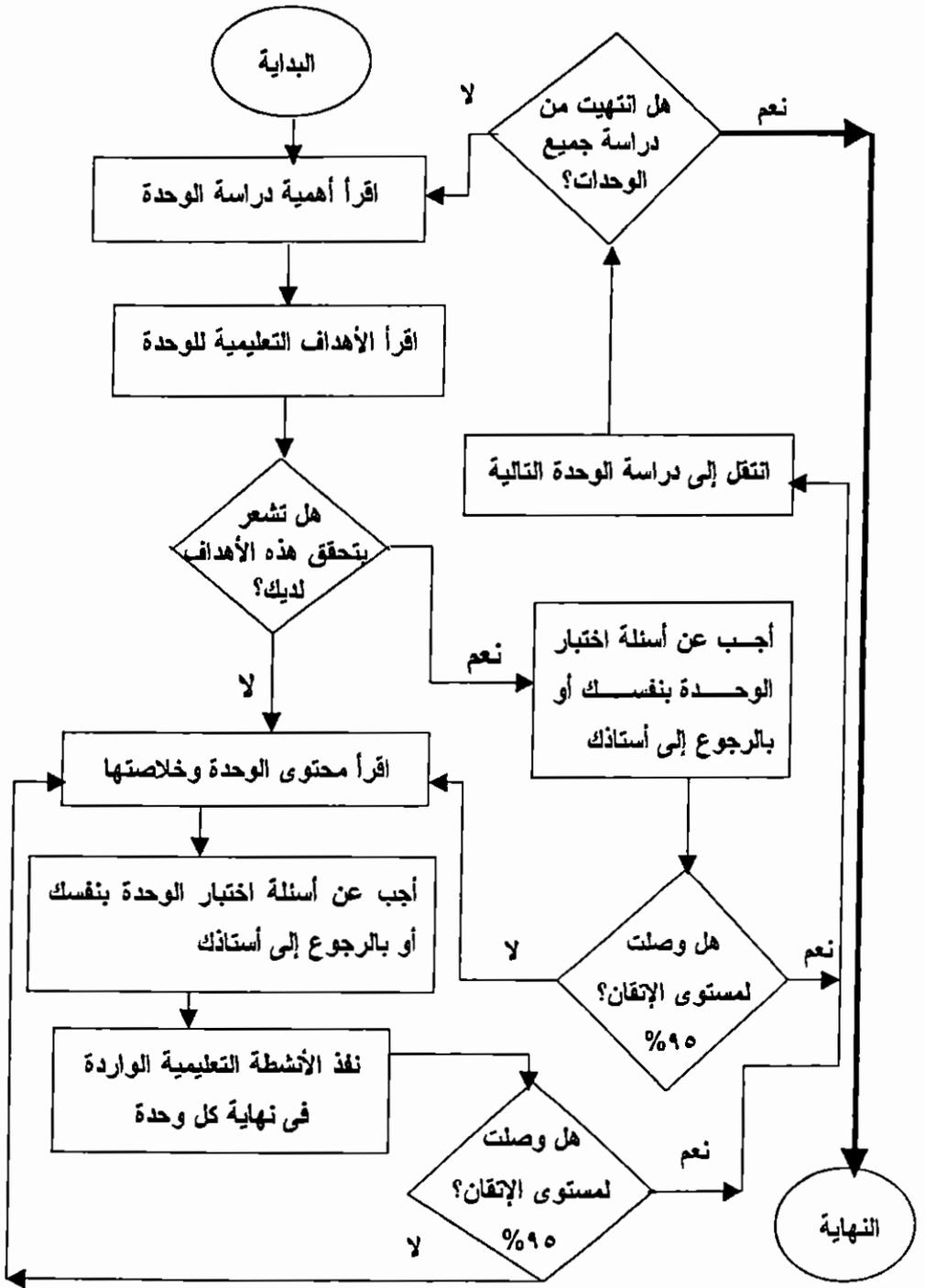
فمرحباً بكم على طريق التفقه في الدين، وأهلاً بكم أوفياء لدينكم في زمن الغربة الثانية للإسلام، ونزف إليكم بشرى إمام الأنبياء والمرسلين ﷺ أن: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"<sup>(١)</sup>، وأن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يفعل، وأن من سلك طريقاً يتبغي فيه علماً يسر الله له به طريقاً إلى الجنة.

عزيزي الدارس...عزيزي الدارسة: يطيب لنا أن نلتقي بكم مجددًا في مرحلة البكالوريوس مع مقرر **فقه اللغة**. وقد تم إعداد هذه المادة وتنظيمها في صورة وحدات تضم فصولاً، تحتوي كل وحدة على عناصر أساسية هي: (مبررات دراسة الوحدة - الأهداف التعليمية - الرسومات الخطية - اختبار الوحدة- الأنشطة التعليمية).

وإننا لنوصي إخواننا وأخواتنا - طلبة الجامعة - بأن يسيروا في دراسة هذا المقرر وفقاً لنظام تصميم الوحدات الذي أعد به هذا الكتاب وذلك حتى يتحقق أكبر قدر من الاستيعاب والفائدة، والله -تعالى- هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، حديث رقم: ٦٩، ومسلم، كتاب

الزكاة، باب: لنهي عن المسألة، حديث رقم: ١٧٢١.





## الجزء الأول: فقه اللغة

فقه اللغة ومستويات التحليل اللغوي واللغة.

الوحدة الأولى

حياة اللغة، الفصائل اللغوية اللغات السامية، الأبجدية العربية.

الوحدة الثانية

## الجزء الثاني: الأصوات

فقه اللغة والأصوات، ظاهرة الصوت.

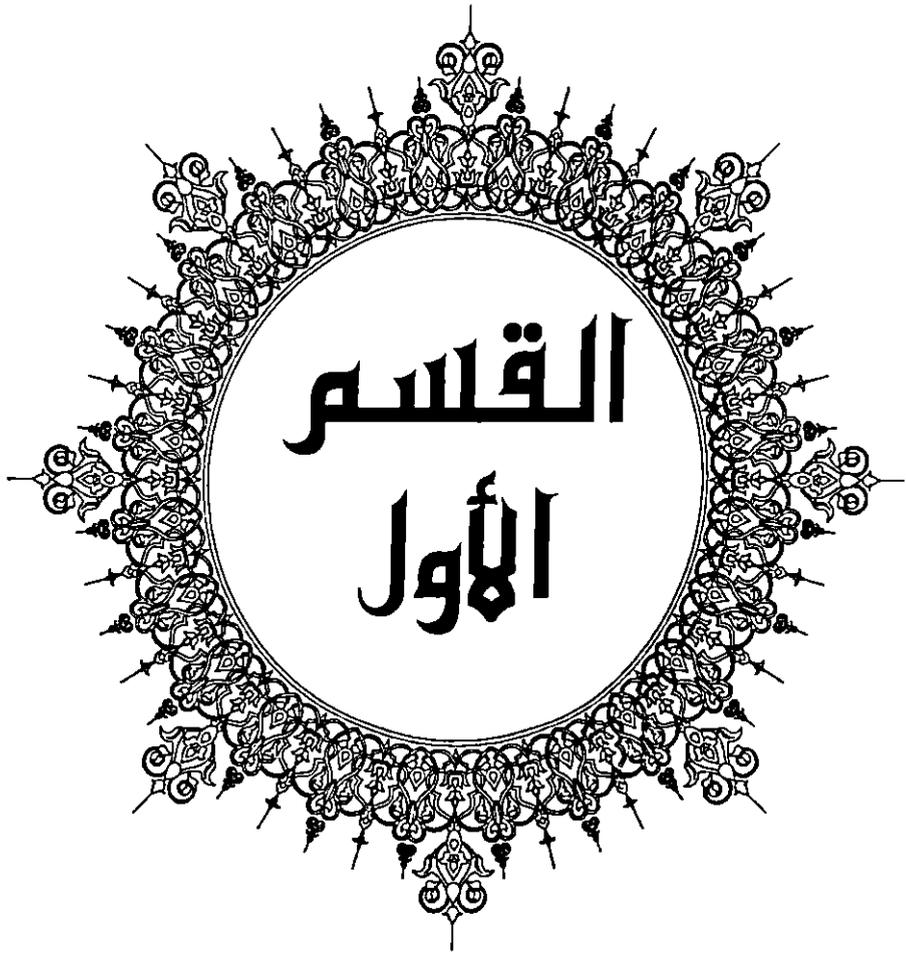
الوحدة الأولى

تصنيف الأصوات اللغوية وصفاتها.

الوحدة الثانية

المقاطع الصوتية، النبر، من أحكام التجويد.

الوحدة الثالثة





## الوحدة الأولى

### فقه اللغة ومستويات التحليل اللغوي

مبررات دراسة الوحدة:

عزيزي الدارس: هذه هي الوحدة الأولى من وحدات مقرر "فقه اللغة" وفيها - إن شاء الله - سوف تتعلم الكثير عن موضوعات فقه اللغة وستقف على حقيقة تسمية هذا العلم بهذا الاسم، وهل هناك فرق بين علم اللغة وفقه اللغة؟ أم هما مترادفان؟ كما سوف تعرض لك الوحدة الكثير عن أصل اللغة الإنسانية ونشأتها، ودراسة اللغة من حيث المعنى، ومن حيث الأصوات التي تتركب منها الألفاظ، والأصول التي جاءت منها الكلمات، وكذلك ستعرض الوحدة لبعض العلوم اللغوية الحديثة كعلم النظر (السنسكريت)، وعلم الأساليب (الستيسلتيك)، وبعض البحوث الاجتماعية والنفسية.

كما تعرض الوحدة لمقاصد هذا العلم (فقه اللغة) ولمناهج البحث المتعددة في هذا العلم ومنها: منهج الملاحظة والمنهج الوصفي والمنهج التجريبي والمنهج التاريخي والمنهج الآلي، والمنهج المعياري، والمنهج المقارن.

وسوف نعرف من خلال دراستنا لهذه الوحدة مستويات التحليل اللغوي: وهي المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي.

وتحتم الوحدة حديثها عن معنى اللغة عند علماء النفس والاجتماع والفلاسفة والمناطق، وتعرض للنظريات المختلفة عن نشأة اللغة الإنسانية، كنظرية التوقيف، ونظرية المحاكاة، ونظرية المواضع، ونظرية الغريزة الكلامية، والنظرية الحديثة في نشأة اللغة.

هذا وغيره -عزيزي الدارس- ما سوف تتعلمه من خلال دراستك لهذه الوحدة؛

لذا عليك بمذاكرتها بكل الجِدِّ والاجتهاد، والله معك، يهديك إلى سواء السبيل.

الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

- ١- تذكر التعريف الدقيق لفقہ اللغة، وأسباب دقته.
- ٢- تقف على آراء العلماء في علاقة فقه اللغة بعلم اللغة، وتبين الراجح والمرجوح منها مع التعليل لكل منهما.
- ٣- تحدد الفرق بين مفهوم فقه اللغة عند سلفنا العظام وعند المحدثين.
- ٤- تفهم المصطلحات القديمة والحديثة فهماً صحيحاً يستوعب جزئيات وکليات المصطلح عليه، ويستبعد ما سواهما.
- ٥- تقف على الفروق الدقيقة بين المصطلحات الآتية:
  - أ- علم التجويد، علم الأصوات، ألفوناتيکس.
  - ب- علم الأصوات التنظيمي، علم وظائف الأصوات، الفنولوجي.
  - ج- علم الأصوات الوصفي، علم الأصوات التاريخي، علم الأصوات المقارن، علم الأصوات العام.
  - د- الفنولوجيا الوصفية، الفنولوجيا التاريخية، الفنولوجيا المقارنة، الفنولوجيا العامة.
- ٦- تدرك العلاقة بين دراسة الفوناتيک والفنولوجيا في صورهما المختلفة.
- ٧- تقف على المباحث الحقيقية لعلم الدلالة، والفرق بينها وبين مباحث المعجم.
- ٨- تحدد السديد من آراء العلماء في مباحث علم الدلالة، والمعجم.
- ٩- تدرك العلاقة بين علم النحو العربي وعلم النظم والفرق بينهما.
- ١٠- تدرك العلاقة الدقيقة والفروق الجوهرية بين "علم الأساليب الوصفي"، "علم الأساليب التاريخي"، "علم الأساليب المقارن"، "علم الأساليب العام".

- ١١- تقف على وجه الاتفاق والاختلاف بين "علم الأساليب" بمختلف صورته في الدراسات الغربية وبين البلاغة العربية بعلومها المختلفة.
- ١٢- تكشف عن علاقة اللغة بالمجتمع، وعلاقة المجتمع بها وأثره فيها، وتتعرف على ما قدمه الدرس اللغوي لقدامى اللغويين في هذه المسألة.
- ١٣- تدرك العلاقة القائمة بين الظاهرة اللغوية ونفسية المتحدثين بها، وتقف على ما قدمته الدراسات اللغوية على امتداد الأزمنة وتعاقب السنين في هذا السبيل.
- ١٤- تستنتج مقاصد "فقه اللغة" في دراسات القدامى والمحدثين.
- ١٥- تعرف كل جديد في دراسات "فقه اللغة" للمحدثين وبيان ما يصلح منها للغتنا وما لا يصلح.
- ١٦- تذكر مناهج البحث التي يشترك فيها "فقه اللغة" والعلوم الأخرى والمناهج المقصورة عليه.
- ١٧- توازن موازنة موضوعية بين مناهج البحث في "فقه اللغة".
- ١٨- تعرف بالمراد بمستويات التحليل اللغوي.
- ١٩- تحدد المعنى المقصود بالتحليل الصوتي.
- ٢٠- تمتلك القدرة على تحليل النصوص صوتياً.
- ٢١- تشرح معنى التحليل الصرفي.
- ٢٢- تفرق بين الصوائت والصوامت.
- ٢٣- توضح المعنى المقصود من أصوات اللين.
- ٢٤- تفرق بين أنواع أصوات اللين.

- ٢٥- تعرف بالمقصود بالتحليل النحوي (التركيبى).
- ٢٦- توضح المراد بالتحليل الدلالي (العلاقات بين معاني الكلمات).
- ٢٧- تعرف بالمراد بفكرة "المقام".
- ٢٨- تعرف اللغة من الناحية الاشتقاقية والاصطلاحية.
- ٢٩- توضح كيف نشأت اللغة؟
- ٣٠- توضح معنى اللغة من وجهة نظر علماء النفس.
- ٣١- تشرح معنى اللغة من وجهة نظر علماء الاجتماع.
- ٣٢- تشرح معنى اللغة من وجهة نظر علماء المنطق.
- ٣٣- تشرح معنى اللغة من وجهة نظر علماء الفلاسفة.
- ٣٤- تعدد النظريات التي تكلمت عن نشأة اللغة.
- ٣٥- تشرح المقصود بنظرية التوقيف.
- ٣٦- تشرح المقصود بنظرية المحاكاة.
- ٣٧- توضح المعنى المراد بنظرية المواضع.
- ٣٨- توضح المعنى المراد بنظرية الغريزة الكلامية.
- ٣٩- تتحدث عن النظرية الحديثة في نشأة اللغة.

### الفصل الأول: بين فقه اللغة وعلم اللغة:

- مباحث فقه اللغة:

- ١- الكلام على أصل اللغة الإنسانية.
- ٢- حياة اللغة وما طرأ عليها.
- ٣- دراسة الأصوات التي تكون الألفاظ اللغوية.
- ٤- دراسة اللغة من حيث المعنى.
- ٥- علم النظر (الستكس).
- ٦- علم الأساليب (الستيلتيك).
- ٧- البحث في الأصول التي جاءت منها الكلمات.
- ٨- بحوث اجتماعية.
- ٩- بحوث نفسية.

- مقاصد فقه اللغة:

- مناهج البحث في فقه اللغة:

- ١- منهج الملاحظة.
- ٢- المنهج الوصفي.
- ٣- المنهج المعياري.
- ٤- المنهج التاريخي.
- ٥- المنهج الآلي.
- ٦- المنهج التجريبي.
- ٧- المنهج المقارن.

### الفصل الثاني: مستويات التحليل اللغوي:

- ١- التحليل الصوتي.
- ٢- التحليل الصرفي (البنائي).
- ٣- التحليل النحوي (التركيبي).
- ٤- التحليل الدلالي (العلاقات بين معاني الكلمات).

### الفصل الثالث: اللغة، معناها، ونشأتها:

- معنى اللغة من الناحية الاشتقاقية والاصطلاحية:  
(عند علماء النفس، والاجتماع، والمنطق، والفلسفة)
- نشأة اللغة عند الإنسان:
- ١- نظرية التوقيف.
  - ٢- نظرية المحاكاة.
  - ٣- نظرية المواضع.
  - ٤- نظرية الغريزة الكلامية.
  - ٥- النظرية الحديثة في نشأة اللغة.

## الفصل الأول: بين فقه اللغة وعلم اللغة

يجدرُ بنا أن نقف على حقيقة هذه التسمية، وهذا المصطلح: (فقه اللغة) وهل هو فقه اللغة، أو علم اللغة؟

والدافع لهذا التساؤل أننا نجد أنفسنا بين عدد كبير من الكتب اللغوية الحديثة تحمل أحد هذين المصطلحين، فهذا فقه اللغة، وذلك علم اللغة مما يوقع الباحث الناشئ في حيرة، ودهشة.

والباحثون منقسمون بين هذه التسمية، وتلك.

فلقد ذهب بعضهم إلى القول بأنه يصعب تحديد الفروق الدقيقة بين مصطلح فقه اللغة ومصطلح علم اللغة؛ لأن أغلب مباحثهما متداخلة لدى طائفة كبيرة من علماء الشرق، والغرب، قديماً، وحديثاً.

ولقد أدى هذا التداخل إلى إطلاق كل من هذين المصطلحين على الآخر. وذهب فريق آخر إلى القول بأن علم اللغة أعم، وفقه اللغة أخص، بمعنى أن فروع اللغة داخلية ضمن فروع علم اللغة، والذي يشمل هذه الفروع ويزيد عليها. ونرى أن مصطلح: "فقه اللغة" يرادف مصطلح: "علم اللغة"؛ لأنه من الصعب تحديد الفروق الدقيقة بينهما، كما ذهب أصحاب الرأي الأول.

وهذا في نظري أقرب إلى الصواب، حتى لا يقع الباحث في حيرة من الأمر. ومما تجدر الإشارة إليه أن من أصحاب مصطلح: "علم اللغة" المرحوم الدكتور محمود السعران فهو يُصر على عدم إطلاق مصطلح: "فقه اللغة"؛ لأنه أطلق في القدم والحديث على مباحث ليست من "علم اللغة" الحديث في شيء. وأمّا أصحاب "فقه اللغة" فيرون أن مصطلحهم أحسن، وأصح؛ لأن هذا المصطلح شاع عند العرب حين ألفوا في الموضوعات التي تدخل تحت هذه

التسمية، ولأن كل علم لشيء فهو فقه له، فما أجدر هذه الدراسات جميعاً أن تسمى فقهاً<sup>(١)</sup>.

والرأي الذي نذهب إليه: هو أن يبين هذين المصطلحين ترادفاً، وقد ذهب إلى ذلك بعض العلماء وعلى رأسهم الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه علم اللغة، وفقه اللغة، وخصص الأول لدراسة اللغة عامة، والثاني لدراسة اللغة العربية وحدها، كما قال بهذا الرأي أيضاً الأستاذ محمد المبارك في كتابه "فقه اللغة، وخصائص العربية"<sup>(٢)</sup>.

إذن فما مصطلح "فقه اللغة"؟

الفقه لغة: الفهم، قال أعرابي لعيسى بن عمر: شهدتُ عليك بالفقه، أي بالفهم والفتنة. وفي الحديث النبوي الشريف: "مَنْ يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"<sup>(٣)</sup>.  
ففقهِ اللغة يعني فهم اللغة، والفتنة إلى أسرارها، والعلم بظواهرها اللغوية المختلفة، ولم يكن هذا المصطلح -أي: مصطلح: "فقه اللغة"- معروفاً لدى الدارسين العرب عند نشأة الدراسات اللغوية، مع أنهم قد عاجلوا الكثير من جوانبه المهمة، والتي تعدّ من أهم موضوعاته، ووضعوا في هذا الشأن رسائلهم، وكتبهم، ومصنفاًهم، نذكر منها كتب الغريب: غريب القرآن الكريم، وكتب غريب الحديث، وغريب اللغة، وكتب لغات القرآن الكريم، ولغات القبائل، ولحن العامة، وكتب الأمثال، وكتب الأصوات: الهمز، والحروف، الوقف والابتداء، وكتب الحيوان: الحشرات، والطيور، والإبل والغنم، والخيل، والوحوش. وظل مصطلح: "فقه اللغة" بعيداً عن أذهان العلماء على الرغم من تطوّر

(١) دراسات في فقه اللغة د. صبحي الصالح (ص ٤-٥)، ط دار الفكر.

(٢) نفسه (ص ١٤) وما بعدها.

(٣) أخرجه الشيخان وأحمد عن معاوية.

دراستهم اللغوية، وتعدد جوانبها، واختلافها، وتشعبها، وعلى الرغم من إفراد بعض المصنفات في "فقه اللغة" فهذا هو ابن جني ٣٩٢هـ يصنف كتابه "الخصائص" ويعالج فيه من المسائل ولقضايا، والظواهر اللغوية التي تعدّ من عيون "فقه اللغة" كقضية أصل اللغة والاطراد والشذوذ، ومقاييس العربية، ومعاني الألفاظ في اللغة، وتعليل الظواهر اللغوية، والقياس في كلام العرب، وتركب اللغات، واختلاف اللهجات، والاشتقاق، والاشتراك، والتضاد، والترادف وإمساس الألفاظ أشباه المعاني، وقوة اللفظ لقوة المعنى، وما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب، وغير ذلك.

ومعاصره ابن فارس ٣٩٥هـ يضع عبارة فقه اللغة عنواناً لأحد كتبه "الصاحبي في فقه اللغة"، ويضمّن هذا المصنّف كثيراً من البحوث التي تدخل تحت مصطلح "فقه اللغة" كبثته في نشأة اللغة، وخصائص اللسان العربي، واختلاف لغات العرب، ولغات العامة من العرب، والقياس والاشتقاق في العربية، وآثار الإسلام في اللغة، والترادف، وحروف هجاء العربية، وحروف المعنى، والتضاد والمجاز والنحت، وغير ذلك، وهذا يعد أول كتاب يحمل كلمة "فقه اللغة" وإذا قارنا بين ابن جني وابن فارس ظهر لنا جلياً أن ابن جني كان في كتاب "الخصائص"، وكذا كتابه "سر صناعة الإعراب" كان أعمق بحثاً، وأوسع مادة، وأنضح منهجاً من ابن فارس في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة" مع أن الكتابين لا يحملان في عنواهما فقه اللغة كما رأينا، وفي القرن الخامس الهجري نجد الثعالبي ٤٢٩هـ يؤلف كتابه "فقه اللغة"، وهو إلى المعاجم ألصق، ولا يوجد فيه سوى بضع عشرة صفحة من الباب التاسع والعشرين "سر العربية" وبعض المباحث الأخرى المتفرقة كألفاظ المشترك، والتضادّ تدخل تحت "فقه اللغة".

ثم كان ابن سيده ٤٥٨هـ في كتابه "المخصص" ويقع في سبعة عشر جزءاً يتكلم عن نشأة اللغة، والتضاد، والترادف، والاشتراك، والاشتقاق، والتعريب والمجاز وغير ذلك من قضايا ومسائل "فقه اللغة"، ولكنه لا يحمل في عنوانه هذا المصطلح أو يشير إليه في مؤلفه هذا، ثم كان الجواليقي ٥٤٠هـ صاحب كتابه "المعرب" وهو من صميم موضوعات "فقه اللغة".

وفي أواخر القرن التاسع، وأوائل القرن العاشر نجد جلال الدين السيوطي ٩١١هـ يؤلف كتابه الجامع الشامل لسائر الظواهر والقضايا اللغوية التي تدخل تحت مصطلح "فقه اللغة" ولكنه أيضاً لا يضع عنوانه تحت هذا المصطلح، ونعني به (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) والذي تضمن أهم الموضوعات التي تدخل تحت مصطلح "فقه اللغة"، منها على سبيل المثال لا الحصر: الكلام على نشأة اللغات، والمصنوع والفصيح، والحوشي والغريب، والمستعمل والمهمل وتوافق اللغات وتداخلها، والمعرب والمولد، وخصائص اللغة، والاشتقاق والمشارك والترادف، والتضاد، والحقيقة والمجاز، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والإبدال والقلب، والنحت... وغير ذلك.

وفي القرن الحادي عشر الهجري نجد شهاب الدين الخفاجي ١٠٦١هـ يؤلف كتابه (شفاء الغليل فيما ورد في كلام العرب من الدخيل)، وهو من موضوعات "فقه اللغة" ثم كان أحمد فارس الشدياق في القرن الثالث عشر الهجري يؤلف كتابه "سر الليال في القلب والإبدال".

مما سبق يتبين لنا أن مصطلح: "فقه اللغة" لم يظهر قديماً إلا عند ابن فارس والثعالبي، ثم اختفى حتى كان عصرنا الحديث، ومن هذا وجدنا هذا الخلاف بين الباحثين في العصر الحديث ما بين مؤيد لمصطلح "فقه اللغة" وآخر لمصطلح "علم اللغة"، وبين مخصص المصطلح الأول للغة العربية، والآخر لمصطلح علم اللغات،

وعند علماء الغرب يطلقون مصطلح "علم اللغة" على ما يعرف بفقهاء اللغة عندما يدرسون ظواهرها وقضايا اللغة العربية<sup>(١)</sup> مما يؤيدنا في رأينا أن مصطلح "فقه اللغة"، ومصطلح "علم اللغة" بينهما ترادف.

إذن فما هو "فقه اللغة"؟

"هو منهج للبحث استقرائي ووصفي، يعرف به أصل اللغة التي يراد درسها، وموطنها الأول، وفصيلتها، وعلاقتها باللغات المجاورة أو البعيدة الشقيقة، أو الأجنبية، وخصائصها وعيوبها، ولهجاتها، وأصواتها، وتطور دلالتها ومدى نمائها قراءة وكتابة"<sup>(٢)</sup>.

مباحث فقه اللغة:

تتألف اللغة من عناصر مختلفة، وأغراض دراستها متنوعة؛ لهذا وجدنا أن مباحث فقه اللغة كثيرة، ومتعددة، وترجع أهم هذه المباحث إلى الموضوعات التالية:

**المبحث الأول: الكلام على أصل اللغة الإنسانية الأولى: كيف نشأت؟**  
أبْطَرِيقِ التوقيف والإلهام، أم بطريق المواضع والاصطلاح، أم بطريق المحاكاة والتقليد، أم بغير ذلك مما ستحدث عنه فيما بعد بالتفصيل - إن شاء الله تعالى؟ ويشمل هذا المبحث أيضاً القول بأن بعض اللغات أفضل أو أفصح أو أغنى من بعض، وغير ذلك من الأمور التي تعالج اللغة في أدوار نشأتها الأولى، وهي أمور فلسفية؛ لأنها تعتمد على التخمين ولظن فهي مسائل غيبية أو ظنية.

حتى إن جُلَّ الباحثين اللغويين من المحدثين أسقطوها من الحساب نهائياً، ولم يُعيروها أيَّ اهتمام أو التفات، حتى إن الجمعية اللغوية بباريس قررت عدم

(١) فقه اللغة وخصائص العربية: (ص ٣٩).

(٢) دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح: (ص ٦).

مناقشة أيِّ بحث لها في هذا الموضوع<sup>(١)</sup>.

**المبحث الثاني:** ويتعلق بحياة اللغة، وما طرأ عليها: من غنى وفقر، أو سعة وضيق أو عظمة وضعة، وتفرعها إلى لهجات، وأسباب هذا التفرع والتنوع. والمستويات اللغوية: لغة مشتركة أو فصحي وعامية، والصواب والخطأ في اللغة، والبيئة اللغوية ومصادر المادة، وما يتعلق بها من حيث الزمان والمكان.

إلا أن أهم فرع في هذا المبحث تفرع اللغة العربية إلى لهجات، أو ما يسمى بعلم اللهجات "الديالكتولوجي"، وهو الذي يبحث تفرع اللغة إلى لهجاتها المختلفة، وعوامل هذا التفرع، وعلاقة الفرع بالأصل، وكيف يمكن توحد اللهجات في لغة واحدة مشتركة أو عامة، وهل يمكن ذلك أو لا؟ وغير ذلك.

**المبحث الثالث:** دراسة الأصوات التي تكوّن الألفاظ اللغوية: ويسميه

المحدثون من العرب باسم "علم الأصوات" وكان القدماء يطلقون عليه "علم التجويد".

وهذا المبحث يدرس أصوات اللغة من زوايا عديدة، فيعرض لها من ناحية النطق وما يرتبط بذلك من سمات صوتية دون النظر إلى وظائفها أو قيمتها اللغوية في الكلمات التي تتألف منها، وهذا ما يسمى بالخواص العامة للأصوات دون التعرض لميزاتها الخاصة التي ترتبط بمعانيها في اللغة اللفظية، وهو ما يعرف بالفوناتيكتس.

أما إذا كانت الدراسة للأصوات من ناحية قيمها، ووظائفها في اللغة المعينة فيطلق عليها علم الأصوات التنظيمي أو علم وظائف الأصوات، وهو ما يسمى بالفنولوجي ويجدر أن نشير إلى فروع القسم الأول الفوناتيكتس.

أ- إذا كانت الدراسة الصوتية في لغة ما من اللغات الغرض منها بيان الحقائق الصوتية موجهة المخارج والصفات، وكيفية النطق، وأثر بعضها في

(١) قضايا لغوية، دكتور كمال بشر: (ص ١١٢).

بعض، وما يعرض لها من تبدُّلات، ثم دراسة أعضاء النطق المختلفة، فكل هذا يسمَّى بعلم الأصوات الوصفي.

ب- وإذا كانت الدراسة الصوتية في لغة ما في فترة طويلة من الزمان، وكان الغرض منها تتبُّع الأصوات لغرض الوقوف على ما أصاب هذه الأصوات من تطوُّر وتبدُّل، ومعرفة القوانين التي خضعت لها في هذا التطوُّر فيسمى هذا النوع "علم الأصوات التاريخي".

ج- وأما إذا كانت الدراسة خاصة بلغتين لمقارنة أصواتهما، وكشف وجوه الشبه والاتفاق أو أوجه الخلاف بينهما سمي "علم الأصوات المقارن".

د- وإذا كانت الدراسة الصوتية عامة لكل اللغات لغرض الوقوف على حقيقة الأصوات اللغوية، وما يتحكم فيها من قوانين عامة تخضع لها في تطورها وتغيرها فتسمى هذه الدراسة الصوتية "علم الأصوات العام".

وكما تفرع هذا القسم إلى هذه الفروع فكذلك القسم الثاني، وهو الفنولوجي يتفرع إلى أربعة فروع أو أربعة مباحث، هي:

أ- الفنولوجيا الوصفية. ب- الفنولوجيا التاريخية.

ج- الفنولوجيا المقارنة. د- الفنولوجيا العامة.

ومما تجدر لإشارة إليه أن مباحث الفوناتيک، والفنولوجيا متداخلة تداخلاً شديداً بحيث يصعب على المرء في بعض الأحيان الفصل بينهما أو التمييز بين بعضهما مما جعلنا نُعَنِّونَ لها بالدراسة، على حين ذهب بعض الباحثين إلى القول بأن الفوناتيک فرع والفنولوجيا فرع آخر، ولكن بينهما علاقة قوية، وربطة وثيقة.

**المبحث الرابع: دراسة اللغة من حيث المعنى:** وهو ما يسمى بعلم المعنى السيماتيك، ويطلق عليه عندنا في علم اللغة العربية علم الدلالة، ومهمة هذا العلم البحث في المعاني ومشكلاتها، والعلاقة بين الكلمة والمعنى، وتبدل المعنى،

وطرقه، وقوانينه وأسبابه، وحياة الكلمات، والمراحل التي تمر بها من: ولادة، ونشأة، وشباب، وشيخوخة، وموت، غير أن بعض الباحثين يحدد مهمة هذا العلم بالبحث في معاني الألفاظ المفردة على مستوى المعاجم، وبعضهم الآخر يوسع دائرة اختصاص هذا العلم، بحيث يتناول النظر في معاني المفردات، والجمل، والعبارات جميعاً دون تفریق، وهناك فريق ثالث يرى أن علم المعنى فرع له وظيفة خاصة، وهى البحث في المعنى حقيقة لكن على أساس أن ما يوضحه في هذا الشأن إنما هو جزء واحد من المعنى الكلي.

فعلم المعنى عند هذا الفريق هو جزء من كل أي جزء من فقه اللغة بخلاف الفريقين الأولين.

#### المبحث الخامس: علم النظر "الستكس":

وأغلب مباحث هذا العلم شبيهة بعلم النحو المعروف لنا، فهو مهتم ببناء الجملة والأشكال التي تأخذها العبارة في اللغة، ويبحث أيضاً في أشكال الجمل من شرطية وخبرية، واستفهامية وموجبة، ومنفية، وتعجبية... إلخ. وينقسم هذا العلم إلى أربعة أقسام: وصفي، وتاريخي، ومقارن، وعمّ، كما مر بنا في الفوناتيک.

#### المبحث السادس: علم الأساليب "الستيسلتیک":

وهذا العلم يبحث في أساليب اللغة واختلافها باختلاف فنونها من شعر، ونثر، وخطابة، ومحادثة وكتابة، ومسرح، وقصة، ومناظرة... إلخ، واختلاف ذلك باختلاف العصور، والأمم الناطقة بها، والمسالك التي تتبعها في تطورها، والعوامل التي تؤثر فيها، والقوانين الخاضعة لها.

وينقسم هذا العلم إلى أربعة أقسام:

أ- دراسة وصفية. ب- دراسة تاريخية.

ج- دراسة مقارنة. د- دراسة عامة.

وإذا كانت الدراسة في لغة ما متشعبة الأساليب المختلفة في فترة طويلة من الزمان، وكان الغرض من ذلك ما أصاب هذه الأساليب من تطور، وتغير، والكشف عن القوانين التي خضعت لها في تطورها وتغيرها كانت هذه الدراسة تاريخية، وأمّا إذا كانت في لغتين أو أكثر بحيث تتناول مختلف الأساليب في كل، وكان الغرض من ذلك الوقوف على ما بين اللسانين من وجوه الشبه والاتفاق في الأساليب والكشف عما بينها من صلات كانت الدراسة مقارنة.

وإذا كانت الدراسة عامة في كل اللغات، وكان الغرض منها الوقوف على ما بين اللسانين من وجوه الشبه والاتفاق في الأساليب، والكشف عما بينهما من صلات كانت الدراسة مقارنة.

وإذا كانت الدراسة عامة في كل اللغات، وكان الغرض منها الوقوف على حقيقة الأساليب المختلفة والكشف عن القوانين العامة كانت الدراسة عامة.

المبحث السابع: البحث في الأصول التي جاءت منها الكلمات: في لغة من اللغات، ويطلق على هذا المبحث "الإيتيمولوجيا" أي البحث في الأصول، وهذا البحث يتناول أموراً جزئية، فهو يبحث عن الأصول التي جاءت منها الكلمات في كل لغة على حدة، وليس الغرض من وراء هذه الدراسة الكشف عن القوانين العامة.

ومن أهم شعب هذا البحث: البحث في أصول الأعلام بجميع أقسامها سواء أكانت شخصية أم أعلاماً لقبائل وعشائر، أم لجبال وأهوار وأمصار... إلخ وهو ما يسمى بـ "الأوتوماستيك".

المبحث الثامن: بحوث اجتماعية:

ويشمل أيضاً "فقه اللغة" ضمن مباحثة البحوث الاجتماعية، والتي تهدف إلى بيان العلاقة بين اللغة والمجتمع في اللغة بما يشمل من حضارة، ونظم، وبيئة جغرافية، ومناخية، فالمجتمع الزراعي غير المجتمع الصناعي، والمجتمع الذي يعيش على السواحل غير المجتمع الذي يعيش في الصحراء فلكل نظام وتقاليد وعادات، تؤثر تأثيراً مختلفاً في مختلف الظواهر اللغوية.

ولذلك أنشأ علماء الاجتماع ما أسموه "علم الاجتماع اللغوي".

وكما عني فقه اللغة الحديث بعلاقة اللغة ومختلف مظاهر حياة المجتمع عني علماء العربية بهذه العلاقة، فقد كان لهم نصيب وافر من التعرض لمثل هذه الدراسات، فتكلموا على أثر التركيب الاجتماعي للمجتمع الإسلامي على ظهور اللحن في اللغة العربية، وتطورها بشكل يلفت انتباه الباحثين، والدارسين للغة العربية، ومن هنا وجدنا لحن العوام للزبيدي وغيره الكثير في هذا المضمار كما بحث علماء العربية آثار الإسلام على اللغة، وما جد من ألفاظ جديدة ومعان جديدة لألفاظ قديمة، فعقدوا فصولاً مطولة في مؤلفاتهم للمولد والألفاظ الإسلامية الجديدة، كما بحثوا الأثر الجغرافي في اللغة وسلامتها -حين عرضوا لفصاحة لغات القبائل وتفاوت درجات الفصاحة لهذا العامل، فكانوا لا يأخذون اللغة من القبائل التي كانت في أطراف شبه الجزيرة العربية لمخالطتهم غير العرب، وكانوا لا يأخذون إلا من القبائل المتقعرة في البداوة، التي لم يؤثر عنها الاختلاط، مما يدل على أنهم كانوا يأخذون عامل المجاورة الجغرافي في الأخذ عن القبائل، فعل ذلك أبو زيد ٢١٥هـ - والفارابي ٣٥٠هـ - وابن خلدون ٨٠٨هـ - وجلال الدين السيوطي ٩١١هـ، الذي نقل عن الفارابي نصه المعروف في مقياس الفصاحة وغير ذلك مما يدل دلالة قاطعة على أن علماء العربية عرفوا العلاقة بين

اللغة والحياة الاجتماعية، بل سبقوا غيرهم في هذا المضمار؛ وذلك لحرصهم على سلامة اللغة العربية (لغة القرآن الكريم) كما عرفوا أثر المجتمع ومظاهره المختلفة في اللغة، ولم يحلوا في أبحاثهم عن واقع العلاقة بين اللغة والمجتمع، وأثر المجتمع في اللغة.

**المبحث التاسع:** بحوث نفسية: تبين العلاقة بين الظواهر اللغوية المختلفة، والظواهر لنفسية من تفكير وخيال وتذكر... إلخ؛ ففنية الشعوب ليست واحدة، فهذا مجتمع يعيش في بيئة مستقرة اقتصادياً، وذلك يعيش في بيئة غير مستقرة مما يؤثر في نفسية هذا الشعب، وبالتالي تؤثر هذه الظواهر النفسية على الظواهر اللغوية المختلفة.

لذا وجدنا علماء النفس يُولون هذه المسائل عناية خاصة، فأنشأوا ما أسموه: "علم النفس اللغوي".

ولم يكن علماء اللغة العربية العرب بعيدين عن إدراك العلاقة بين ظواهر اللغة والظواهر النفسية أو التنبيه إلى أثر الظواهر النفسية في اللغة، نعم إنهم لم يفرّدوا لهذا الموضوع الرسائل، والكتب أو توسعوا في بحث جوانب هذه العلاقة كما كان في الفرع السابق إلا إنهم دعوا لذلك وأشاروا إليه، فلو تجاوزنا الأبواب التي وضعوها للإغراء والتحذير والتخصيص والأمر والنهي، والدعاء والطلب، والتمني والتعجب، والتوهم والإيهام، والإيماء وغير ذلك من الموضوعات التي يُلحظ في تسميتها وضوح العامل النفسي بجلاء لا لبس فيه، فلو تجاوزنا هذه الموضوعات، وسلمنا أنها بعيدة عن هذا العامل النفسي والظواهر النفسية المعروفة فهناك موضوعات أخرى لا يمكن أن نتجاوزها مثل التهكم والسخرية، أو الخوف من العين أو التفاؤل والتطير مما نسبوا لبعض الظواهر والقضايا اللغوية، وهي ظاهرة التضاد في اللغة؛ مما يدل دلالة قاطعة لا لبس فيها على إدراك علماء العربية القدامى، لأثر العوامل النفسية في انظواهر اللغوية المختلفة بين اللغة والمجتمع، في

اللغة الواحدة، تلك هي مباحث فقه اللغة، وليس بخاف عليك بعد هذا العرض أن علم اللغة الوصفي هو جملة ما مرّ من فروع فقه اللغة الوصفي.

فإذا كانت الدراسة مثلاً للأصوات والمفردات والتراكيب في لغة معينة، أيّ لغة وفي فترة محددة من الزمن، وكانت الدراسة وصفية هدفها الكشف عن الحقائق اللغوية في هذه اللغة سُمّي هذا العلم فقه اللغة الوصفي.

وإذا كانت الدراسة للعناصر الثلاثة الآتية الذكر، وهي الأصوات، فالمفردات، والتراكيب في لغة معينة في خلال فترة زمنية طويلة المدى، وكان الغرض من هذه الدراسة الكشف عما طرأ عليها من تغير وتبدل سمي فقه اللغة التاريخي.

وبالقياس على ذلك: إذا كانت الدراسة للفروع الثلاثة في أكثر من لغة، وكان الغرض الكشف عن وجوه الشبه، ووجوه الخلاف سمي ذلك "فقه اللغة المقارن" وكذلك لا يخرج عن هذه القاعدة نفسها "فقه اللغة العام" فهو مجموع العناصر الثلاثة: الأصوات والمفردات، والتراكيب إذا كانت الدراسة في أكثر من لغة، وكان الغرض الكشف عن وجوه الشبه، ووجوه الخلاف، ثم الكشف عن القوانين العامة التي تحكم الظواهر اللغوية المختلفة في كل اللغات التي تمت دراستها والتعرض لها.

مقاصد فقه اللغة:

يهدف هذا العلم من دراسته للظواهر اللغوية المختلفة، والتي سبق أن ذكرناها في عرضنا السابق إلى مقاصد وصفية؛ أهمها ما يأتي:

- 1- معرفة حقيقة الظواهر اللغوية التي تتألف منها، والأسس التي تقوم عليها.
- 2- بيان الوظائف التي تؤديها في مختلف مظاهرها، وفي كل المجتمعات الإنسانية في شتى بقاع الأرض.
- 3- وترتب على ذلك: الوقوف على العلاقات التي تربط بعضها ببعض.

٤- ثم معرفة أساليب تطورها، واختلافها باختلاف الشعوب.

٥- وفي النهاية معرفة القوانين التي تحكم كل ذلك، وهي المقصد الأساسي لبحوث "فقه اللغة" فهو لا يعرض الظواهر اللغوية، والوظائف التي تؤديها، والعلاقات التي تربطها ببعضها والتطورات التي تعرض لها -لا يعرض لهذا إلا لغرض الكشف عن القوانين التي تحكم كل ذلك.

وعلى هذا الأساس قام فقه اللغة. قصد الباحثون فيه والدارسون إلى كشف القوانين التي تخضع لها الظواهر اللغوية المختلفة.

وقد توصلوا إلى جملة من القوانين، منها ما يتعلق بالأصوات، ومنها ما يتعلق بالدلالات، ومنها ما يتعلق بحياة اللغة، ومنها ما يتعلق بوظائفها، بعضها خاص بلغة معينة، وبعضها يصدق على فصائل اللغات المختلفة. وذلك لأن الظواهر اللغوية المختلفة لا تسير وفق إرادة لأفراد والجماعات، بل تخضع لقوانين ثابتة تسيرها حسب نوااميس الحياة، مثلها في ذلك مثل ما عداها من قوانين الطبيعة والرياضة والكيمياء.

فإذا اخترع لفظ، وقذف به في المجتمع خرج عن إرادة مخترعه، وخضع لقوانين ثابتة صارمة تحكمه وتسيره وفق نوااميسها، واللفظ في هذه الحالة كالحجر يلقي به المرء في جهة معينة فحينما يكون الحجر في يد المرء يخضع لإرادته، وحينما يقذف به في اتجاه معين خضع لقوانين أخرى كالجاذبية مثلاً، وليس في الإمكان التحكم في هذا الحجر بعد إلقائه، وإنما يخضع في هذه الحالة لقوانين ثابتة معينة لا تحيد عن فعلها.

ومن ثم يتبين لنا خطأ الذين يحاولون إيجاد لغة واحدة مشتركة للعالم أجمع تحل محل العدد الهائل من اللغات المختلفة، وأطلقوا عليها اسم "استراثوا"؛ ذلك لأن هذه اللغة الصناعية على فرض إمكان اختراعها، وإلزام الناس التحدث بها لا تمكث طويلاً بعد تداولها على الألسنة، إلا أن تخضع في أصواتها وألفاظها

ومعانيها ومراحل نموها وتطورها لجميع القوانين التي تخضع لها اللغات المختلفة الأخرى، والتي خضعت لها لغة الإنسان الأول، فما دام أفراد الأمم الناطقة بما مختلفين في التكوين الطبيعي لأجسامهم، وأعضاء نطقهم، وقواهم الإدراكية وغيرها، وما دامت سنة الحياة تقضي بأن يختلف كل جيل عن سابقه في كل هذه النواحي - فلا بد إذن أن تختلف اللغة الصناعية في أصواتها، وألفاظها، ومعانيها، وتراكيبها، وأساليبها باختلاف العصور، واختلاف الشعوب الناطقة بما.

وهذا أمر طبيعي، وستة من سنن التطور اللغوي؛ إذ أنه من المظاهر اللغوية الملحوظة أن الاتحاد أو التشابه في بعض الأصول اللغوية التي ترجع إلى أصل واحد، يتوقف على ما يكون بين الشعوب التي تتكلم بهذه الأصول من صلات وروابط جغرافية أو اجتماعية، فذلك الاتحاد أو التشابه حريٌّ بأن يبقى ما دامت تلك الشعوب متعاصرة متجاورة، لم تفصل بينها حواجز جغرافية، ولم تفرق بينها تقاليد، أو ظروف اجتماعية أو ثقافية أما إذا باعد الزمان أو المكان بين بعضها البعض، أو انعدم ما بينها من صلات اجتماعية أو ثقافية، فإنها تصبح لغات ولهجات تشق كل منها طريقها في الحياة بعيدة عن أختها، أو أخواتها، وحينئذ يقل ما كان بينها من مظاهر الاتحاد ويضعف ما كان بينها من مظاهر التشابه.

### مناهج البحث في فقه اللغة:

يقصد بالمناهج الطرق التي يسلكها العلماء في تناولهم المظاهر اللغوية، والقضايا التي يعالجونها، والتي يصلون بفضلها إلى ما يرمون إليه من أغراض وأهداف، ولهذا العلم مناهج يشاركه فيها غيره من العلوم الأخرى، ومناهج أخرى خاصة به اقتضتها طبيعة مسأله وقضاياه اللغوية، وستتناول أهم هذه المناهج بإيجاز فيما يلي:

## أولاً: منهج الملاحظة:

ومضمون هذا المنهج أن يراقب الباحث اللغوي ظاهرة لغوية معينة في ظروف طبيعية للغة أثناء قيامها على وظيفتها، ولا يملك الباحث في مراقبته غير حواسه وقواه العقلية، ويشارك "فقه اللغة" في هذا المنهج عددٌ كبير من العلوم الأخرى "وخاصة العلوم الطبيعية"، ولكي تكون الملاحظة سليمة النتائج لا بد أن تكون كثيرة التنوع بالغة الدقة ما أمكن، فنُحاة العرب مثلاً لم يحكموا على اللغة العربية بأنها ترفع الفاعل، وتنصب المفعول، وترفع المبتدأ... إلخ لمجرد سماعهم جملة واحدة، بل استقرأوا وتبعوا معظم الكلام الفصيح، ثم حكموا باطراد هذه الأمور، ووضعوا قواعدهم على ذلك.

ولا يخفى عليك أن هذا في "فقه اللغة الوصفي".

أما إذا كان الاستقراء في مجال "فقه اللغة العام" فإنه يلزم علينا أن نستقرئ جميع اللغات، لكي نصل إلى القوانين العامة التي نخضع لها جميعاً، حتى تكون النتيجة صحيحة وسليمة.

ويؤخذ على هذا المنهج أن آلة الملاحظة الوحيدة هي الأذن، وهي لا تملك من الدقة ما تملكه الأجهزة الدقيقة الحساسة في هذا المجال، ومن السهل خداع الأذن، فهي تتأثر بالحالة النفسية للملاحظة، ويكثر أن تخدعها فتسمعها ما تريد سماعه، لا ما هو حادث بالفعل، وفي واقع الأمر.

## ثانياً: المنهج الوصفي:

يعتمد هذا المنهج على وصف اللغة، وفحص ظواهرها، ومظاهرها كما هي مستعملة في مكان معين، وزمان معين ومحدد، فيصف أصوات اللغة مثلاً أو تراكيبها كما هي، لا كما يجب أن تكون؛ ولذا ابتعد عن تفسير الظواهر اللغوية المختلفة، ومن ثمَّ فقدَ أهميته؛ لأن من شروط البحث العلمي: تفسير الظواهر

اللغوية وتحليلها، فمثلاً يصف لنا صوت الرجل بالخشونة، وصوت المرأة بالنعومة، ولا يقدم لنا تفسيراً لذلك، ولا تعليلاً من حيث العلاقة بين ذلك وبين عدد اهتزازات الوتر بين الصوتين، وغلظهما.

ولا يقدم لنا تفسيراً لماذا يكون مضارع قال يقول ومصدره القول، على حين أن مضارع باع يبيع ومصدره البيع، مع أن وزن قال وباع في الماضي واحد، وهو فَعَلَ بفتح العين فيهما.

وكذلك لا يعطي لنا تعليلاً في الفعل المضعف نحو: قَدَّ، وشَدَّ، وردَّ، وحَثَّ، ولا في صيغة "افتعل" في مثل اصطير، ولا في صيغة "مفعال" في مثل ميزان، وغير ذلك، فهذا المنهج لا يعترف بالبنية التحتية، ولا يصدر أحكاماً على الظواهر اللغوية من حيث الصحة والخطأ.

### ثالثاً: المنهج المعياري:

وهو منهج للبحث يهتم بوصف اللغة كما يجب أن تكون، لا كما هي كائنة، ويقابله المنهج الوصفي السابق الذي تكلمنا عنه آنفاً، ويعرِّز هذا المنهج بالبنية التحتية، ويضع القواعد والضوابط والمعايير السليمة التي تحكم بصحة اللغة، كما يقدم لنا التفسيرات، والتعليقات للظواهر اللغوية المختلفة، ولهذا المنهج أهمية بالنسبة لفقهاء اللغة في كل الجوانب اللغوية، وقد استنبط علماء العربية القدامى المعايير وضوابط اللغة من مصادرها المختلفة، والمعتمدة لديهم، وهي: (القرآن الكريم - القراءات القرآنية متواترها وشاذها - الحديث النبوي الشريف - كلام العرب، شعره ونثره حتى نهاية عصور الاحتجاج اللغوي المعروفة جيداً، والتي حددها العلماء).

وإليك مثلاً للمنهج المعياري: يقول ابن جني في المقتضب: "متى أشكلت عليك لفظه فلم تدر مقصورة هي أم ممدودة فاقصرها، فإن قصر الممدود جائز،

ومد المقصور خطأ".

ومنى أشكلتُ عليك لفظة ثلاثية فلم تدر من الياء هي أم من الواو فاكتبها بالألف، فإن كُتِبَ ذوات الياء بالألف جائز حسنٌ وكُتِبَ ذوات الواو بالياء خطأ، ومنى أشكلتُ عليك كلمة مذكرة هي أم مؤنثة فذكرها، فإن تذكير المؤنث أسهل من تأنيث المذكر؛ وذلك لأن التذكير هو الأصل، والتأنيث هو الفرع، كما أن القصر هو الأصل، والمد هو الفرع، وكما أن كُتِبَ الألف في اللفظ ألفاً هو الأصل، وكتبها ياءً هو الفرع، فاعرف ذلك، وقسْ نُصِبَ -إن شاء الله تعالى" (١).

رابعاً: المنهج التاريخي:

هو منهج للبحث يقوم الباحث عن طريقه بدراسة تطور الجوانب الصوتية، والصرفية، والنحوية والدلالية، وتتبع مفردات اللغة عبر العصور التاريخية المختلفة، ولهذا المنهج أهمية لمعرفة ما طرأ على معاني المفردات، وتغير دلالتها عبر التاريخ، فيقف على هوية الكلمة، والأساليب، والجمل عبر التاريخ، وله أهمية قصوى في المعجم التاريخي في أي لغة من لغات بني الإنسان، وأهميته تظهر جلية في "علم الدلالة" أيضاً؛ لأنه يدرس اللغة من خلال تغيراتها المختلفة، ومن هنا يظهر الفرق بينه وبين المنهج الوصفي الذي يوصف بأنه علم ساكن.

أمثلة للمنهج التاريخي: "وقد يمكن أن تكون أسباب التسمية تخفى علينا لبعدها في الزمان عنا، ألا ترى إلى قول سيبويه: "أو لعل الأول وصل إليه علمٌ لم يصل إلى الآخر، يعني أن يكون الأول الحاضر شاهداً الحال، فعرف السبب الذي له ومن أجله وقعت عليه التسمية، والآخر -لبعده عن الحال- لم يعرف السبب

(١) المقتضب من كلام العرب، لابن جني، ضمن ثلاث رسائل (ص ٤٨)، طبعة ١٩٢٤ م.

للتسمية. ألا ترى إلى قولهم للإنسان إذا رفع صوته: قد رفع عقيرته، فلو ذهبت تشتقّ هذا بأن تجمع بين معنى الصوت، وبين معنى "عقر" لبعد عنك، وتعتقت، وأصله أن رجلاً قطع إحدى رجليه فرفعها، ووضعها على الأخرى، ثم صرخ بأعلى صوته، فقال الناس رفع عقيرته، ثم يقول ابن جني "فإن هذا الكتاب ليس مبنياً على حديث وجوه الإعراب، وإنما هو مقام العدل على أساس أصول هذا الكلام، وكيف بدئ، وإلام نحى؟"<sup>(١)</sup>.

### خامساً: المنهج الآلي:

وهذا المنهج لا يستخدم إلا في مجال الصوتيات؛ لأن الصوت هو العنصر الفيزيائي الوحيد في اللغة الذي يمكن للآلة أن تتدخل فيه قياساً وتسجيلاً. وواضح أن هذا المنهج يستخدم فيه الباحث الآلات لتسجيل الظواهر اللغوية وقياسها.

والذي حمل العلماء اللغويين على استخدام هذا المنهج في الصوتيات: الدقة؛ لأن الأذن المجردة لا تستطيع التمييز بين أنواع الصوت المختلفة، وخصائصه، وإدراك ميزاته، وقياس شدته ومدته، والعوامل الكثيرة المحيطة به، والتي تجعل مدرّكاتها عرضة للزلل.

وتنقسم الآلات التي تستخدم في هذا المنهج إلى نوعين:

أ- نوع هدفه أن يبين لنا الأعضاء التي تدخل في إحداث صوت لغوي ما، وعلى هيئة هذه الأعضاء أثناء النطق ثم على مخرج الصوت الملفوظ.

ب- ونوع هدفه أن يبيّن لنا صفات الصوت من حيث المدة، والشدة، والحدة. فمن النوع الأول: الحنك الصناعي: وهو آلة شديدة البساطة، يستطيع أي طبيب أسنان أن يصنعها من مادة بلاستيك، وبعد صبها في الشكل المناسب

(١) الخصائص لابن جني.

لحنك الأسنان الأعلى، تحط خطوطاً طولية، وأخرى عرضية، وحين استخدامها يُنثر فوقها قليل من الدقيق المطحون الناعم ثم تجعل في فم الإنسان ملتصقة بحنكه الأعلى، فإذا لفظ الإنسان صوتاً ما كالجيم مثلاً التصق لسانه في نقطة معينة بهذا الحنك الصناعي أزال من هذه النقطة ما كان قد علق بما من الدقيق المشور، فإذا أخرجنا الحنك من فم الإنسان، ونظرنا إلى الأثر الذي تركه اللسان فيه أثناء النطق بالجيم عرفنا بدقة بالغة مخرج هذا الحرف.

وأما النوع الثاني: فآلته على كثرتها تتألف جميعاً من ثلاثة أجزاء أساسية هي:

١- بوق يتلقى الهواء الخارج من فم المتكلم، ويوصله إلى طبلة تتأثر بضغط الهواء وذبذبه.

٢- ثم قلم متصل بهذه الطبلة يتحرك بحركتها.

٣- ثم أسطوانة مغلقة بورق تدور أثناء العمل ليرسم عليها القلم الذبذبات استقلة من الطبلة إليه.

ويؤخذ على هذا المنهج رغم دقة النتائج التي أمكن لعنماء الوصول إليها عن طريقة أنه عاجز عن فحص الظواهر اللغوية في حالتها الطبيعية، فالناس لا يتكلمون، وفي أفواههم أحناك صناعية، ولا يتفاهمون، وهم يضعون في أفواههم أبواقاً، أو تحت آلات تصوير، وهذا الوضع غير الطبيعي في هذا المنهج حمل كثيراً من العلماء على الشك في قيمة النتائج التي وصلنا إليها.

سادساً: المنهج التجريبي:

ويعتمد هذا المنهج على تغيير الظروف العادية المحيطة بظاهرة لغوية ما أو المحيطة بالشخص الذي تجرى عليه التجربة، أو على خلق هذه الظروف خلقاً دون انتظار حدوثها، كما يحدث ذلك في التجارب الطبيعية المختلفة، والتي تجري في المعامل على السوائل أو الغازات.

وعلى هذا المنهج تعتمد علوم كثيرة، كالطبيعة والكيمياء... إلخ.

ولقد أدى هذا الفهم لهذه العلوم خدمات كثيرة جداً، ورغم هذا لم ينتشر في العلوم الطبيعية وما شاكلها؛ وذلك لصعوبة التطبيق في بعض الأحيان، ولتعذر

هذا التطبيق في أحيان أخرى.

ولما كان فقه اللغة داخلاً في دائرة العلوم الإنسانية كان انتفاعه بهذا المنهج ضيقاً إلى حد ما، وكانت النتائج التي أمكن الوصول إليها عن طريق هذا المنهج قليلة جداً، ولم يتح لهذا المنهج من ظروف النجاح ما أتيح لغيره، فهو لا يزال يسير بخطى بطيئة بل لا يزال بعض علمائه ينظرون إليه بعين الريبة، ولا يثقون كل الثقة بما وصل إليه من النتائج؛ وذلك لأن تغيير الظروف المحيطة بظاهرة لغوية، قد يخرج بهذه النظرية عن طبيعتها، ويخرجها في صورة غير صورتها الحقيقية.

فيتعرض الباحث نتيجة لذلك للخطأ في الحكم، إذا يلبس عليه الطبيعي بالمصطنع.

### سابعاً: المنهج المقارن:

ويعتمد هذا المنهج على الموازنة، والمقارنة بين الظواهر اللغوية في طائفة من اللغات، وذلك للكشف عما في هذه اللغات من صلات قربي، وخصائص مشتركة تؤدي إلى الكشف عن القوانين العامة للغة.

ومع أهمية هذا المنهج لفقيه اللغة، ومع لزومه له في كل الميادين اللغوية التي يتعرض لها فإنه كثيراً ما أدى إلى نتائج غير صحيحة، وهذه غير راجعة إلى هذا المنهج ذاته، وإنما ترجع إلى سوء التطبيق، ولاسيما عدم الاستقراء الكامل، والعجلة في صياغة القوانين العامة.

وليكن معلوماً لدى القارئ أنني أفردتُ منهج الملاحظة الذاتية عن المنهج الوصفي مع أنهما -لأول وهلة- وجهان لعملة واحدة؛ وذلك لأن منهج الملاحظة الذاتية كما قلنا عن طريقه توصل الدارسون القدامى لقواعد اللغة العربية، أما المنهج الوصفي فيستعمل لدى المحدثين دون نظر إلى البيئة التحتية، ولا يضر اللغات الأخرى هذا ولكن في لغتنا لا يمكن إغفال البنية التحتية، ومن هنا أفردت بالتسمية منهج الملاحظة الذاتية عن المنهج الوصفي، مع أنهما -كما قلتُ- وجهان لعملة واحدة، ولكن لكل استعماله.

## الفصل الثاني: مستويات التحليل اللغوي

التحليل اللغوي هو دراسة اللغة لمعرفة أنواع الأصوات، ومواقعها وسماتها، ووحداتها الصوتية، ومتغيراتها، والوقوف على السوابق واللواحق، والدواخل، وجذور الكلمة، والكشف بين مكونات الجملة الواحدة، وبيان المناسبة بين معاني الكلمات المختلفة للوصول إلى فهم المعنى المقصود، ومن هنا يتنوع مستوى التحليل اللغوي إلى:

- ١- التحليل الصوتي.
- ٢- التحليل الصرفي.
- ٣- التحليل النحوي.
- ٤- التحليل الدلالي.

### أولاً: التحليل الصوتي:

هو دراسة الأصوات لمعرفة أنواعها، ومواقعها، وسماتها، ووحداتها، ومتغيراتها الصوتية. والصوت البشري ينقسم إلى:

- أ- صوائت (الحركات + أصوات اللين) أو إن شئت قلت صوائت قصيرة، وصوائت طويلة.

ب- صوامت أو الأصوات الساكنة.

وأصوات اللين: هي الأصوات التي تخرج مع الهواء المتدفق من الرئتين ماراً بالقصبه الهوائية، ثم يمر بالحنك ثم بالفم ثم يغادر الشفتين دون أن يعترض طريقها أي عائق.

ومن هنا كانت أصوات اللين واضحة في السمع عن الأصوات الساكنة؛ إذ أن الأصوات الساكنة يحدث معها اسداد جزئي أو كلي في نقطة معينة، ومن هنا كانت أقل وضوحاً من أصوات اللين، وهذا لا يمنع أن تكون بعض الأصوات الساكنة كالميم، والنون، واللام واضحة، وتشارك أصوات اللين في الوضوح السمعي، إلا أن المجرى مع الحروف الساكنة الثلاثة هذه، يحدث به ضيق عكس أصوات اللين، والتي تخرج حرة طليقة خلال الحلق، والفم دون أن يقف في

طريقها أي عائق أو حائل، ودون أن يضيق مجرى الهواء، فيحدث احتكاكاً مسموعاً<sup>(١)</sup>.

وتنقسم أصوات اللين من حيث الكم إلى:

- ١- صوت لين مختلس كالحركة المختلصة في القراءات القرآنية، وهي ما تعرف بالروم.
- ٢- صوت لين قصير، وهي الحركات الثلاثة: الفتحة، الضمة، الكسرة.
- ٣- صوت لين طويل، وهي أصوات المدّ الطبيعي في التجويد.
- ٤- صوت لين مرن، وهو صوت المدّ حين يكون بعده همزة أو ساكن في القراءات مثل: يشاء، والضالّين.

وتتنوع أصوات اللين من حيث الكيف إلى:

- ١- صوت لين أمامي، وهو الكسرة، والإمالة الخفيفة والشديدة.
- ٢- صوت لين خلفي، وهو الضمة، والفتحة الممالة إلى الضمة كنطق كلمة (يوم) في العامية.

٣- صوت لين متسع، وهو الفتحة.

٤- صوت لين ضيق، وهو الكسرة، والضمة.

والأصوات الساكنة تنقسم إلى مجهورة، ومهموسة، فالجهورة هي التي يهتزّ معها الوتران الصوتيان.

وتنقسم إلى شديدة، ورخوة، ومتوسطة، وإلى مطبقة وغير مطبقة أي: منفتحة،

وإلى مستعلية ومستفلة، وإلى أقسام أخرى، وتفصيل ذلك في مادة الأصوات<sup>(٢)</sup>.

ونلتقي هنا ببعض المسائل التي يجب الوقوف عليها، ليكون القارئ على بينة من الأمر؛ لأن دراستنا للأصوات ينبغي ألا تكون منعزلة عن سياقها، فكل صوت لغوي له ضمن الكلام بيئة صوتية يؤثر فيها، وتؤثر فيه، ودراسة الأصوات

(١) دراسات في التجويد والأصوات اللغوية، (ص ٦٠) وما بعدها.

(٢) انظر: التجويد والأصوات اللغوية للمؤلف: (ص ٨٠) وما بعدها.

هذه فرع آخر من الدراسات الصوتية؛ لأنه يدرس الأصوات من حيث وظائفها، وهو الفونولوجي phonology، والفرع الآخر الفوناتيک، وقد أشرنا إليها في مباحث "فقه اللغة"، فعلى سبيل المثال صوت الكاف مهموس إذا درس منفصلاً في الفوناتيک، وهذا في أغلب السياقات ولكنه قد يكون مجهوراً في بعض المواقع، وذلك إذا وليه صوت مجهورٌ كالباء في نحو أكبر، فالكاف تنطق في بعض اللهجات الدارجة بصورة تشبه الجيم القاهرية (أجبر)، ونجد أن صوت النون في اللغة العربية الفصحى له عدة صور، وذلك بحسب الصوت التالي له، فصورة النون في (أنعمت) غير صورتها في (إن نحن) وغير صورتها في (من رحم) وغير صورتها في (أنبئهم) وغير صورتها في (أن صدوكم).

فالنون صوت واحد إذا نظرت إليها من الناحية الوظيفية: أي أنها ليست تاء، أو ثاء، أو حيمًا، فوجودها في كلمة مكان حرف آخر يغير معنى الكلمة؛ ولذلك عرف الفونيم بأنه: أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني.

فمعنى ناس، غير معنى رلس، غير معنى سلس، ومعنى نار غير معنى بار، وغير معنى دار. وعرفَ دانيال جونز الفونيم بأنه: "عائلة من الأصوات المترابطة فيما بينها في الصفات، في لغة معينة، والتي تستعمل بطريقة تمنع وقوع أحد الأعضاء في كلمة من الكلمات في نفس السياق الذي يقع منه أي عضو آخر من العائلة نفسها".

فالفتحات في اللغة العربية أعضاء لفونيم واحد، وهو الفتحة، ولكن الواحدة منها، لا تقع موقع الأخرى، فمثلاً الفتحة المفخمة في صبر وطبع لا تحل محل الفتحة المرققة في بات، وساس، ولا تحل محل الفتحة المماة في (رحمه)، وفي (مجريها)، و (مرسيها).

والكسرة في اللغة العربية فونيم أعضاؤها:

١- الكسرة المفخمة في: صيام - بصير - طباع - ضياع.

٢- الكسرة المرققة في: سهام - عبير - رهام - رهان.

٣- الكسرة يئن بين في: خيام - غلاظ - رقاب.

فلا تقع واحدة منها مكان الأخرى.

ويرى دانيال جونز أن أحد الأعضاء عضو رئيس، والآخر إضافي أو

ثانوي، وبني تقسيمه على أساس:

١- كثرة ورود العضو الرئيس في الاستعمال اللغوي عدا بقية الأعضاء.

٢- أو لأنه الذي يستعمل وحده منعزلاً عن السياق الفعلي.

٣- أو لأنه في الموقع الوسط بين بقية الأعضاء.

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الأعضاء، لا تتبادل المواقع الصوتية فيما

بينها، فكل عضو خاص ببيئة لغوية معينة.

أما الفونيم فيتبادل المواقع مع الفونيمات الأخرى، فالنون تحمل محل الباء

مثلاً، والفتحة تحمل محل الكسرة... وهكذا، فوظيفة الفونيم في هذا الرأي هي

التمييز بين الكلمات، وإعطاؤها قيمةً لغويةً مختلفةً صرفيةً أو نحويةً أو دلاليةً، نحو

"لك" بفتح الكاف، و"لك" بكسرها.

وعرّف بعض اللغويين الفونيم بأنه: صوت نموذجي، يحاول المتكلم تقليده.

والفونيم نوعان:

النوع الأول: فونيم أمّ، أو الوحدة النطقية الأم، وهو: صوت أصيل نشأ

منه صوتان، أو أكثر دون أن يكون للاختلاف أثر في المعنى، ويشمل الصوامت والصوائت.

ومثاله في اللغة العربية: الجيم الفصيحة، ونطقها في اللهجات العربية

الحديثة، فتتطق جيمًا خالية من التعطيش، وكثرة التعطيش لدى السوريين، وفي

القاهرة تنطق كالكاف الفارسية.

النوع الثاني: فونيم ثانوي، وهو فونيم عدل لفظه قليلاً ليعطي ظلالاً

مختلفة من المعنى، ويشمل: النبر، والأنغام، والفواصل.

ثانياً: التحليل البنائي (الصرفي):

وهو تحليل الكلمات للكشف عن الوحدات الصرفية، وبيان صيغ الأبنية وأحوالها، ومعرفة السوابق، واللواحق، والدواخل، والجذور، للوقوف على وظيفة الكلمة في الجملة، وعلاقتها بسواها.

فتقول مثلاً عَلِمَ فعل ماضٍ، وَعِلْمٌ المصدر، وَيَعْلَمُ للدلالة على المضارع وَاَعْلَمَ للدلالة على الأمر، وَعَالِمٌ للدلالة على اسم الفاعل، وَمَعْلُومٌ للدلالة على اسم المفعول، وَعَلِيمٌ للدلالة على صيغة المبالغة... وهكذا مما هو معلوم في علم الصرف (المورفولوجيا).

ثالثاً: التحليل التركيبي (النحوي):

وهو تحليل التراكيب محل الدرس لكشف العلاقات النحوية بين الكلمات في الجملة، ووظيفة كل كلمة بها، ولتي تظهر فيما يسمى بالإعراب: والأدوات النحوية المستقلة، ويعرف بالاستكس أو علم النظم، وقد تكفل بذلك علم النحو في لغتنا العربية.

رابعاً: التحليل الدلالي:

وهو دراسة العلاقات بين معاني الكلمات المختلفة في اللغة من خلال الوقوف على جذر الكلمة، وبنائها الصرفي، وسياقها الذي تقع فيه، والتحليل الدلالي في غاية الأهمية، وقد يتصور بعض الباحثين أن التحليل الدلالي تغني عنه المعاجم اللغوية، وهذا التصور بعيد عن الصواب؛ لأن المعنى المعجمي أو الدلالة المعجمية ليست كل شيء في الوقوف على معنى الكلام؛ إذ لا بد من عناصر لغوية أخرى ذات أثر واضح في تحديد المعنى وتعيينه، وهذه العناصر هي جزء من معنى الكلام، وذلك كشخصية المتكلم، والمخاطب، وما بينهما من علاقات، وما يحيط

بالكلام من ظروف، وملابس ذات صلة به، وكحضور غير المتكلم، وغير المخاطب وعلاقتهم بما، وغير ذلك من أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة، والتي يطلق عليها عند علماء البلاغة المقام، وذلك كان من رأيهم "أن لكل مقام مقالاً".

والسر في ذلك - كما عرفنا - أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وهي صورة للمجتمع ترقى بريقه وتدهور بتدهوره، وهي المرآة العقلية الصادقة لهذا الشعب، وتلك الأمة.

فالظروف الاجتماعية التي يطلق عليها "المقام" تستدعي هذه الكلمة وتلك العبارة، فمقام الفخر غير مقام المدح، وهما يختلفان عن مقام الدعاء، أو الاستعطاف أو التمني، أو الهجاء... إلخ.

فكل مقام من هذه المقامات، وغيرها يستدعي هذا الأسلوب أو ذلك من أساليب الحقيقة، أو المجاز، أو الإخبار أو الاستفهام، ومن العبارات المشهورة قولهم: "لكل كلمة مع صاحبها مقام"<sup>(١)</sup>.

ومن هنا لا نعجب إذا وجدنا بعض المحدثين يقول: "إن البلاغيين عند اعترافهم بفكرة "المقام" متقدمون ألف سنة تقريباً على زمانهم؛ لأن الاعتراف بفكرتي: "المقام" و "المقال" باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة"<sup>(٢)</sup>.

وفكرة "المقام" هذه، هي المركز أو المحور الرئيس الذي يدور حول علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر.

إذ أن المقام هو الأساس الذي ينبي على الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة، وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات، أو الأحداث، والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء "المقام" فمن المسلم، ومن المعروف

(١) انظر: كتابنا نظرات في دلالة الألفاظ: (ص ١٣-١٤).

(٢) المرجع السابق: نفس الصفحات.

أن إجماع المعنى على المستوى (الصوتي، والصرفي، والنحوي) وعلى المستوى المعجمي فوق ذلك لا يعطينا إلا معنى المقال، أو إن شئت قلت المعنى الحرفي كما يحبه النقاد، أو معنى ظاهر النص عند الأصوليين، وهذا المعنى كما نرى معني فارغ، ولا يوقفنا على الحقيقة كاملة، أما إذا لاحظنا الظروف والملابسات التي قُلت فيها العبارة أو الأسلوب، ويطلق عليها "المقام" وقفنا على الحقيقة كاملة، دون نقص، فلكل مقام مقال، ولكل كلمة مع صاحبها "مقام".

فهم هذا جيداً من قول النابغة (معلقاً وناقداً) على قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

لنا الجفنانُ الغر يلمعن في الضحى      وأسيافنا يقطرن من نبذة دَمَا  
ولدنا بني العنقاء وابني محرق      فأكرم بنا خالا وأكرم بنا انما

يقول النابغة لحسان: إنك لشاعر، ولكنك قلت عدد جفانك، ولو قلت:

لنا الجفان لكان أكثر، وقلت: "يلمعن في الضحى"، ولو قلت: "يرقن بالدجى" لكان أبلغ في التفاخر بالكرم؛ لأن اضيف أكثر طروقاً لبلي، وقلت: "وأسيافنا" ولو قلت: وسيوف لكان أكثر. وقلت: "يقطرن" ولو قلت: يجرين لكان أكثر لانصباب الدم، وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن ولدك.

فقد النابغة لحسان مرجعه المقام الذي كان يستدعي ذلك؛ لأن المقام مقام الفخر وهو يستدعي جمع الكثرة في "سيوف" و "جفان"، وهو أولى من جمع القلة. ومن هنا يظهر لنا بجلاء أن معنى الكلام لا يتأتى فصله -بأية حال من الأحوال- عن السياق الذي يعرض فيه، والمقام الذي تطلبه على هذه الصورة أو هذا المنهج، ولا يخفى علينا أن النصوص المدونة في الكتب قد يخفى علينا من ظروف قولها الشيء الكثير، وقد نتصور بعض الظروف، والمناسبات، والعناصر، أو إن شئت المقام، وقد نوفق في ذلك أحياناً وقد لا نوفق؛ إذ أن عنصراً مهماً قد يغيب عنا إدراكه، وهو نطق الكلام، وما يبرزه هذا النطق من معنى أو معانٍ،

فهذا النطق -أو إن شئت قلت الكلام الحي- قد يحدد أن الكلام استفهام مثلاً حيث يحتمل النص المدون وحده أن يكون استفهاماً أو تقريراً مثلاً.

ومن هنا يتبين لنا مدى أهمية المنهج التاريخي الذي مر بنا في الوقوف على دلالة الألفاظ في النصوص المدونة لتعقب تطور وتغير معاني الألفاظ، هذا بالإضافة إلى المنهج الوصفي لمعاني الألفاظ.

ولنضرب لذلك مثلاً لتوضيح هذه القضية آفة الذكر، وهو أن المعنى المعجمي وحده لا يكفي للوقوف على معاني الألفاظ ودلالاتها دون النظر إلى المقام، والظروف الاجتماعية والمناسبة التي قيل فيها الكلام أو ذلك. فكلمة "أم" و "ابن" مدلولهما معروف لنا، حيث هما مفردتان، ولكن عندما يقول الشاعر القروي رشيد سليم الخوري:

والأرض حارت أتلقى الفجرَ ضاحكةً

لأمها الشمس أم تبكي ابنها القمر؟<sup>(١)</sup>

فالشمسُ في هذا البيت استعملها الشاعرُ، على أنها أم الأرض، وجدة القمر ولا يوجد معجم واحد ينص على هذا المعنى.

نعم هذا من الاستعمال المجازي، ولكن لا يوجد معجم يجمع كل أنواع المجازات أو الاستعارات، والتي يمكن أن يستعملها الأدباء، والناطقون باللغة.

ومن هنا يتضح لنا أن المقام الذي قيل فيه الحدث اللغوي له أثر لا يحصى في تحديد المعنى، وتعيينه؛ وذلك لأن دلالة اللفظ أو الكلمة على المعنى ليست ثابتة في كل الأزمان، بل هي في تغير مستمر<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر علم اللغة للدكتور محمود السعران: (ص ٢٩١).

(٢) نظرات في دلالة الألفاظ للمؤلف: (ص ١٦).

## الفصل الثالث: اللغة معناها ونشأتها

معنى اللغة من الناحية الاشتقاقية والاصطلاحية:

اللغة خاصية من خواصّ الإنسان بما هو حيوان ناطق، كما رأى ذلك فيلسوف العصر الحديث (ديكارت).

فاللغة خاصية حيث إنه حيوان ناطق، أي مفكر، وبما هو حيوان مدني، أي اجتماعي فهي -إذن- تميزه عن أي كائن حي آخر، من حيث إنها تعينه على أن يتناول الأشياء والأشخاص تناولاً يختلف عن تناول الحيوان لها؛ إذ أن الحيوان يتناول الأشياء بالحواس أما الإنسان فيتناولها مع الحواس بشيء خصّه الخالق به، وبميزة تفرّد بها الإنسان وهي نطقه وتفكيره.

وبما أن هذا التناول يفيد الإحاطة والشمول فهو حينئذ يكون هو التناول الصحيح، فاللغة منحة عظيمة خص الله بها الإنسان؛ لتكون سبيله لمعرفة نفسه وما فيها من أسرار أولاً، ثم ثانياً لمعرفة العالم الكبير حوله، وما به من أسرار تجعل الإنسان يجرّ راعماً لخالقه ومنشئه من العدم.

وديكارت حين استأنف الفكرة الفلسفية التي تصور أرسطو بتعريفه للإنسان بأنه حيوان ناطق، أضاف إليها أن اللغة تحقق ناطقية الإنسان الحقيقية بشقيها الفكر والعمل، ومن ثم يجعله أهلاً لأن يكون خليفة الله على الأرض.

إن قدرتنا بواسطة اللغة على تسمية الأشياء تفيد قدرتنا على تناولها بأذهاننا، وقدرتنا على نوع من الهيمنة عليها، والبيان والإفصاح والإيضاح عن طريق اللغة تحقيق للناطقية الإنسانية، وللناطقية ركيزتان: ممارسة التفكير، وممارسة الحياة في جماعة.

ثم إن البيان والإفصاح باللغة خطوة أيضاً في سبيل الكشف عن النفس، وعن الغير، وعن الكون والكشف في الحقيقة فعل، والفعل يرمي إلى التغيير دائماً.

إذا كان الأمر كذلك فاللغة شيء خطير، فليست اللغة مجرد وسيلة أو آلة للترجمة عن الفكر والاتصال بالغير، بل هي قبل ذلك تأكيد لأهميتها الأصيلة، وتزكية لذواتنا في الحياة الاجتماعية.

ومهمة اللغة في حياة الإنسان أكثر وأخطر مما قد يبدو للنظرة السريعة، فلا يستطيع الإنسان أن يستغني عن اللغة؛ فإننا جميعاً نستعملها دوماً، أردنا أم لم نرد. إننا نتحدث مع أهلنا، مع أقربائنا، مع أصحابنا وزملائنا، مع مواطنينا ومع الغرباء عنا؛ بل نتحدث في بعض الأحيان مع أنفسنا ومع البعداء عنا في الزمان والمكان.

فاللغة مُجَلٌّ للفكر وترجمان له كما يقول الإمام محمد عبده؛ بل إن اللغة تلازم الفرد في حياته وتمتد إلى أعماق كيانه، إلى أخفى رغباته، وخطراته. إنها تجعل من الأمة الناطقة بما كلاً متراسماً خاضعاً لقوانين واحدة، وهي الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان.

إذا كان هذا شأن اللغة، وهذا حالها، فما اشتقاقها؟، وهل هي كلمة عربية أو معربة؟ وما الأساس الذي ارتكز عليه القائل بذلك؟ ثم بعد هذا كله. ما معنى اللغة من الناحية الاصطلاحية؟ وهل اتفقت فيها أقوال وتعريفات اللغويين أو اختلفت؟ للإجابة عن كل هذه التساؤلات نقول:

إننا لو رجعنا إلى مصادرنا القديمة، وخاصة المعجمات التي بين أيدينا لوجدناهم يقولون: إن كلمة "لغة" عربية أصيلة، فهي في رأي الفيروزآبادي صاحب القاموس المحيط على وزن فعلة من الفعل: لغا يلفو إذا تحدث. وجمعها: لغات ولغون<sup>(١)</sup>.

ويقول ابن جني في كتابه "الخصائص"<sup>(٢)</sup>: وأما تعريفها -أي: اللغة- فهي من فعله، من لغوت أي: تكلمت، وأصلها لغة ككرة وقلة وثبة، كلها لاماتها

(١) القاموس المحيط (٤/٣٨٦).

(٢) الخصائص (٢/٣٣).

واوات؛ لقولهم كَرَوْتُ بالكروة، وقلَّوْتُ بالقللة، ولأن ثبة من مقلوب ثاب يثوب، وقالوا فيها: لغات ولغون ككرات وكرون، وقيل منها لغني إذا هدي، قال رؤبة:

ورب أسراب حجاج كظم  
عن اللغا ورفث التكلم

وكذلك اللغو، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]

أي: الباطل.

وقال إمام الحرمين في البرهان: اللغة من لغني يلغى من باب رضي إذا لهج بالكلام، وقيل من لغى يلغى.

مما سبق نرى أن أصحاب المعاجم واللغويين يرونها كلمة عربية، ولكن بعض المحدثين يتساءل فيقول<sup>(١)</sup>:

هل كلمة لغة مشتقة من هذا الفعل أو ذاك، أو أنها مأخوذة من اللفظة؟ وهي اللحمة المشرفة على الحلق<sup>(٢)</sup> وقد يعزز هذا الرأي أن الكلمتين متشابهتان فاللام مشتركة بينهما، والهاء والغين من حروف الحلق الذي يحل بعضها محل بعض، وأن اشتقاق لغة من لَغَا أو من لغني ليس جارياً على قياس لغوي.

وهذا الرأي يعززه -فوق ما تقدم- ما نجده في كثير من اللغات الأخرى، وهو أن الكلمة الدالة على لغة تدل في الوقت نفسه على عضو من أعضاء التكلم، ففي العبرية تستعمل كلمة "سافاه" بمعنى لغة وبمعنى شفاه، والشفاه كما هو معلوم ومقرر من أعضاء النطق، والعبرية أخت العربية.

وكذلك تستعمل اللغة العبرية كلمة "لاشون" بمعنى لسان، ولغة أيضاً، واللسان من أعضاء النطق وإذا تركنا اللغة العبرية إلى لغة أخرى، إلى فصيلة أخرى غير سامية كاللغة الفارسية مثلاً لوجدنا أيضاً أن كلمة "ربان" بمعنى لغة،

(١) محاضرات في فقه اللغات السامية، للدكتور حامد عبد القادر (مخطوطة) (سنة ١٩٦٦/٦٥).

(٢) لسان الرمزم.

ويعني لسان أيضاً، وكذلك في اللغة الإنجليزية نجد أن كلمة Langue تستعمل بمعنى لغة، ولسان أيضاً.

وهناك رأي آخر مؤداه أن كلمة لغة ليست عربية أصيلة بل إنها تعريب لكلمة Iagos الإغريقية، والتي تعني كلمة أو فكرة.

وربما يؤيد هذا الرأي التشابه الكبير بين الكلمة العربية والكلمة الإغريقية<sup>(١)</sup>.

ويؤيده أيضاً عدم ورود كلمة لغة بالمعنى المعروف لنا في القرآن الكريم، وإنما عبر عن اللغة بكلمة لسان، وكذلك لم ترد في الشعر الجاهلي أو الأدب العربي المأثور عن أدباء ما قبل عصر الترجمة عن الإغريقية.

وأول من ذكر هذه الكلمة في شعره صفي الدين الحلبي، حين قال:

بقدر لغات المرء يكثر نفعه      وتلك له عند الشدائد أعوان

فبادر إلى حفظ اللغات وفهمها      فكل لسان في الحقيقة إنسان

وصفي الدين الحلبي هذا كان في مقدمة شعراء العصر التركي، ولد ٦٧٧ هـ، وتوفي ٧٥٠ هـ أي بعد عصر الترجمة عن اليونانية بما يزيد على خمسة قرون. فإذا صح أن كلمة لغة لم تذكر في الآداب العربية القديمة التي يُعتمد عليها، ويعتد بها، وأنها وردت أول ما وردت في شعر المتأخرين من العباسيين كان المرجح أنها من الكلمات المعربة التي نقلت إلى اللغة العربية من الإغريقية هذا عن اللغة من الناحية الاشتقاقية.

وأما معنى اللغة في الاصطلاح:

فلقد اختلف العلماء في تعريف اللغة اختلافاً بيناً، طبقاً لمناهج البحث التي يتبعونها. فمنهم من يعرفها على أساس عقلي أو نفسي، ومنهم من يعتمد في تعريفها على فكرة منطقية أو فلسفية ومنهم من يعرفها من ناحية وظيفتها في المجتمع،

(١) نفسه: محاضرات في اللغات السابقة مخطوطة.

وعلى أية حال، فهناك أقوال كثيرة في معنى اللغة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

### ١- اللغة عند علماء النفس:

تسمى أيه وسيلة للتعبير عما في النفس لغة، فاللغة عندهم: كل أداة تستعمل لنقل ما يخطر بشعور الإنسان إلى غيره.

ولذلك تنقسم اللغة في نظرهم إلى حركية، وصوتية، ورسمية، وخطية.

والصوتية: إما لفظية مقطعية، وإما ساذجة ليست فيها مقاطع واضحة،

فالحركة الدالة على القبول أو الرفض، والإشارة باليد والرأس والجسم إلى معنى من المعاني، والصياح والبكاء، والموسيقى والرسم والتصوير، والكلمات المنطوق بها أو المدونة، كل هذه وما يشبهها -مما يستعمل لنقل خاطر من الخواطر إلى الغير- تسمى لغة في اصطلاح علماء النفس.

وبالنظر إلى الأقسام الأنف ذكرها، يتبين لنا أنما بهذا الترتيب في الظهور في

حياة الفرد، وحياة انواع على السواء، فأولها ظهوراً اللغة الحركية، وتليها اللغة الصوتية بفرعيها، وأحرها اللغة التدوينية.

### ٢- اللغة عند علماء الاجتماع:

ف عندهم تعرف اللغة بالنظر إلى وظيفتها في المجتمع، فتعريفها عندهم:

"اللغة نظام من رموز ملفوظة عرفية، بواسطتها يتعاون ويتعامل أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة".

والذي أورد هذا التعريف العالم الأمريكي (أوجار استيرننت).

### شرح التعريف:

كلمة "نظام" في هذا التعريف تميز اللغة من مجرد مجموعات من المقاطع التي

لا معنى لها كلالو بابو عاعو... إلخ.

هذه المقاطع قد تحمل معاني انفعالية ذات معنى لو اقترنت بتنظيم وإيقاع خاصين ولكنها مع ذلك لا تكون جزءاً من التركيب اللفظي في اللغة العربية مثلاً. وهذا بعكس الجملة "الذئب يعض الولد" فإنها ذات نظام تركيبى خاص، ويمكن فهمها في المجتمع العربي حتى لو غيرنا مكان كل من الولد والذئب، وقلنا مثلاً "الولد يعض الذئب" وحتى لو بدا هذا التركيب سخيفاً فإن المعنى مفهوم لدى أفراد المجتمع.

والكلمة الأساسية في العبارة "رموز ملفوظة عرفية" هي كلمة "رموز"، "الرمز" بالضرورة يتضمن فكرة ثانية بمعنى أنه يجب أن يكون هناك شيء يمثل شيئاً آخر، هذه الفكرة الثنائية يمكن تمثيلها، هكذا: صيغة، معنى أو لفظ مضمون أو كلمة مفهوم، فالصيغة في هذه الحالة التي معنا هي جزء منطوق له معنى، والمعنى هو معنى هذا الجزء.

"الرمز العرفي" معناه الرمز الذي لا تتعلق صيغته بالمعنى تعلقاً ضرورياً أو طبيعياً: فالكلمة العربية "كلب" لها تقريباً معنى الكلمة، وكذلك مئات الكلمات في مئات اللغات الأخرى، والسبب الوحيد في أن الكلمة العربية "كلب" تحمل هذا المعنى الخاص بها، ما هو إلا أن المتكلمين العرب يستعملونها في هذا المعنى.

أما الكلمة "الملفوظة" تخرج غير الملفوظة مثل الإشارة، واللغة المكتوبة وغيرها من أنواع وكل هذه تكون موضوعات مهمة جدية بالبحث والدراسة، وهي أيضاً ذات صلة بالكلام المسموع والسبب الوحيد في عدم اعتبارها في التعريف السابق هو السهولة واليسر<sup>(١)</sup>.

(١) قضايا لغوية: للدكتور كمال بشر: (ص ١٤-١٥).

٣- اللغة عند علماء المنطق:

وهؤلاء يعلقون أهمية كبرى على استعمال اللغة بوصفها وسيلة للتعبير عن الأفكار. يقول أحدهم، وهو الأستاذ جفونز في كتابه مبادئ دروس المنطق: "إنّ للغة ثلاث وظائف":

أ- كونها وسيلة للتوصيل أي توصيل الرغبات، والأفكار، وما شاكل ذلك.  
ب- كونها مساعدًا آليًا للتفكير.

ج- كونها أداة للتسجيل والرجوع: يعني بذلك: لغة الكتابة حين يكتب الإنسان، ويدوّن أفكاره وآراءه، ثم يرجع إليها وقت الحاجة<sup>(١)</sup>.

٤- اللغة عند علماء المدرسة الفلسفية:

يقول أنصار هذه المدرسة في تعريف اللغة: إنها استعمال رموز صوتية منظمة للتعبير عن الأفكار ونقلها من شخص لآخر.

ومن أنصار هذه المدرسة العالم الأمريكي مسابير، ويُشبهه إلى حد كبير الأستاذ. هرمان بول.

٥- تطلق على النطق والتكلم:

وعلى القوة، كما تطلق على الألفاظ التي يعبر بها المتكلم عما يخالج نفسه من المعاني الآتية إليه من الإحساس والشعور، وقوى التفكير؛ ولذا تعرف بأنها العمل الفكري المتكرر دائمًا لإبراز الفكر الإنساني في إحداث أصوات منظمة أو مختلفة.

٦- ولقد عرفها القدماء أيضًا فقالوا:

"اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"<sup>(٢)</sup>.

وهذا قليلٌ من كثير في معنى اللغة، وعلى أية حال فليس الغرض من اللغة

(١) نفسه: (ص ١٧).

(٢) الخصائص لابن جني (٣٣/١)، القاموس المحيط (٣٨٦/٤)، المرهم (٧/١)

عند الإنسان المتمدين مقصوراً على نقل الأفكار إلى غيره فقط بل إنها تتخذ وسيلة للفكر والفهم وتربية الذوق والخيال، ومن ثم كان أتم تعريف للغة بمعناها الاصطلاحيّ هو: "أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ويتخذونها أداة للفكر والفهم وتربية الذوق والخيال".

### نشأة اللغة عند الإنسان:

مما لا شك فيه أن اللغة الإنسانية ترجع إلى المجتمع نفسه، وإلى الحياة الاجتماعية؛ إذ لولا اجتماع الأفراد بعضهم مع بعض، وحاجتهم إلى التعاون والتفاهم في مشاكل الحياة المتشابكة والمتنوعة لما وجدت اللغة.

فاللغة إذن ظاهرة اجتماعية مثلها مثل غيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى، ويؤثر فيها ما يؤثر في هذه الظواهر ومن هنا يتبين لنا أن المشكلة ليست في البحث عن الأسباب التي أدت إلى نشأة اللغة، ولا البحث عن منشأها.

وإنما المشكلة في الكشف عن العوامل والأسباب التي أدت إلى وجودها في هيئة أصوات مركبة ذات مقاطع متميزة الكلمات، والكشف عن الصورة الأولى التي ظهرت بها هذه الأصوات، وبيان الأسباب والعوامل التي وجهت إلى هذا الأسلوب دون ما سواه.

وإذا وجهنا نظرنا إلى هذا الموضوع والبحث عن الحقيقة فيه ألفينا أنفسنا أمام عدد هائل من النظريات المتباينة؛ حيث اختلفت الفلاسفة والمفكرون في بيان نشأة اللغة عند الإنسان، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى، فمنذ أمد بعيد وإلى يومنا هذا، والعلماء معنيون باللغة وواضعها ومنشئها، حتى إن أحد ملوك الفراعنة حاول البرهنة على أن اللغة المصرية أصل اللغات، وكذلك شغل هذا الموضوع فلاسفة الإغريق كهيراكليت (٥٧٦-٤٨٠) ق.م وأفلاطون (٣٢٧-٣٤٧) ق.م وكذلك علماء العرب على اختلاف اتجاهاتهم من لغويين وأصوليين ومتكلمين في

القرن الرابع الهجري، وما بعده.

وفي العصر الحديث شغل هذا الموضوع المفكرين والفلاسفة الأوربيين والأمريكان، وجميع الباحثين اللغويين في مختلف بلدان العالم.

وتنوعت الآراء بين العلماء فمن قائل بالتوقيف، ومن قائل بالمواضعة والاصطلاح ومن قائل إن الفضل في نشأة اللغة يرجع إلى غريزة خاصة في الإنسان، ومن قائل إن اللغة الإنسانية نشأت عن الأحداث الطبيعية أي: التعبير الطبيعي عن الانفعالات... إلخ.

ويكفي أن نشير إلى أهم هذه النظريات.

أولاً: نظرية التوقيف:

ومؤدى هذه النظرية أن اللغة الإنسانية الأولى توقيفية أي قائمة على التوقيف أو الوحي والإلهام من الله سبحانه وتعالى، ويرى أصحاب هذه النظرية أن الله تعالى لما خلق الأشياء ألهم الإنسان الأول آدم عليه السلام ولقنه كل شيء يتعلق باللغة كتقطيع الأصوات، وتكوين الكلمات، ووضعها بإزاء معانيها وذلك بأحد أمور ثلاثة:

أ- عن طريق الوحي. ب- أو عن معلم ضروري.

ج- أو بخلق أصوات في بعض الأجسام.

واختلف القائلون بهذه النظرية فيما علمه آدم عليه السلام فقيل علمه الأسماء كلها، وهى الأسماء التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل، وقيل علمه أسماء الملائكة<sup>(١)</sup>.

وقيل علمه اسم كل شيء وبجميع اللغات، فكان هو وولده يتكلمون بما

(١) الزهر للسيوطي: (٨/١).

ثم إن ولده تفرقوا في مختلف البقاع، وعلق كل واحد بلغة فغلبت عليه، ونسي ما عداها، وذلك لتقدم العهد، وتوالي الأجيال.  
أصحاب هذه النظرية:

ذهب إلى القول بما في العصور القديمة الفيلسوف اليوناني "هيراكليت"، وفي العصور الوسطى بعض علماء العربية كابن فارس في كتابه "الصاحبي" في فقه اللغة" وأبو علي الفارسي، وأبو الحسن الأخفش في أحد قوليهما من اللغويين، ويعزى هذا الرأي لابن جني غير أنه يميل إلى كونها اصطلاحية وفي العصور الحديثة: الأب لامي الفرنسي، والفيلسوف ديونالد الفرنسي.

أدلة القائلين بهذه النظرية:

استدل أصحابها بأدلة نقلية، وأخرى عقلية.

#### ١- الأدلة النقلية:

استدل المسلمون ممن قالوا بهذا الرأي بعدة أدلة، أقواها قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] فهذه الآية الكريمة تدل على أن الأسماء كلها مُعلِّمة لآدم عليه السلام من عند الله، والاختصار على الأسماء إمَّا لأن الرسم في الاستعمال على قسمين الأول: بالنسبة للاصطلاح النحوي، والثاني: بالنسبة للوضع الأول ويطلق على أنواع الكلم الثلاثة؛ لأن كلاً منها علامة كما في الآية الكريمة التي معنا.

وإما لأنها أقوى أنواع الكلم الثلاثة؛ لأنه لا بد لكل كلام مفيد من الاسم، وقد تستغني الجملة عن الفعل، والحرف معاً.

واستدلوا أيضاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣].

وجه الاستدلال أن الله سبحانه وتعالى ذم قومًا في إطلاقهم أسماء غير توفيقية، وذلك يقتضي كون البواقي توفيقية.

واستدلوا أيضًا بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَإِخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢].

وجه الاستدلال: أن الألسنة اللحمانية غير مرادة لعدم اختلافها؛ لأن بدائع الصنع في غيرها أكثر، فالمراد بها اللغات.

واستدل غير المسلمين من القائلين بهذه النظرية بما ورد في سفر التكوين الجزء الثاني الفقرتين: ١٩-٢٠ حيث يذكر: "والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول، وجميع طيور السماء ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها، وليحمل كل منها الاسم الذي يضعه له الإنسان، فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة، ولطيور السماء، ودواب الحقول".

## ٢- الأدلة العقلية:

استدل القائلون بهذه النظرية من المسلمين بأدلة عقلية، وهي:

١- لو كانت اللغات اصطلاحية لاحتج في التخاطب بوضعها إلى اصطلاح آخر من لغة أو كتابة يعود إليه الكلام، ويلزم من هذا إمَّا الدور أو التسلسل، وكلاهما محال، فيتعين حينئذ كون اللغة توفيقية، ويضيف ابن فارس قوله: ولم يبلغنا أن قومًا من العرب في زمان يقارب زماننا أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه، فكنا نستدل بذلك على اصطلاح كان قبلهم.

٢- الكلام أجل من أن يدعه الإنسان، وكيف يدعه، وهو إنما يفكر عن طريق ألفاظ متخيلة يناجي بها نفسه، فالفكرة متوقفة على الكلام، وإذا كان الطفل لا يفكر إلا بعد أن يكلمه أبوه فكذلك الإنسان الأول لا يفكر إلا بعد أن يكلمه الله.

ويقول ابن فارس الدليل على صحته إجماع العلماء على الاحتجاج بلغة

القوم فيما يختلفون فيه أو يتفوقون عليه ثم احتجاجهم بأشعارهم، ولو كانت اللغة مواضعة واصطلاحاً لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم بأولى في الاحتجاج بنا لو اصطلحنا على لغة اليوم، ولا فرق.

هذه النظرية في الميزان:

إذا نظرنا في الأدلة التي استدلت بها أصحاب هذه النظرية سواء منها الأدلة النقلية أو الأدلة الفعلية لتبين لنا من خلال مناقشة العلماء لها ما يلي:

١- مناقشة الأدلة النقلية:

١- قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَقْبِلُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١].

الاستدلال بهذه الآية قائم على تفسير (عَلَّمَ) بَلَقَّنَ ووقف، وعلى تفسير الأسماء بالألفاظ. وهذا غير متعين؛ لما يأتي:

أ- يقول ابن جني في تفسير هذه الآية: "يجوز أن يكون تأويل عَلَّمَ آدم أي أقره على أن واضع عليها، وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة، وإذا كان هذا محتملاً سقط الاستدلال بهذه الآية على كون اللغة توقيفية"<sup>(١)</sup>.

وقال الراغب: "وعلم آدم الأسماء كلها، فتعليمه الأسماء هو أن يجعل له قدرة بما نطق ووضع أسماء الأشياء، وهنا صريح في أن آدم الْكَلْبَلَا هو الذي وضع اللغة، وعَلَّمَ على هذا بمعنى أقدر، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

ب- تفسير الأسماء بالألفاظ اصطلاح نحوي متأخر، وأصل وضعها في اللغة أن تكون علامة، ودليلاً على المسمى وإنما يدل على الشيء بصفاته وخصائصه فيحتمل بل من المرجح أن يكون المراد من الأسماء الخصائص والصفات فسمه

(١) الخصائص لابن جني (٤١/١).

الخيل العَدُو، وسمة الثور الحرث، وسمة الجمال الحمل.

فلم لا يكون المراد هو خصائص الأشياء، وإذا كان هذا محتملاً سقط الاستدلال به.

٢- ويجاب عن الآية الثانية بأنه - سبحانه وتعالى - ذمهم؛ لأنهم سَمَوْا الأصنام آلهة، واعتقدوها كذلك.

٣- ويجاب عن الآية الثالثة: بأن المراد هي الألسنة اللحمانية، واختلافها هو أن ينشئها الله تعالى مختلفة في الشكل والهيئة والتركيب فتختلف نغماتها وأصواتها حتى لا يشتبه صوتان من أخوين، ولا شك أن في هذا من بدائع الصنع ما فيه. أما الدليل الذي استدل به غير المسلمين، فالنص المذكور عن سفر التكوين لا يدل على شيء مما يقول به أصحاب هذه النظرية، بل يكاد يكون دليلاً عليهم.

#### ٢- مناقشة الأدلة العقلية:

وأما الأدلة العقلية التي أوردها بعض علماء المسلمين فمردود عليها أيضاً، وإليك الردود:

١- الاصطلاح لا يستدعي اصطلاحاً آخر؛ بدليل تعليم الطفل دون سابق اصطلاح، وهذا الدليل أصل للرد على من يقول بأن اللغة اصطلاحية، وكون اللغة غير اصطلاحية لا يتعين منه كونه توقيفية، لأنه يحتمل نشأتها عن طريق آخر غير هذين الرأيين (التوقيفي والاصطلاح).  
٢- قولهم: الفكرة متوقفة على الكلام.

الرد عليه هو أن الفكرة لا تتوقف على الكلام الصوتي، وإنما تتوقف على الكلام النفسي، الذي لا يخلو منه إنسان، حتى الإنسان في نومه، واللغة والكلام الذي نريد الاستدلال على نشأته كلام صوتي لا نفسي.

٣- وأما الرد على ابن فارس: فهو أن كون اللغة توقيفية أو غير ذلك، فإن المراد من اللغة: اللغة الإنسانية الأولى، وليست اللغة العربية التي تعنيها أنت. والخلاصة أن هذه النظرية ليست موضع اتفاق؛ ولذا وجدنا المفكرين من قدامى ومحدثين يقولون بنظريات أخرى سنقف على بعضها:

ثانياً: نظرية المحاكاة:

وهذه النظرية مؤداها أن لغة الإنسان الأول نشأت أول ما نشأت عن طريق المحاكاة، فلقد سمى الأشياء بأسماء مقتبسة من أصواتها، وعبرَ عن الأفعال بأصوات تشبه الأصوات التي تصدر عند قيام الإنسان بتلك الأعمال، وسارت اللغة في سبيل الرقي شيئاً فشيئاً تبعاً لارتقاء العقلية الإنسانية وتقدم الحضارة، واتساع نطاق الحياة الاجتماعية، وتعدد الحاجات.

ولقد قال بهذه النظرية كثير من فلاسفة العصور القديمة، ومن علماء العرب في العصور الوسطى كابن جني في كتابه "الخصائص" فلقد عرض هذه النظرية عرضاً تفصيلياً. والظاهر أنه يميل إلى الأخذ بها.

ولقد قال بهذه النظرية أيضاً كثير من علماء اللغة المحدثين على رأسهم "وتني".

ثالثاً: نظرية المواضع:

مؤدى هذه النظرية أن اللغة ابتدعت ووجدت عن طريق التواضع، والاتفاق وارتجال ألفاظها ارتجالاً فالإنسان هو الذي ركب الكلمات من الحروف، ووضع ألفاظ اللغة لمعانيها.

ويقولون إن الإنسان دعت الحاجة إلى أن يتفاهم مع غيره من بني قومه، ولا يمكن ذلك إلا عن طريق اللغة مما أدى أن يقوم واحد أو جماعة إلى وضع الألفاظ وتكوينها من الأصوات والحروف المختلفة ثم وضعها بإزاء معانيها، ثم عرف الباقون هذين عن طريق التكرار والإشارة كما يفعل الوالدان بالطفل الصغير،

وكما يفعل الأخرس مع غيره حيث يبين عما في نفسه عن طريق تكرار لإشارة عدة مرات.  
أصحاب هذه النظرية:

ذهب إلى القول بهذا الرأي في العصور القديمة الفيلسوف اليوناني  
"ديموكرت" من فلاسفة القرن الخامس قبل الميلاد.

وفي العصور الوسطى كثيرون، فلقد قال بهذه النظرية أبو علي الفارسي،  
وأبو الحسن الأرخش، في أحد قوليهما.

وقال بها من الأوربيين في العصر الحديث الأب آدم سميث، ودجلد  
ستيوارت. ويبيّن لنا ابن جني المواضع فيقول نقلاً عن القائلين بها.

"وذلك بأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً فيحتاجون إلى الإبانة عن  
أشياء ومعلومات، فيضعوا لكل واحد منهما سمة ولفظاً إذا ذكر عرف به ما  
قسماه ليمتاز من غيره، بل قد يحتاج في كثير من الأحوال إلى ذكر ما لا يمكن  
إحضاره، ولا إدناؤه كالفاني، وحال اجتماع الضدين على المحل الواحد كيف  
يكون ذلك لو جاز؟ فكأنهم جاءوا إلى واحد من بني آدم، فأومأوا إليه، وقالوا:  
إنسان إنسان إنسان، فأبى وقت سمع هذا اللفظ علم أن المراد به هذا الضرب من  
المخلوق، وإن أرادوا سمة عينه أو يده أشاروا إلى ذلك.. فمتى سمعت اللفظة  
عُرف معناها، وهلم جرّاً فيما سوى هذا من الأشياء والأفعال والحروف.

ثم لك بعد ذلك أن تنقل هذه المواضع إلى غيرها (أي من اللغات الأخرى)  
فنقول الذي اسمه إنسان فليجعل مكانه "سر" وعلى هذا بقية لكلام.

وكذلك لو بدئت اللغة الفارسية، فوقعت المواضع عليها لجاز أن تنقل  
ويولد منها لغات كثيرة من الرومية والزنجية وغيرها، وعلى هذا ما نشاهده من  
اختراع الصنّاع لآلات صنائعهم من الأسماء كالنجر والصائغ والحائك والبتّاء،  
وكذلك الملاح<sup>(١)</sup>.

(١) الخصائص لابن جني (٤٠/١) وما بعدها.

## أدلة هذه النظرية:

ليس لهذه النظرية أيّ دليل عقلي أو تاريخي أو نقلي بل قامت نظريتهم هذه على أساس هدم النظرية التوقيفية، والرد عليها.

واستدلوا على نظريتهم بقولهم إن أول اللغة لا بد أن يكون مواضعة، ولا بد مع المواضعة من الإشارة بالجارحة، والخالق منزّه عن الجارحة، وإذا امتنعت المواضعة من الله فلا بد أن تكون من الإنسان.

وفي الرد على زعمهم هذا، يقال لهم: إن قولكم إن أول اللغة لا بد أن يكون مواضعة غير مسلم؛ لأنه محل الخلاف بينكم، وبين من قالوا بالتوقيف.

ولسنا هنا بصدد مناقشة نظرية جديدة بالمناقشة؛ لأنها ضربٌ من ضروب التخمين، والجدل العقلي العقيم؛ وذلك لأن التواضع الذي ذهبوا إليه لا بد له من لغة صوتية يفهم عن طريقها، فما يجعله أصحاب هذه النظرية منشأً للغة يتوقف هو نفسه على وجودها من قبل.

وأما ما اعتمدوا عليه من قولهم إذا لم تكن اللغة مواضعة لكانت توقيفية، ويلزم من كونها توقيفية وجود واسطة بين الله وبين البشر لاستحالة خطاب الله تعالى مع كل أحد من بني الإنسان؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥١].

والواسطة النبي ووجود النبي مقدم على اللغة، ويُطل هنا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤]، والآية صريحة على تقديم اللغة على البعثة.

فُجَاب عنه بأن الآيّة تدلّ على ذلك فعلاً، وهو تقدم اللغة على البعثة، ولكن يحتمل أن يتخذ أول نبي ثم يوحى إليه باللغة، فيعلمها قومه ثم يرسله إليهم. ومن هنا يتبين لنا عدم جدوى هذه النظرية، ويظهر لنا ضعفها وفسادها.

رابعاً: نظرية الغريزة الكلامية:

مؤدى هذه النظرية أن اللغة نشأت عن طريق غريزة خاصة زود بها أفراد الجنس البشري في بادئ الأمر، وهذه الغريزة كانت تحمل كل فرد من الأفراد على التعبير عن كل ما يدركه من الحسيات والمعنويات بكلمات خاصة لكل نوع. وذلك بالقياس على التعبير الطبيعي عن الانفعالات حتى اليوم مثل الضحك، البكاء، انبساط أسارير الوجه، وانقباضها لدى جميع الأفراد. وهذه الغريزة التي زود بها الإنسان كانت متحدة عند بني البشر في بداية الأمر، وبفضلها استطاع الإنسان أن يتفاهم، ومن هنا كانت التعبيرات متشابهة لدى الجماعات الإنسانية الأولى، ثم بمرور الزمن تُنوسيت هذه الغريزة. أصحاب هذه النظرية:

والقائلون بهذه النظرية جماعة على رأسهم "ماكس مولر" الألماني، و"رينان" الفرنسي. أدلتها:

اعتمد هذان العالمان في إثبات هذه النظرية على أدلة مستمدة من البحث في الكلمات في اللغات الهندية الأوروبية؛ إذ تبين "ماكس مولر" أن هذه الكلمات ترجع إلى خمسمائة أصل مشترك، وهذه الأصول تمثل اللغة الإنسانية الأولى لأمرين: الأول: أنها تدل على أمور كلية.

الثاني: أنه لا تشابه بين معاني هذه الأصول وأصواتها حيث يمكن أن تكون اللغة نشأت عن طريق التواضع؛ نظراً لدلالة هذه الأصول على معاني كلية لا يمكن التواضع عليها، ونظراً لتوقف التواضع أيضاً على ألفاظ يمكن التفاهم عن طريقها، وهو أيضاً يتعارض مع النظم الاجتماعية، ولا يمكن أن تكون اللغة أيضاً نشأت عن طريق المحاكاة لعدم تشابه معاني هذه الكليات وأصواتها، فلا يمكن -إذن- أن

تكون اللغة نشأت عن طريق المواضع والمحاكاة، وإذا كان الأمر كذلك تعين كونها نشأت عن طريق هذه الغريزة الخاصة التي زود بها أفراد البشر ثم تلاشت وذهبت.

وهذه النظرية - كما ترى - لا تقوم على أساس سليم فأكبر خطأ وقع فيه أصحابها هو ذهابهم إلى أن الأصول الخمسمائة تمثل اللغة الإنسانية الأولى، وليس الأمر كذلك، فالواقع أن هذه الأمور الكلية تمثل مرحلة متقدمة للغة قطعت أشواطاً بعيدة في التقدم والرقي، ولا أدل على ذلك من لغات الأمم البدائية، والتي تعد أقرب إلى اللغة الإنسانية الأولى، فلا يكادون يدركون المعاني الكلية؛ نظراً لضعف مستواهم العقلي والذهني، وألفاظ لغتهم تشمل الكثير من المفردات التي تدل على أمور جزئية وحسية وما إلى ذلك.

فهذه النظرية أيضاً لا تحل المشكلة التي نحن بصدد حلها فهي غير مقبولة جملة وتفصيلاً.

خامساً: النظرية الحديثة في نشأة اللغة:

وتسمى: نظرية التطور اللغوي، ولقد رجح بعض المحدثين هذه النظرية، ومؤداهما أن اللغة ظاهرة اجتماعية. ومعنى كونها اجتماعية أنها تنمو في المجتمعات؛ نتيجة لاتصال أفراد المجتمع بعضهم ببعض، وحاجتهم إلى التفاهم، وظاهرة اللغة كأى ظاهرة اجتماعية أخرى نشأت أول ما نشأت بسيطة ساذجة، ثم بمرور الزمن سلكت مراحل متعددة في تطورها ونموها حتى وصلت إلى درجة الكمال، أو قاربت.

ومعنى كونها ظاهرة اجتماعية أنها ناشئة عن ميل الإنسان ميلاً فطرياً إلى التعبير عن إحساساته وأغراضه.

ومما ساعد على ترجيح هذه النظرية دراسة التطور اللغوي لدى الطفل، فإن هذا النمو يشبه إلى درجة كبيرة نمو لغة الطفل كنوع، أي أن اللغة نشأت كفرد بالطريقة التي نشأت فيه كنوع.

أما المراحل التي سلكتها اللغة في تطورها في الحالتين السابقتين فيمكن

إجمالاً في عدة مراحل هي:

أولاً: مرحلة الأصوات الساذجة الانبعائية التي صدرت عن الإنسان في حياته الأولى، حين لم تنضج أعضاء التكلم لديه ولم تحدد رغباته. وتظهر هذه المرحلة عند الطفل في حياته اللغوية في الوقت الذي تصدر عنه في أول عهده بالنطق بعض أصوات مبهمه لا يُفهم منها في كثير من الأحيان غرض معين.

ثانياً: مرحلة الأصوات المكيفة، المنبئة عن الأغراض والرغبات، المصحوبة في الغالب بالإشارات أو الحركات المتنوعة، المساعدة للأصوات على الإبانة عن الأغراض التي يقصدها ويعنيها، وقد ساعد على هذا التطور في الأصوات نمو أعضاء النطق من جهة، ونمو الإحساس بالشعور الذاتي لدى الإنسان من جهة أخرى، والأصوات المكيفة هي المتنوعة لاختلافها في الطول والقصر، والارتفاع والانخفاض والغلظ والرقّة.

ويشبه هذه المرحلة في نمو الطفل اللغوي تلك المرحلة التي يصل إليها في أواخر السنة الأولى من حياته -تقريباً.

وفي هذه المرحلة من مراحل النمو اللغوي لدى الإنسان لم يكن هناك كبير فرق بين أصوات الإنسان، وأصوات الحيوان الدالة على شعوره بالحاجة إلى مساعدة غيره، فهو بهذه الأصوات يعبر عن شعوره ويستعين بغيره من أبناء جنسه.

ثالثاً: مرحلة المقاطع المتكررة:

وفي هذه المرحلة تستعمل لغة الإنسان أصواتاً واضحة المعالم، ومحددة بعد أن كانت في صورة مقاطع قصيرة مستنبطة في الغالب من الأصوات المحيطة به من الأشياء والظواهر الطبيعية أو على الأقل متأثرة بها، وهذه المرحلة تشبه عند الطفل المرحلة التي تبدأ في الأشهر الأولى من السنة الثانية من حياته، وذلك حين ينطق بمقاطع مكررة، يطلب بها ما يريد من أشياء معينة، متأثراً في ذلك بما يحيط به،

ولا يزال يكرر ذلك حتى تتكون منها لغته البدائية، وذلك كقوله: تك تك للدلالة على المنبه، وبس بس للدلالة على القطعة، ومش مش للدلالة على المشمش وشك شك للدلالة على الشكولاته، وهَوَّ هَوَّ للدلالة على الكلب... إلخ.  
رابعاً: مرحلة الكلمات المكونة من المقاطع:

وفي هذه المرحلة تم اكتمال لغة الإنسان الفطرية الأولى، ولقد وصل إلى هذه المرحلة حين اكتمل عقله، وتم لأعضاء النطق عنده النضج والاكتمال، واتسع نطاق حياته الاجتماعية، وزادت رغباته، وتعددت مطالبه، وكان نتيجة لذلك كله أن زادت حاجته للغة؛ كي يتفاهم عن طريقها مع غيره.

وفي هذه المرحلة كوّن الإنسان الكلمات من المقاطع السابق شرحها في المرحلة السابقة، فكان بذلك بداية الأصول اللغوية العامة، التي استعملها الإنسان الأول لقضاء حاجاته، والتعبير عن أغراضه ورغباته، ومن هذه الأصول اشتقّ الإنسان الكثير من الفروع، وبالتأليف بين هذه الفروع وتلك الأصول اكتمل تكوين لغة الإنسان الفطرية هذه.

وتشبه هذه المرحلة في حياة الطفل اللغوية مرحلة نموّ اللغوي حين يستطيع التكلم، كما يتكلم غيره ممن يحيطون به، ويخالطونه، وهنا تتألف ثروته اللغوية حينئذ من مجموعة الكلمات الضرورية التي تشيع في بيئته للتعبير عن أغراضه، وتنتهي هذه المرحلة في بداية السنة الرابعة عند الطفل بالتقريب.

خامساً: مرحلة الوضع والاصطلاح:

وهذه المرحلة آخر مراحل النموّ اللغوي العادي، وهي أن تكون فطرية تقوم على أساس فطري، ذلك هو حاجة الإنسان الملحة إلى السيطرة على زمام البيئة التي يعيش فيها، وجعل لغته مسارية لتفكيره ومشاهداته التي يتسع نطاقها على مر الزمن لكثرة التجارب وتشعب نواحي الحياة، وفي هذه المرحلة ابتكرت

الأسماء الدالة على المسميات، ووضعت المصطلحات العلمية، ولا تزال اللغة تنمو باطراد، ولا يزال عدد مفرداتها يزيد كلما تقدم الإنسان في الحضارة، وازداد نموه الفكري ازدياداً لا يظهر أنه سيقف عند حدّ.

ويشبه هذه المرحلة مرحلة النمو اللغوي لدى الطفل حينما يذهب إلى المدرسة ويدرس العلوم والفنون، ويتعلم المصطلحات العلمية والفنية المختلفة التي تحتوي عليها تلك العلوم والفنون.

#### سادساً: مرحلة وضع قواعد اللغة:

لم يكتف الإنسان الذي لا تقف جهوده الفكرية عند حد بأن يتعلم اللغة، ويعرف مفرداتها وأساليبها الضرورية لسد حاجته، وقضاء مآربه الاجتماعية بل إنه أخذ يقنن اللغة ويضبطها عن طريق وضع قواعد تحافظ عليها وتصونها من الانحراف والخلل وتسهّل تعلمها وتعليمها، كما أنه أخذ -حين اكمل عقله وتم نضجه الفكري- يضع القواعد الفكرية، وهي القوانين المنطقية التي تحفظ الفكر وتحميه من الفساد.

وتشبه هذه المرحلة من مراحل النمو اللغوي لدى الطفل تلك المرحلة التي يتعلم فيها قواعد اللغة حين ينمو إدراكه، ويستطيع أن يستنبط القواعد العامة، والقوانين الكلية من الأمور الجزئية، ولا يصل الطفل إلى هذه المرحلة إلا في أواخر السنة الحادية عشرة من العمر.

#### سابعاً: مرحلة التمييز والتجميل:

ويظهر أن هذه المرحلة ليست مستقلة تمام الاستقلال عن المرحلتين

السابقتين؛ بل إنها متداخلة فيهما مكمّلة لهما، وتمثل هذه المرحلة في تحميل الكلام وإخضاعه لمقاييس النظم أو النثر الفني، وكان من آثار ذلك ظهور الشعر والنثر الفني اللذين يتمثل فيهما جمال اللغة وبعد أن وَضَحَتْ معالم هذه النظرية لديك، ووقفت على جميع مراحلها التي تسير في نسق واتزان وتسلسل وانسجام، وتندرج من النشأة إلى النضج والكمال ومن الصغر إلى الكبر يتبين لك أن هذه النظرية أقرب النظريات التي مرت بك، وأساس ترجيح هذه النظرية على ما عداها؛ أنها تخضع اللغة في نشأتها وتطورها إلى سنة التطور، شأنها في ذلك شأن كل كائن حي ينشأ صغيراً ثم ينمو شيئاً فشيئاً بحكم طبيعته البيئية التي ينشأ فيها حتى يصل إلى درجة الكمال، ثم إن هذه النظرية تشرح لنا السر في نمو اللغة من حيث متنها وأساليبها، وتعزو ذلك إلى سلوك الإنسان مسلك التقدم والرقى في جميع مقومات حياته الخاصة، وظروف حياته الاجتماعية وإلى حاجته العامة إلى تنمية لغته لتساير حياته؛ كي تسعفه بالألفاظ اللازمة للتعبير عن أفكاره وأغراضه، والتي تزداد على مر الأجيال وتوالي القرون.

مما سبق يتبين لنا آراء العلماء في هذا الموضوع الشيق الشائك، ونرى أن أول اللغة توقيف من الله تعالى؛ لقوله ﷻ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31]؛ لأنه لا اجتهاد مع النص، ثم توسع في اللغة بأحد الطرق التي عرفتها بطريق الوضع والاصطلاح أو المحاكاة أو الغريزة الكلامية، وغيرها من النظريات التي قيل بها، أمّا بداية اللغة فهو توقيف من الله لا غير.

## خلاصة الوحدة الأولى

**الفصل الأول:** بين فقه اللغة وعلم اللغة: يجدر بنا أن نقف على حقيقة هذه التسمية، وهذا المصطلح، هل هو "فقه اللغة" أم "علم اللغة" والباحثون منقسمون بين هذه التسمية وتلك، والذي نراه أن مصطلح "فقه اللغة" يرادف مصطلح "علم اللغة"؛ لأنه من الصعب تحديد الفروق الدقيقة بينهما.

وفقه اللغة يعني: فهم اللغة والفطنة إلى أسرارها والعلم بظواهرها اللغوية المختلفة، ولم يظهر مصطلح فقه اللغة قديماً إلا عند ابن فارس والتهالبي، ثم اختفى حتى عصرنا الحديث ما بين مؤيد لمصطلح "فقه اللغة" وآخر بمصطلح "علم اللغة".

مباحث فقه اللغة:

- ١- الكلام على أصل اللغة الإنسانية الأولى وكيف نشأت؟
- ٢- دراسة ما يتعلق بحياة اللغة وما طرأ عليها.
- ٣- دراسة الأصوات التي تكوّن الألفاظ اللغوية وهو ما يسمى بعلم الأصوات.
- ٤- دراسة اللغة من حيث المعنى وهو ما يسمى السيمانتيك.
- ٥- دراسة علم النظر "الستكس".
- ٦- دراسة علم الأساليب "الستيلتيك" وينقسم هذا العلم إلى أربعة أقسام: أ- دراسة وصفية. ب- دراسة تاريخية. ج- دراسة مقارنة. د- دراسة عامة.
- ٧- البحث في الأصول التي جاءت منها الكلمات وهو ما يسمى بعلم "الإيتيمولوجيا".
- ٨- بحوث اجتماعية، تهدف إلى بيان العلاقة بين اللغة والمجتمع.
- ٩- بحوث نفسية تبين العلاقة بين اللغة والظواهر النفسية من تفكير وخيال.

مقاصد فقه اللغة:

يهدف هذا العلم إلى مقاصد وصفية، من أهمها:

- ١- معرفة حقيقة الظواهر اللغوية التي تتألف منها.

- ٢- بيان الوظائف التي تؤديها اللغة.
  - ٣- الوقوف على العلاقات التي تربط بعضها ببعض.
  - ٤- معرفة أساليب تطورها واختلافها باختلاف الشعوب.
  - ٥- معرفة القوانين التي تحكم كل ما سبق.
- مناهج البحث في "فقه اللغة": وهي الطرق التي يسلكها العلماء في تناولهم المظاهر اللغوية والقضايا التي يعالجونها، وأهم هذه المناهج ما يلي:
- ١- منهج الملاحظة. ٢- المنهج الوصفي. ٣- المنهج المعياري.
  - ٤- المنهج التاريخي. ٥- المنهج الآلي. ٦- المنهج التجريبي.
  - ٧- المنهج المقارن. والحديث عن هذه المناهج قد جاء مفصلاً في الوحدة بما يعني عن إعادته ثانية.

### الفصل الثاني: مستويات التحليل اللغوي

التحليل اللغوي: هو دراسة اللغة لمعرفة أنواع الأصوات ومواقعها وسماتها ووحداتها الصوتية ومتغيراتها، والوقوف على السوابق واللواحق والدواخل وجذور الكلمة، والكشف بين مكونات الجملة الواحدة، وبيان المناسبة بين معاني الكلمات المختلفة للوصول إلى فهم المعنى المقصود، ومن هنا تنوع مستوى التحليل اللغوي إلى:

- ١- التحليل الصوتي. ٢- التحليل الصرفي.
- ٣- التحليل النحوي. ٤- التحليل الدلالي.

### الفصل الثالث: اللغة معناها ونشأتها

#### معنى اللغة من الناحية الاشتقاقية والاصطلاحية:

اللغة خاصية من خواص الإنسان بما هو حيوان ناطق كما رأى ديكارت. واللغة مَجَلِيٌّ للفكر، وترجمان له، وقال أمام الحرمين: اللغة من لغى يلغى من باب رضي، إذا لهج بالكلام، ولم تذكر كلمة لغة في الآداب القديمة التي يُعتمد عليها.

وأما معنى اللغة في الاصطلاح: فقد اختلف العلماء في تعريفها حسب المنهج الذي يتبعونه:

فاللغة عند علماء النفس هي: الوسيلة للتعبير عما في نفس، وما يخطر بالشعور، وهي عند علماء الاجتماع: نظامٌ من رموز ملفوظة عرفية، بواسطتها يتعامل أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة، وهي عند علماء المنطق: وسيلةٌ للتعبير عن الأفكار، وهي عند علماء الفلسفة: رموزٌ صوتيةٌ منظمّةٌ للتعبير عن الأفكار ونقلها من شخص إلى آخر.

وهي تطلق على النطق وعلى التكلم وعلى القوة، وقد عرفها القدماء فقالوا: اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.  
نشأة اللغة عند الإنسان:

لقد تنوعت آراء العلماء في نشأة اللغة عند الإنسان وظهرت نظريات كثيرة تفسّر هذه النشأة، من بينها:

١- نظرية التوقيف. ٢- نظرية المحاكاة. ٣- نظرية المواضعة. ٤- نظرية الغريزة الكلامية.

٥- النظرية الحديثة في نشأة اللغة، ومبنى هذه النظرية عسى أن اللغة مرت بمراحل في نشأتها وتطورها، وهذه المراحل هي:

- ١- مرحلة الأصوات الساذجة. ٢- مرحلة الأصوات المكيفة المنبئة عن الأغراض.
- ٣- مرحلة المقاطع المتكررة. ٤- مرحلة الكلمات المكونة من المقاطع.
- ٥- مرحلة الوضع والاصطلاح. ٦- مرحلة وضع قواعد اللغة.
- ٧- مرحلة التنميق والتجميل.

## اختبار الوحدة الأولى

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (x) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- اختلفت كلمة العلماء في تعريف كل من: فقه اللغة، وعلم اللغة.
- ٢- لا قرابة بين مصطلحي: علم اللغة وفقه اللغة.
- ٣- ليس لتداخل مباحثهما أثر في إطلاق أحدهما على الآخر.
- ٤- ترى طائفة أخرى من العلماء أن مباحث فقه اللغة متداخلة مع مباحث علم اللغة.
- ٥- يرى أصحاب فقه اللغة أن مصطلحهم هذا أحسن وأصح؛ لشيوعه لدى العرب حين ألفوا في الموضوعات التي تدخل تحت هذه التسمية، ولأن كل علم لشيء فهو فقه له.
- ٦- لم يكن مصطلح فقه اللغة معروفاً لدى الباحثين والدارسين العرب عند نشأة الدراسات اللغوية، مع أنهم قد عاجلوا الكثير من جوانبه المهمة، والتي تعدّ من أهم موضوعاته.
- ٧- عالج ابن جني في كتابه: "الخصائص" كل مسائل فقه اللغة.
- ٨- لم يمس كتاب "الصّاحي في فقه اللغة" مسائل فقه اللغة.
- ٩- تؤكد الموازنة الموضوعية بين كتابي: "الخصائص" لابن جني، والصاحي في فقه اللغة لابن فارس اتفاق الكتّابين في محتواهما ومعالجة مسائلهما.
- ١٠- كتاب "فقه اللغة وسر العربية" للإمام الثعالبي كتاب أقرب إلى المعاجم اللغوية من فقه اللغة.
- ١١- خلا كتاب "المخصص" لابن سيده من بحوث فقه اللغة.
- ١٢- كتاب "المعرب" للجواليقي يحمل عنوانه لب موضوعات فقه اللغة.

- ١٣- المزهري للسيوطي جمع سائر الظواهر والقضايا اللغوية التي تدخل تحت مصطلح "فقه اللغة".
- ١٤- "شفاء الغليل" للخفاجي كتاب يمثل موضوعه أحد موضوعات "فقه اللغة".
- ١٥- فقه اللغة في مفهوم جمهور المحدثين "منهج للبحث استقرائي ووصفي، يعرف به أصل اللغة التي يراد درسها، وموطنها الأول، وفصيلتها، وعلاقتها باللغات المجاورة أو البعيدة، الشقيقة أو الأجنبية، وخصائصها وغيوبها، ولهجاتها، وأصواتها، وتطور دلالتها، ومدى نمائها قراءة وكتابه".
- ١٦- عُني جل الباحثين اللغويين بهذا المبحث، وأولوه كل عنايتهم واهتمامهم.
- ١٧- علم الأصوات لدي المحدثين من العرب هو ما عرف لدى القدامى بـ "علم التجويد".
- ١٨- يعرف العلم المعني بدراسة الأصوات اللغوية من ناحية قيمها ووظائفها في اللغة المعينة بـ "الفنولوجي".
- ١٩- دراسة الحقائق الصوتية في لغة ما لبيان مخارج أصواتها وصفاتها وكيفية النطق بها، وأثر بعضها في بعض، وبيان ما يعرض لها من تبدلات مختلفة... يسمى بعلم "الأصوات التاريخي".
- ٢٠- الدراسة الصوتية الخاصة بلغتين ينتميان إلى أصل لغوي واحد للمقارنة بين أصواتهما، وكشف وجوه الشبه والاتفاق أو أوجه الخلاف بينهما تسمى بعلم "الأصوات المقارن".
- ٢١- علم المعنى (السيماتيكي) هو ما يطلق عليه لدينا "علم الدلالة".
- ٢٢- لا تشبه مباحث "علم النظم" مباحث النحو العربي.
- ٢٣- يعد البحث في الأصول التي جاءت منها الكلمات في لغة من اللغات مبحثاً من مباحث "فقه اللغة".

- ٢٤- سبقت الدراسات اللغوية للقدامى غيرها في أمم شتى في بيان علاقة اللغة بالحياة الاجتماعية.
- ٢٥- لم يدرس العرب القدامى علاقة اللغة بالمجتمع ولم تشر دراساتهم إلى ذلك.
- ٢٦- الظواهر اللغوية المختلفة تسير وفق إرادة الأفراد والجماعات.
- ٢٧- تختلف اللغة الصناعية في أصواتها وألفاظها ومعانيها وتراكيبها وأساليبها باختلاف العصور، واختلاف الشعوب الناطقة بها.
- ٢٨- لفقه اللغة مناهج تشاركه فيها علوم أخرى، ومناهج خاصة به اقتضتها طبيعة مسأله، وقضاياه اللغوية.
- ٢٩- أخذ على منهج الملاحظة أن آتته الوحيدة للملاحظة -وهي الأذن- لا تملك من الدقة ما تملكه الأجهزة الدقيقة الحساسة في هذا المجال؛ ولذلك يسهل خداع الأذن، كما يسهل تأثرها بالحالة النفسية للملاحظ.
- ٣٠- يعترف المنهج الوصفي بالبنية التحتية للمفردة العربية، كما يصدر أحكاماً على الظواهر اللغوية من حيث الصحة والخطأ.
- ٣١- يعنى المنهج المعياري بالبنية التحتية.
- ٣٢- لا يعتمد المنهج المعياري على المنهج الوصفي.
- ٣٣- تؤكد دراسات القدامى للغة معرفتهم للمنهج التاريخي مفهوماً وتطبيقاً.
- ٣٤- أخذ على المنهج الآلي مع دقة نتائجه عجزه عن فحص الظواهر اللغوية في حالتها الطبيعية.
- ٣٥- يشترط للمقارنة أن تكون بين لغتين أو لغات تنتمي إلى أصل لغوي واحد.
- ٣٦- لم يعرف القدامى في بحثهم ودرسهم اللغوي "المنهج المقارن".
- ٣٧- للتحليل اللغوي مستويات مختلفة متنوعة.
- ٣٨- التحليل البنني غرضه معرفة أنواع الأصوات، ومواقعها، وسماتها ووحداتها

الصوتية ومتغيراتها.

- ٣٩- الأصوات الساكنة أقل وضوحًا في السمع من أصوات اللين بسبب ما يحدث معها من انسداد جزئي أو كلي في نقطة معينة.
- ٤٠- مجرى الهواء مع الأصوات الثلاثة المذكورة (الميم، النون، اللام) يماثل مجراه مع أصوات اللين.
- ٤١- صوت اللين المختلس تمثله الحركات الثلاثة القصيرة.
- ٤٢- صوت اللين الطويل ويتمثل في أصوات المدّ حين يكون بعقبها همزة أو ساكن في القراءات القرآنية.
- ٤٣- ليس لأصوات اللين أقسام مختلفة من حيث كيفها.
- ٤٤- الكسرة، والإمالة الخفيفة، وأنشودة صوت لين خلفي.
- ٤٥- الفتحة صوت لين ضيق.
- ٤٦- الكسرة والضمة صوت لين متسع.
- ٤٧- دراسة الفوناتيک دراسة للأصوات من حيث وظائفها.
- ٤٨- الدراسة الفنولوجية دراسة للأصوات في جميع سياقاتها وأحوالها المختلفة للتعرف على ما يعترئها من صحة وعلّة وتبدل وتغير.
- ٤٩- الفونيم هو أكبر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني.
- ٥٠- الفتحاح في لغتنا العربية أعضاء لفونيم الفتحة، تحل الواحدة منها محل الأخرى، وتقع موقعها.
- ٥١- الكسرة العربية فونيم لها أعضاؤها التي تناوب المواقع فيما بينها.
- ٥٢- تحل الكسرة محل الفتحة بينما لا تحل الكسرة المنفخمة محل الكسرة بين بين أو الكسرة المرققة.
- ٥٣- الفونيم الأم هو صوت أُصیل نشأ منه صوتان أو أكثر دون أن يكون

للاختلاف أثر في المعنى.

- ٥٤- الفونيم الأم تمثله الصوامت وحدها.
- ٥٥- الفونيم الثانوي هو فونيم عدل لفظه قليلاً ليعطي ظلالاً مختلفة من المعنى.
- ٥٦- لا تعرف العربية الفونيمات الثانوية.
- ٥٧- النبر، الأنغام، الفاصلة، كل منها فونيم ثانوي.
- ٥٨- الفاصلة، النغمة، النبر، كل منها فونيم أم.
- ٥٩- الفونيم لدى اللغويين جميعهم صوت نموذجي يحاول المتكلم تقليده.
- ٦٠- السنتكس أو علم النظم هو علم النحو في تراثنا اللغوي.
- ٦١- الدلالة المعجمية ليست كل شيء في الوقوف على معنى الكلام؛ إذ لا بد من عناصر لغوية أخرى ذات أثر واضح في تحديد المعنى.
- ٦٢- المقام والمقال أساسان من أسس تحليل المعنى وتحديده.
- ٦٣- المعنى المعجمي وحده يكفي للوقوف على معاني الألفاظ ودلالاتها دون النظر إلى المقام والظروف الاجتماعية، والمناسبة التي قيل فيها هذا الكلام أو ذلك.
- ٦٤- دلالة اللفظ أو الكلمة على المعنى ثابتة في كل الأزمان.
- ٦٥- يتناول الحيوان ما حوله بجواسه، بينما يتناولها الإنسان بجواسه وبما تفرد به وتميز متمثلاً في نطقه وتفكيره.
- ٦٦- يؤكد الباحثون ويقررون أن اللغة تحقق ناطقية الإنسان بشقيها: الفكر والعمل، ومن ثم يجعله أهلاً لأن يكون خليفة الله في الأرض.
- ٦٧- يمكن للإنسان أن يستغني عن اللغة ويستبدل بها شيئاً آخر.
- ٦٨- يجمع اللغويون على عروبة كلمة "لغة".
- ٦٩- اختلفت كلمة العلماء في مفهوم اللغة من الناحية الاصطلاحية اختلافاً يَبِيناً طبقاً لمناهج البحث التي يتبعونها.

- ٧٠- اللغة لدى علماء النفس: كل أداة للتعبير عما يخطر بشعور الإنسان ونقها إلى غيره.
- ٧١- اللغة لدى علماء النفس صور مختلفات.
- ٧٢- الإشارة، واللغة المكتوبة وغيرهما من أنواع لا يمثل حقيقة اللغة وماهيتها.
- ٧٣- قال "إدجار استيرتفنت": "إنَّ للغة ثلاث وظائف":
- أ- كونها وسيلة للتوصيل. ب- كونها مساعداً آلياً للتفكير.
- ج- كونها أداة للتسجيل والرجوع.
- ٧٤- عرّفت المدرسة الفلسفية اللغة بأنها "استعمال رموز صوتية منظمة للتعبير عن الأفكار ونقها من شخص لآخر".
- ٧٥- عرف سيويه اللغة بأنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".
- ٧٦- يمثل التعريف المذكور تعريف المدرسة اللغوية.
- ٧٧- اللغة ظاهرة اجتماعية يصيبها ما يصيب الظاهرة الاجتماعية.
- ٧٨- القول بتوقيفية اللغة مقصود منه رد نشأتهما الأولى إلى الله ﷻ.
- ٧٩- استند القائلون بالتوقيف إلى أدلة نقلية وعقلية قطعية الدلالة.
- ٨٠- سلّم القول بالتوقيف من النقد والظعن في صحته وسلامته.
- ٨١- أجمع العلماء اقدمي والمحدثون على القول بتوقيفية اللغة الأولى.
- ٨٢- نظرية المحاكاة إحدى نظريات نشأة اللغة الأولى، ويعنى بها تسمية الإنسان الأول الأشياء بأسماء مقتبسة من أصواتها وتسميته الأفعال بأصوات تشبه الأصوات التي تصدر عند قيام الإنسان بتلك الأعمال.
- ٨٣- قال بهذه النظرية الفيلسوف اليوناني "هيراكليت" وفي العصور الوسطى بعض فقهاء العربية كابن فارس وأبي علي الفارسي.
- ٨٤- قال ابن جني بالتوقيف ولم يقل بالمحاكاة.
- ٨٥- للقائلين بالمحاكاة أدلة نقلية وعقلية.

٨٦- قال بنظرية المواضع "ديموكرت" أحد فلاسفة اليونان القدامى، كما قال بها من المحدثين "آدم سميث".

٨٧- عرض ابن جنّي في "خصائصه" لنظريات نشأة اللغة لكنه أغفل منها نظرية المواضع.

٨٨- للقائلين بالمواضع أدلتهم النقلية والعقلية والتاريخية.

٨٩- سلمت علة القائلين بالمواضع من النقد والظعن.

٩٠- تعلل القائلون بالمواضع بأن اللغة لو لم تكن مواضعاً لكانت توقيفية، والقول بتوقيفيتها يقتضي وجود واسطة بين الله وبين البشر، وهذا أمر مستحيل لاستحالة خطاب الله تعالى مع كل أحد من بني الإنسان.

٩١- القول بنظرية الغريزة الكلامية إبطال للنظريات الأخرى؛ وذلك لاستحالة القول بها.

٩٢- خلت اللغة الأولى من دلالتها على المعاني الكلية وانتظمت مفرداتها مفردات دالة على أمور جزئية وحسية وما إلى ذلك.

٩٣- لا تمثل لغات الأمم البدائية اللغة الإنسانية الأولى أصدق تمثيل، لكنها تعدّ أقرب اللغات إلى اللغة الإنسانية الأولى.

٩٤- يرى القائلون بهذه النظرية أن اللغة الإنسانية ناشئة عن ميل الإنسان ميلاً فطرياً إلى التعبير عن إحساساته وأغراضه.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- هناك قرابة بين مصطلحي:

أ- علم اللغة وفقه اللغة.

ب- علم اللغة والعروض.

ج- علم اللغة والنحو العربي.

د- جميع ما سبق.

٢- عالج ابن جنّي في الخصائص:

أ- كل مسائل فقه اللغة.

- ب- بعض مسائل فقه اللغة.
- ج- لم يعالج من مسائل فقه اللغة شيئاً.
- ٣- عالج ابن سيده في المخصص:
- أ- بعض المسائل المتعلقة بفقه اللغة.
- ب- كل المسائل المتعلقة بفقه اللغة.
- ج- لم يعالج منها شيئاً.
- ٤- كتاب الصاحبي في فقه اللغة لمؤلفه:
- أ- ابن فارس.                      ب- ابن جني.
- ج- الثعالبي.                      د- الخفاجي.
- ٥- شفاء الغليل في فقه اللغة من تأليف:
- أ- ابن فارس.                      ب- ابن سيده.
- ج- الخفاجي.                      د- السيوطي.
- ٦- العلم المعني بدراسة الأصوات اللغوية يعرف بـ:
- أ- الفوناتيک.                      ب- الفنولوجي.
- ج- السيمانتيک.
- ٧- منهج الملاحظة:
- أ- مقصور على فقه اللغة.
- ب- تشاركه في فقه علوم أخرى.
- ج- مقصور على العلوم الطبيعية.
- ٨- المنهج التاريخي منهج معني بدراسة:
- أ- تطور أصوات اللغة.

ب- بنية اللغة.

ج- التراكيب والدلالة عبر العصور.

د- جميع ما سبق.

٩- يهدف التحليل الصوتي إلى الوقوف على:

أ- السوابق. ب- اللواحق. ج- الدواخل.

د- جذور الكلمة. هـ- جميع ما سبق

١٠- أصوات اللين:

أ- لها أقسام مختلفة من حيث كيفيةها.

ب- ليس لها أقسام مختلفة، بل هي قسم واحد.

١١- الفونيم هو :

أ- أكبر وحدة صوتية.

ب- أصغر وحدة صوتية.

ج- عائلة من الأصوات المترابطة.

١٢- الفونيم الأم يشمل:

أ- الأصوات اللغوية بصوامتها وصوائتها.

ب- الصوامت فقط.

ج- الصوائت فقط.

ثالثاً: الأسئلة المقالية: أجب عما يأتي:

١- اختلفت كلمة العلماء في علاقة "فقه اللغة" "بعلم اللغة". تناول هذه الحقيقة

بالتوضيح مع بيان رأيك والتعليل له.

- ٢- عرف مصطلحي: "فقه اللغة" و "علم اللغة" لدى القدامى والمحدثين مع ذكر الفرق بينهما.
- ٣- لفقه اللغة مباحته التي يعرض لها بالبحث والمعالجة. فما هي؟ وما أهم المؤلفات التراثية التي تناولتها بالبحث والمعالجة؟ وما رأيك فيها؟ وما دلالة ذلك في مجال البحث والدرس؟
- ٤- كان لفقهاء اللغة القدامى بحوث نفيسة تقرر سببهم لفقهاء اللغة المحدثين في الوقوف على مباحث "فقه اللغة" ومجالاته التي يزعم بعض المستشرقين ولادتها على أيديهم وفي مدارسهم. ناقش هذا القول في ضوء ما درست.
- ٥- تقوم دراسة فقه اللغة على مناهج بحثية محددة الملامح والخصائص. اذكر هذه المناهج البحثية ذكراً جملأً ينتظم ملامح كل منهج وخصائصه.
- ٦- تعددت مناهج البحث في "فقه اللغة" اكشف عن سر تعددها وأثره في مجال الدرس اللغوي.
- ٧- من مناهج البحث في "فقه اللغة": منهج الملاحظة. أفصح عن المراد منه، واكشف عن طبيعته، واذكر ضابطة، وبعض مآخذ العلماء عليه.
- ٨- المنهج الوصفي أحد مناهج البحث في "فقه اللغة" فما حقيقته؟ وما غرضه؟ وما طبيعته؟ وفيه يختلف عن منهج الملاحظة؟ وما مآخذ العلماء عليه؟ وما رأيك فيها مع التعليل؟
- ٩- يعد المنهج التاريخي أحد المناهج البحثية في "فقه اللغة". عرفه واكشف عن غرضه، واذكر مجالاته وبعض الأمثلة الموضحة لها، وهل عرفه فقهاء اللغة القدامى؟
- ١٠- المنهج الآلي منهج بحث في "فقه اللغة" وضع العلماء له تعريفاً وحدوداً وغرضاً وأدوات وضوابط. اشرح هذا القول في ضوء ما درست.

- ١١- لفقهاء اللغة على المنهج الآلي مأخذ. اذكر هنا المأخذ وناقشه مع بيان رأيك فيه.
- ١٢- من المناهج البحثية العلمية "المنهج التجريبي" فما حقيقته؟ وما الباعث عليه؟ وما مجالاته؟ وما نصيب فقه اللغة منه؟ وما موقف فقهاء اللغة منه؟ اذكر بعض مأخذهم عليه؟
- ١٣- من المناهج العظيمة الفائدة في فقه اللغة المنهج المقارن فما مفهومه؟ وما هدفه؟ وما مجالاته؟ وما ضوابطه؟ وما رأيك في نتائجه وما أخذه بعض فقهاء اللغة عليه؟ وبم تحقق لهذا المنهج موضوعيته؟ وهل عرف فقهاء اللغة القدامى المنهج المقارن؟ وضح ما تقول بالأدلة المشفوعة بالأمثلة.
- ١٤- للقدامى مؤلفات قيمة، تبوأ في مجال البحث والدرس اللغويين مكاناً علياً، فسما قدرها، وشرفت مكانتها، وفي صدرها كتاب "الخصائص" لابن جني، "الصاحبي في فقه اللغة" لابن فارس، "فقه اللغة وسر العربية" للثعالبي، "المخصص" لابن سيده، "المزهر" للسيوطي، ولكل منها محتواها العلمي، اذكر المحتوى العلمي لكل منها، وأفصح عن دلالاته.
- ١٥- "المعرب" للجواليقي، و"شفاء الغليل" للخفاجي مؤلفان لغويان يمثل موضوعهما مبحثاً من مباحث فقه اللغة. قارن بين المؤلفين غرضاً، ومنهجاً، ومادة، مع بيان وجه الاتفاق والاختلاف بين كل منهما.
- ١٦- عرفت الدراسات اللغوية للمحدثين ما يسمى بالتحليل اللغوي. فما المراد منه؟ وما غرضه؟
- ١٧- للتحليل اللغوي مستوياته المختلفة. تناول بقلمك هذا القول في ضوء ما درست.
- ١٨- التحليل الصوتي أحد مستويات التحليل اللغوي فما المقصود منه؟ وما فائدته في الدرس؟ وما مجالاته؟
- ١٨- لأصوات اللين خصائصها المميزة لها عما سواها. اشرح هذا القول وبيّن

فائدة وقوف متعلم اللغة ودارسها على هذه الخصائص.

٢٠- للسواكن مفهوما، وطبيعتها، وخصائصها. يَبين ذلك في ضوء ما درست.

٢١- للأصوات الساكنة انقسامات مختلفة. اشرح هذا القول شرحاً مدعوماً بالأمثلة الموضحة.

٢٢- للصوامت صفات مختلفة. اذكر هذه الصفات مُعرِّفةً وأتبع كلاً منها بالحروف المثلة لها. مع ذكرك لفائدة هذه الدراسة.

٢٣- دراستنا للأصوات اللغوية ينبغي ألا تكون معزولة عن سياقها، فكل صوت لغوي له ضمن الكلام بيئة صوتية يؤثر فيها، وتؤثر فيه. اشرح هذا القول بتفصيل يجلي حقيقته.

٢٤- الدراسة الفونولوجية والفوناتيكية دراستان صوتيتان. فما مفهوم كل منهما؟ وما غرضهما؟ وما مجال كل منهما؟ وما وجه الاتفاق والاختلاف بينهما؟

٢٥- عني التحليل الصوتي بدراسة "الفونيم". عرّف الفونيم موضحاً بالأمثلة، واكشف عن أهمية دراسته.

٢٦- عرّف دانيال جونز "الفونيم". اذكر تعريفه موضحاً بالأمثلة مشفوعاً ببيان الفرق بينه وبين تعريفه لدى جمهرة اللغويين.

٢٧- للفونيم عضواه. اذكر الفرق بينهما مدعوماً بالأمثلة الموضحة.

٢٨- للفونيم نوعان حددهما الدرس الصوتي الحديث. اذكرهما، واكشف عما بينهما من فرق.

٢٩- للفونيم تعريفات مختلفة درستها؟ اذكرها، واختر منها ما تراه مناسباً مع التعليل لاختيارك.

٣٠- التحليل البنائي أحد مستويات التحليل اللغوي. عرّفه، وأفصح عن غرضه.

٣١- استوعب الدرس الصوتي للقدايمي التحليل البنائي للمحدثين. وضح هذه

- الحقيقة في ضوء ما درسته.
- ٣٢- لا شك في أن هناك فرقاً بين دراسة القدامى للبنية ودراسة المحدثين لها. تأمّل هذا القول، وناقشه بموضوعية.
- ٣٣- أفاد المحدثون في دراساتهم للتراكيب من دراسة السلف الأئمة. اشرح هذا القول، وأقم الدليل على صحته.
- ٣٤- لا شك في أن التحليل الدلالي أحد مستويات التحليل اللغوي. وضح حقيقته، وبين غرضه، واذكر مجاله.
- ٣٥- تعنى الدراسة الدلالية بدراسة المقام. فصلّ القول في هذه المسألة واكشف عن أثرها في تحديد المعنى المراد.
- ٣٦- التحليل اللغوي بمستوياته المختلفة دراسة لغوية متكاملة للنص اللغوي، والتناج الأدبي. اشرح هذا القول في ضوء ما درست.
- ٣٧- اختلفت كلمة اللغويين في كلمة لغة من حيث فعلها وزنتها وأصالة مادتها في العربية أو اقتراضها من لغة أخرى، اشرح هذا القول على هدي مما درست، مشفوعاً بالتعليل لاختلاف كلمتهم وبالرأي الذي تؤثره.
- ٣٨- عني علماء النفس والاجتماع والمنطق والفلسفة باللغة، فقاموا بحدها وكشفوا عن خاصيتها، وأبانوا ماهيتها. فصلّ القول في تعريف كل مدرسة على حدة ثم بيّن وجه الاختلاف والاتفاق فيما بينها، والتعريف الذي تميل إليه مع التعليل لميلك إليه.
- ٣٩- عرف الإمام ابن جني اللغة في خصائصه. اذكر تعريفه إياها، وابسط القول فيه، واكشف عما بينه وبين التعريفات الأخرى من اتفاق واختلاف، مع تحديدك للتعريف الذي تؤثره.
- ٤٠- قال جماعة من العلماء بتوقيفية اللغة الإنسانية الأولى، وأنكر عليهم قولهم

- آخرون، فما معنى توقيفيتها؟ وما دليلهم؟ وما رأيك فيما استدلوا به؟ وبم رد المنكرون على القول بتوقيفيتها؟ وما رأيك فيما ذهب إليه هؤلاء وأولئك؟
- ٤١- لابن فارس رأي في نشأة اللغة الأولى، اذكره وما استدل به، واذكر رد بعض العلماء عليه، مع بيان رأيك فيما ذهب إليه ابن فارس، وفيما رد به بعض العلماء عليه، مع الاحتجاج لما تقول.
- ٤٢- قال جمع من العلماء بنشأة اللغة الأولى عن طريق المواضع، فما مرادهم من المواضع؟ وما دليلهم على صحة رأيهم وسلامته؟ وما رأي ابن جني في هذه النظرية؟ وما رأيك في قوله، مشفوعاً بالتعليل له، وما تقييمك لنظرية المواضع في ضوء دراستك لها؟
- ٤٣- فسر بعض العلماء نشأة اللغة الإنسانية الأولى بنظرية الغريزة الكلامية، فما مفهوم هذه النظرية؟ وعلام استند القائلون بها؟ وبم استدلوا؟ وما رأيك في القول بما وقيم استدلوا به؟ وما النقد الذي وجهه بعض المحدثين إليها مبدئياً رأيك فيه؟
- ٤٤- للمحدثين رأي في نشأة اللغة، فما رأيهم؟ وبم احتجوا له؟ وما رأيك فيما ذهبوا إليه وفيما احتجوا به؟
- ٤٥- سلكت اللغة لدى العلماء القائلين بتطورها عدة مراحل، اذكر هذه المراحل، وأتبع كل مرحلة منها بخصائصها.
- ٤٦- درست النظريات المختلفة في نشأة اللغة الإنسانية الأولى، ضعها في ميزانك، واذكر ما لها وما عليها، واختر منها، ما تراه سديداً مع التعليل لاختيارك.

## النشاط التعليمي للوحدة الأولى

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة، عليك أن تقوم بتنفيذ النشاط التعليمي التالي:

- ١- اكتب بحثاً في الموضوعات الآتية:
  - أ- فقه اللغة بين القدامى والمحدثين.
  - ب- فقه اللغة العربية بين النظرية والتطبيق.
  - ج- بين فقه اللغة وعلم اللغة.
  - د- فقه اللغة بين التأثير والتأثر.
- ٢- اكتب بحثاً في: "علم المعنى" (السيمانتيك) مباحثه، ومقاصده وأساتذته، والكتب التي ألفت فيه.
- ٣- اكتب بحثاً في: "علم الأساليب" (الستيلتيك) مجالاته، وغرضه، ومنهج المعالجة لمسائله.
- ٤- اكتب بحثاً في: نشأة اللغة - الآراء والمذاهب المتباينة فيها.





## الوحدة الثانية

### حياة اللغة، الفصائل اللغوية

#### اللغات السامية، الأبجدية العربية

مبررات دراسة الوحدة:

عزيزي الدارس: هذه هي الوحدة الثانية من وحدات مقرر فقه اللغة وفيها -إن شاء الله- سوف تعرف الكثير عن الموضوعات المهمة عن حياة اللغة، وتفرعها إلى لهجات وأسباب هذا التفرع والعوامل المؤدية إليه، كالعوامل الاجتماعية والجغرافية واتصال الشعوب لتبادل المنافع واختلاف الأفراد والخطأ في الأقيسة، وسترى كيف تتحول اللهجة إلى لغة، وذلك عن طريق الصراع اللغوي الذي ستكشف لك الوحدة عن أسبابه ونتائجه.

كما سوف تتعلم من خلال دراستك لهذه الوحدة الفصائل اللغوية المختلفة التي تنتمي إليها اللغات البشرية جميعاً، وستعرض لك الوحدة لرأي عالين كبيرين من علماء اللغة هما: "شليجل" و "ماكس مولر" والأول يقول بانقسام اللغة إلى ثلاثة أقسام هي: المتصرفة، والتركيبية، والعازلة، والثاني يقول بانقسامها إلى ثلاث فصائل هي: الآرية، والسامية الحامية، والطورانية.

وسوف تتعرض الوحدة كذلك لموطن الشعوب السامية وتعرض لك مميزات اللغات السامية عموماً بفروعها الكثيرة كالأكدية والفينيقية والعبرية والآرامية والحبشية والأمهرية، والعربية، ومع معرفتك بكون العربية إحدى

فصائل اللغة السامية سوف تعرف المزيد عنها باعتبارها لغة دينك، وستعرف كيف سادت لهجة قريش في صراع اللهجات، وتعرض لك الوحدة المزيد عن خصائص اللغة العربية وسماتها المميزة لها، كالمميزات الصوتية والمعجمية والصرفية والنحوية.

وسوف تتناول الوحدة كذلك بالعرض والتحليل - الترجمة وأثرها في اللغة العربية، وتبسط لك الحديث عن الأبجدية العربية منذ نشأتها وحتى تطورها، وتبين لك العلاقة بين الأبجدية العربية والدراسة الصوتية عند العرب، وتوضح لك موقف ابن فارس من هذه القضية، وتذكر لك الوحدة كذلك أصل الخطّ وكيف نشأ؟ وتعرض لرأي ابن فارس والسيوطي في هذه القضية.

هذا وغيره -عزيزي الدارس- ما سوف تتعلمه من خلال دراستك لهذه

الوحدة؛ لذا احرص على فهمها واستيعابها، والله يوفقك.

الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصحح قادراً على أن:

- ١- تعرف كيف تتفرّع اللغة إلى لهجات.
- ٢- تحدد أسباب هذا التفرع.
- ٣- تذكر العوامل الجغرافية والاجتماعية لهذا التفرع.
- ٤- تبين كيف تتحول اللهجة إلى لغة.
- ٥- تحدد أسباب الصراع اللغوي وتبين نتائجه.
- ٦- تعلق لتقسيم: "شليجل" اللغة إلى ثلاثة أقسام.
- ٧- تشرح معنى اللغات المتصرفة كما يراها "شليجل".
- ٨- توضح معنى اللغات التركيبية كما يراها "شليجل".
- ٩- تبين المراد باللغات العازلة كما يراها "شليجل".
- ١٠- تعلق لتقسيم "ماكس مولر" اللغة إلى ثلاث فصائل.
- ١١- تبين المقصود بالفصيلة الآرية.
- ١٢- تبين المقصود بالفصيلة السامية الحامية.
- ١٣- تبين المقصود بالفصيلة الطورانية.

- ١٤- تحدد موطن الشعوب السامية.
- ١٥- تذكر مميزات اللغات السامية.
- ١٦- تدلل على أن اللغة الآكادية والفينيقية والعبرية من الفصيصة السامية.
- ١٧- توضح المراد باللغة الآرامية وتذكر لهجاتها الغربية والشرقية.
- ١٨- تدلل على أن اللغة الحبشية من الفصيصة السامية.
- ١٩- تدلل على أن اللغة الأمهرية من الفصيصة السامية.
- ٢٠- تبين انقسام العربية إلى القحطانية والعدنانية.
- ٢١- توضح كيف سادت لهجة قريش؟
- ٢٢- تذكر مميزات اللغة العربية الصوتية والصرفية والنحوية.
- ٢٣- توضح أثر الترجمة في اللغة العربية.
- ٢٤- تشرح كيف نشأت الأبجدية العربية.
- ٢٥- توضح العلاقة بين الأبجدية والدراسة الصوتية عند العرب.
- ٢٦- تذكر موقف ابن فارس من هذه القضية.
- ٢٧- تبين أصل الخط وتذكر رأي ابن فارس والسيوطي في ذلك.

الوحدة الثانية حياة اللغة - الفصائل اللغوية - اللغات السامية - الأبجدية العربية

**الفصل الأول: حياة اللغة**

- تفرُّع اللغة إلى لهجات.
- أسباب هذا التفرع.
- عوامل هذا التفرع: (جغرافية - جماعية - اتصال الشعوب
- تبادل المنافع - اختلاف الأفراد والخطأ في الأقيسة).
- تحول اللهجة إلى لغة.
- الصراع اللغوي: أسبابه ونتائجه.

**الفصل الثاني: الفصائل اللغوية**

- رأي عالم اللغة: "شليحل": انقسام اللغة إلى ثلاثة أقسام (اللغات المنصرف - اللغات التركيبية - اللغات العازلة).
- رأي عالم اللغة: "ماكس مولر": انقسام اللغة إلى ثلاث فصائل: - الفصيلة الهندية الأوروبية وتسمى الآرية.
- الفصيلة السامية - الحامية.
- الفصيلة الطورانية.

**الفصل الثالث: اللغات السامية**

- موطن الشعوب السامية. - مميزات اللغات السامية.
- اللغة الأكادية. - اللغة الفينيقية. - اللغة العربية.
- اللغة الآرامية ولهجاتها العربية، وشرقية.
- اللغات الحبشية السامية.
- اللغة الأمهرية ولهجاتها.
- اللغة العربية: (العربية الجنوبية "المحطانية" - العربية
- لشمالية "العدنانية").
- صراع اللهجات العربية وسيادة لهجة قريش.
- مميزات اللغة العربية وخصائصها:
- المميزات الصوتية والمعجمية.
- المميزات الصرفية.
- المميزات النحوية.
- الترجمة وأثرها في العربية.

**الفصل الرابع: الأبجدية العربية**

- نشأتها وتطورها.
- الأبجدية، وعلاقتها بالدراسة الصوتية عند العرب.
- موقف ابن فارس من قضية لأبجدية.
- أصل الخط ورأي ابن فارس والسيوطي.

## الفصل الأول: حياة اللغة

هذا هو الفصل الأول من الوحدة الثانية وهو يبحث في حياة اللغة، وما طرأ عليها من غنى أو فقر، أو سعة أو ضيق، وتفرعها إلى لهجات، وأسباب هذا التفرع، والتنوع، والمستويات اللغوية لغة مشتركة أو فصحي، وعامية، والصواب والخطأ في اللغة، والبيئة اللغوية ومصادر المادة، وما يتعلق بها من حيث الزمان والمكان.

إلا أن أهم تفرُّع في هذا الفصل، هو تفرع اللغة إلى لهجات، أو ما يسمى بعلم اللهجات "الدياليكتولوجي"، وهو الذي يبحث تفرع اللغة إلى لهجاتها المختلفة، وعوامل هذا التفرع، وعلاقة الفرع بالأصل، وكيف يمكن توحد اللهجات في لغة واحدة مشتركة أو عامة، وهل يمكن ذلك أو لا، وغير ذلك من الموضوعات التي تتعلق بحياة اللغة، وسوف نوجز الحديث في هذا الفرع، حتى يكون الباحث على بينة من أمره دون إطالة.

### تفرع اللغة إلى لهجات:

إذا انتشرت لغة من اللغات في مناطق شاسعة من الأرض، وتكلم بها جماعات كثيرة، يعيشون في بيئة جغرافية مترامية الأطراف استحال عليها الاحتفاظ بوحدها أمداً طويلاً، بل لابد من تفرُّعها إلى لهجات، تمتاز كل لهجة عن غيرها بخصائص وسمات، وهذا أمر طبيعي، وسنّة من سنن التطور اللغوي.

إذ أنه من المظاهر اللغوية الملحوظة أن المتكلمين باللغة الواحدة إذا باعد الزمان أو المكان بينهم وانعدم ما بينهم من صلات اجتماعية، فتفرقوا في الأرض وطال الأمد على تفرقهم وانقطعت أو ضعفت صلاتهم الثقافية - فإن لغتهم الأصلية تنقسم لا محالة إلى لهجات لكل منها طابع خاص.

## أسباب تفرع اللغة إلى لهجات:

مما سبق يتبين لنا بجلاء أن اختلاف البيئات الزمانية والمكانية، وضعف الصلات الاجتماعية، هي الأسباب الأساسية في تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات، وكذلك في اختلاف اللهجات المتفرعة من أصل واحد بعضها عن بعض في المظاهر اللغوية المختلفة، والأدلة على صحة هذه الحقيقة كثيرة، والشواهد عليها موفورة.

وعلى الرغم من ذلك الاختلاف نستطيع أن ندرك -ولو على وجه تقريبي- ما بين الأصل والفرع من تشابه، وما بين اللهجات المتفرعة من أصل واحد، وبين أصحها القدم من تقارب، وأن ندرك أن الحديث فيها قد نشأ عن القديم على سبيل التطور وأن هذا التطور قد عمل عمله في الظواهر اللغوية المشتركة فاعتراها شيء من المسخ أو التعديل، إذ أن ما بين الأصل والفرع، أو ما بين بعض الفروع وبعضها من صلات ليست ثابتة منطقية، لا يعترها تغيير ولا تعديل، وإنما هي صلات حيوية اجتماعية خاضعة مثل غيرها من الظواهر الاجتماعية لسنة التغيير والتعديل.

على أنه من المقرر أن بعض الظواهر اللغوية المشتركة بين اللهجات المنحدرة من أصل واحد، تظل ماثلة لا يلحقها فناء، وإن اعتراها شيء من التعديل أو التغيير، وبقاؤها هذا يعد دليلاً واضحاً على ما بينها من علاقة أو قرابة لغوية، وكذلك انحدارها من أصل لغوي واحد، وسوف نحمل أهم العوامل في تفرع اللغة إلى لهجات فيما يلي:

عوامل تفرع اللغة إلى لهجات:

أولاً: عوامل جغرافية:

وهذا يتحقق إذا كان الناطقون باللغة الواحدة يعيشون في بيئة جغرافية واسعة مترامية الأطراف، مختلفة الطبيعة فيها من مكان إلى مكان آخر، كأن توجد جبال أو

وديان تفصل بقعة عن بقعة أخرى، بحيث يترتب على ذلك انعزال مجموعة من الناس عن مجموعة أخرى، وهذا بالتالي يؤدي مع مرور الزمان إلى نشوء لهجة تختلف عن لهجة ثانية تنتمي إلى نفس اللغة، فالذين يعيشون في بيئة زراعية مستقرة يتكلمون لهجة غير التي يتكلمها الذين يعيشون في بيئة صحراوية بادية.

ومن هنا يتبين لنا أن اختلاف البيئة الطبيعية له أثر كبير في اختلاف اللهجات وتنوعها تبعاً لاختلاف المنازل والمشارب، إذ أن البيئة الطبيعية تختلف اختلافًا بيئيًا، فبينما يقطن قوم السهول الخصبة، والأرض الخضراء يلجأ آخرون إلى الجبال، وما يكتنفها من صحارى واسعة لينعموا بظلال الحرية بين مناحيها، والأجواء تختلف باختلاف المناطق، ومما لا شك فيه أن اختلاف البيئة الطبيعية له أثر بيّن في أجسام السكان، وأشكالهم، واختلاف أدوات الكلام عندهم، وهذا يؤدي بالتالي إلى اختلاف اللهجات وتعددتها.

ثانيًا: عوامل اجتماعية:

والبيئة الاجتماعية لكل فريق من الناس تختلف اختلافًا بيئيًا، فكل قوم لهم نظام خاص في معيشتهم، وطرق التفكير لديهم، فالمجتمع الإنساني بطبقاته المتعددة، والمختلفة يؤثر أثرًا ظاهرًا في نشوء اللهجات، ووجودها، فالطبقة الأرستقراطية تتخذ لهجة خاصة بما غير لهجة الطبقة الدنيا من المجتمع، وكذلك الطبقات الحرفية والمهنية، فهناك طبقة النجارين، وطبقة التجار، وطبقة الزّراع... إلخ، ولكل طبقة من هذه الطبقات لهجة خاصة بها، حتى إن اللصوص، وطرّيدي القانون لهم لهجة، واصطلاحات خاصّة بهم، تختلف في بعض خواصها عن بقية اللهجات؛ ولذا نرى أن "فندريس" في كتابه "اللغة" يقرر أنه توجد من العاميات الخاصة بقدر ما يوجد من جماعات متخصصة، والعامية الخاصة تتميز بتنوعها الذي لا يحد، وأنها في تغير دائم تبعًا للظروف والأمكنة، فكل جماعة

خاصة، وكل هيئة من أرباب المهن لها عاميتها الخاصة<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: اتصال الشعوب لتبادل المنافع أو الهجرة:

إن الشعوب البشرية لا يمكنها أن تستقل عن بعضها؛ وذلك لأن لكل شعب مميزات وخصائص، ولذلك نرى أن بعض البلاد تروج فيه التجارة، والأخرى الصناعة وثالثة الزراعة، ونظام الحياة يتطلب أن تستفيد الشعوب مزايا بعضها، وهذا يؤدي بدوره إلى توثيق الصلة التامة بينها، وأن تُسود العلاقات الوطيدة بين الشعوب ليتمكن الجميع من تبادل المنافع، وهذا الاتصال يتطلب معرفة كل فريق لغة الفريق الآخر، وهذا يقتضي تحريراً في النطق في بعض الأحيان، وإحلالاً في الأداء يؤدي مع الزمن إلى نشوء لهجات جديدة في هذه اللغة.

كما أن الشعوب قد تتصل ببعضها نتيجة ارتحال فريق من موطنه الأصلي إلى مكان آخر؛ طلباً للعيش، وسعيًا وراء الرزق، وقد يكون الفريق المهاجر ذا جاه ونفوذ يفوق سكان البلاد الأصليين، فيؤدي هذا إلى تغلب لغته.

والتاريخ يحدثنا أن الجماعة التي ارتحلت إلى بلاد العراق، وكونت مملكة بابل وآشور على أنقاض السومريين أصحاب البلاد الأصلية، تغلبت لغتهم على لغة السومريين ومحتتها بعد أن تأثرت بما إلى الحد الذي جعلها متفاوتة بينها وبين أحوالها السامية الأخرى، كما سنعرف ذلك في مكانه من هذا الكتاب تحت تصنيف اللغات والفصائل اللغوية.

وهناك نوع آخر من اتصال الشعوب ببعضها، وهذا النوع هو ما يعرف بالصراع بين الشعوب نتيجة لغزو، فالصلة التي بين الشعوب بعضها وبعض صورة لما يجري بين الأفراد، وقد يعتري هذه العلاقات فتور يؤدي إلى قيام

(١) اللغة لفندريس، ترجمة د/ عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص : (ص ٣٢٥).

الحروب بين الأمم لأسباب تقتضي ذلك، والأمم التي يكون لها الفوز والغلبة تحظى لغتها بالذيع والانتشار، والتأثير في لغة البلاد المهزومة، أو يضعف شأنها. وفي التاريخ شواهد كثيرة في هذا الشأن، وسوف نفرّد للصراع اللغوي مبحثاً مستقلاً فيما بعد، من خلاله سنعرف نتيجة الصراع اللغوي، وأثره على اختلاف لهجات اللغة الواحدة.

رابعاً: عوامل ترجع للأفراد، وكيفية نطقهم للغة، والخطأ في الأقيسة:

إن من الحقائق الثابتة، والمقررة في "فقه اللغة" أن اللغة إذا كانت واحدة فهي متعددة بتعدد الأفراد الذين يتكلمون بها، ومن المسلم به أنه لا يتكلم شخصان بصورة واحدة لا تفرق، والاختلاف الواقع بين الأفراد في كيفية النطق يؤدي مع مضي الزمن إلى أن تتطور لهجتهم هذه أو تنشأ لهجات أخرى. وأكثر من هذا فإننا نرى أن "سابير" يذهب إلى أن اللهجات تنشأ مع الميل العام إلى الاختلاف الفردي في الكلام.

ومما له أثر بالغ في نشوء اللهجات ووجودها ما يسمى بخطأ الأطفال، والقياس الخاطيء، فنحن نشاهد أن بعض الأطفال يقول: أحمره، وأخضره، وأصفره، مؤنث أحمر، وأخضر، وأصفر، فإذا عاش هؤلاء الأطفال في معزل عنم يقوم لهم ألسنتهم كأن يكون آباؤهم مشغولين عنهم لطلب الرزق أو غير ذلك، أصبحت هذه الأخطاء بعد مضي فترة من الزمن عادات لهجية.

تحول اللهجة إلى لغة:

إذا ما تهيأت الأسباب للهجة أن تنمو، وتكتمل، وتفي بحاجات المجتمع الذي تعيش فيه، فإن العوامل اللغوية تحتم على الباحث إطلاق اسم اللغة على تلك اللهجة. إذ أنها لم تصبح حينئذ لهجة، بل أضحت لغة مستقلة عن غيرها، وهذا لا يتأتى إلا إذا اختلفت معظم معاني كلماتها عن معاني باقي اللهجات الأخرى،

أخواتها، والمتفرعة من أصل لغوي واحد، أو من لغة واحدة بعبارة أدق، وكذلك إذا انضم إلى اختلاف معظم معاني كلماتها اتخاذها قواعد خاصة بما في بنية كلماتها، وتركيب جملها، وإن ظلت تتصل وغيرها بوشائج تجعلها تنتمي إلى فصيلة واحدة من الفصائل اللغوية.

فالفصيلة اللغوية أو الأسرة اللغوية تشمل عددًا من اللغات ترجع إلى أصل لغوي واحد، مع احتفاظ تلك اللغات بصفات يسهل على الباحث اللغوي أن يرجعها إلى ذلك الأصل القديم.

والعناصر التي تحتفظ بما هذه اللغات، والتي كانت في الأصل القديم اللهجات تنتمي إلى فصيلة واحدة، هي تلك العناصر التي لا يصيبها إلا قليل من التغير رغم مرور الزمن عليها، ورغم تطور فروع الفصيلة الواحدة.

وهذا أمر طبيعي، وسنة من سنن التطور اللغوي؛ إذ أن من المظاهر اللغوية الملحوظة أن بقاء الاتحاد أو التشابه في بعض الأصول اللغوية التي ترجع إلى أصل واحد يتوقف على ما يكون بين الشعوب التي تتكلم بهذه اللغات من صلات، وروابط جغرافية، أو اجتماعية، أو ثقافية.

أما إذا باعد الزمان، أو المكان بين بعضها وبعض، أو انعدم ما بينها من صلات اجتماعية، أو ثقافية، فإنها تصبح لغات، ولهجات، تشق كل منها طريقها في الحياة بعيدة عن أختها أو أخواتها، وحينئذ يقل ما كان بينها من مظاهر الاتحاد، ويضعف ما كان بينها من مظاهر التشابه. وهذا أيضًا يصدق على اللغة الواحدة كما سبق أن وضحنا ذلك، والأمثلة في التاريخ خير شاهد على ذلك، فاللغات السامية كانت لهجات سامية تنتمي إلى اللغة السامية الأم، أو اللغة السامية الأولى، أو اللغة السامية الأصلية، وبمرور الزمن صارت كل منها لغة قائمة بذاتها بعد أن كانت لهجة، والأمثلة كما قلت كثيرة، ولا داعي للاستطراد.

## الصراع اللغوي - أسبابه ونتائجه:

الصراع اللغوي هو الاحتكاك بين لغتين أو أكثر في مجتمع ما، ومن هنا يحدث تنافس بين اللغات للهيمنة على هذا المجتمع، وتختلف نتائج الصراع اللغوي، وآثاره تبعاً لنوع العامل، ومداه، فهناك احتكاك بين اللغات عن طريق الحرب أو التجارة، أو التحاور، والتنقل بين الناطقين للغات مختلفة، ومن هنا يحدث الصراع اللغوي، وتكون الغلبة لإحدى اللغتين بعد أن تتأثر اللغة الغالبة بكثير من الظواهر اللغوية المغلوبة بعد أن تنسحب من الميدان.

وقد استعرض المحدثون من علماء اللغات الأمثلة التاريخية للصراع اللغوي فرأوها أنواعاً حيث يحدث الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات إلى بيئات معمورة، فقد يغزو شعب من الشعوب أرضاً يتكلم أهلها لغة غير لغة الغازين، وهنا يقوم صراع عنيف بين اللغتين: الغازية، والمغزوة، وتكون النتيجة إما القضاء على إحدى اللغتين قضاءً يكاد يكون تاماً، أو أن ينشأ من هذا الصراع لغة مشتركة ومشتقة من كلتا اللغتين: الغازية، والمغزوة، تشتمل على عناصر مأخوذة من هذه، وأخرى مأخوذة من تلك.

ونظرة واحدة في التاريخ العربي نجد أن العرب قد غزوا جهات كثيرة، ومتعددة، ذات لغات مختلفة واستطاعت اللغة العربية في نهاية المطاف أن تقضي على اللغات وتصرعها في مهدها وأن تحمل محلها في الخطاب، وفي جميع نواحي الحياة عن طواعية واختيار، فلقد تغلبت اللغة العربية على الآرامية والرومانية في الشام، وعلى الآرامية في العراق، وعلى الفارسية في بعض بقاع مملكة فارس القديمة، وتغلبت على القبطية في مصر، وعلى البربرية في بلاد المغرب وذلك لأسباب عديدة:

السبب الأول: أنها لغة الدين الذي اعتنقته شعوب هذه الدول عن طواعية واختيار؛ لأنهم وجدوا فيه خلاصهم مما ألمَّ بهم من استبداد حكامهم، ووجدوا في

هذا الدين الخلاص والملجأ؛ لأنه دين الفطرة الإنسانية، التي فطر الله الناس عليها.

**السبب الثاني:** أن اللغة العربية لغة راقية غنية بأساليبها، ومفرداتها اللغوية التي تعبر عما في النفس البشرية، وحاجاتها؛ لأنها من أوسع اللغات، وأغزرها مادة، وأوسعها اشتقاقاً.

**السبب الثالث:** أنها لغة الفاتحين الذين دانت لهم المناطق المفتوحة، فهي لغة الحكام لهذه الأقاليم، ويذكر لنا التاريخ أن الرومان قد غزوا جهات كثيرة في أوروبا، وأن لغتهم الرومانية، قد حلت محل اللغات التي كانت تتكلم بها تلك البقاع والأماكن، ومن الأمثلة أيضاً تغلب الإنجليزية في أمريكا على لغة الهنود الحمر وتغلب الفرنسية أيضاً على لغة البلاد الأصلية في كندا، والبرتغالية في بعض دول أمريكا اللاتينية.

ومن هنا كما قلنا إن المحدثين من علماء اللغات استعرضوا الأمثلة التاريخية للصراع اللغوي ورأوها أنواعاً، وقد رأوا أن نتيجة الصراع تختلف حسب كل نوع وظروفه:

١- فهناك غزو كان الغزاة فيه قليلي العدد، اقتصر على جيش قوي كامل العدة، ظهر تفوقه ساعة القتال، فلما وضعت الحرب أوزارها وبدأ الغزاة حياة سلمية مع أهل الأرض المغزوة ظهرت قلتهم، وضعف أثرهم، وبدأ المستوطنون منهم يهجرون لغتهم الأصلية، متأثرين بلغة البيئة الجديدة غير أن اللغة المغزوة قد تستعير في مثل هذه الحالة بعض الكلمات، والأساليب من اللغة الغازية، كذلك التي تعبر عن نظام الحكم، وأمور الجيش، ونحو ذلك وخير مثل لهذا: غزو النورمانديين الفرنسيين لإنجلترا في القرن الحادي عشر الميلادي، إذ تغلّبت اللغة الإنجليزية على لغة الغزاة، بعد زمن ما، وقد تركت النورماندية الفرنسية آثاراً ضئيلة باللغة الإنجليزية.

ويطول زمن الصراع أو يقصر في مثل هذه الحالة على حسب قرب اللغتين الغازية، والمغزوة، إحداهما من الأخرى، وعلى قدر اعتزاز الغزاة بموطنهم الأصلي، وتمسكهم بتقاليدهم، وعاداتهم، ومقدار اختلاطهم بالشعب المغزوة.

٢- وهناك غزو كثير فيه الغزاة، وتبعه موجات من هجرات لذلك الشعب الغازي، وجاءت طوائف كثيرة من الناس يستعمرون الأرض، ويشتركون في جميع نواحي الحياة، ويلتمسون الرزق في مواردها من زراعة، وصناعة وغيرها، بحيث لا يدعون مجالاً لاجتلاب الخير إلا طرقوه، ولا مورداً للحصول على نفع إلا أسرعوا إليه.

وفي مثل هذه الحالة ترى الغزاة يكونون الطبقة العليا والوسطى، على حين أن من قهرروا في عقر دارهم يكونون الطبقة الدنيا، تلك الطبقة الضعيفة المقلدة التي تعتر بصفات الغالب، وبكل ما جاء به، ومن بين ذلك طبعاً "اللغة"، فلا تلبث اللغة المغزوة في صراعها، إلا زمناً قصيراً ثم تنهزم بعده، تاركة آثاراً ضئيلة جداً في اللغة الغازية، التي تشيع بين الناس، وتصبح لغة الخاص والعام، وتكاد تنحصر تلك الآثار التي تخلفها اللغة المغزوة في صفات صوتية خاصة، أو بضع كلمات تعبر عن مهن حقيرة أو عن أشياء اختصت بها البيئة المغزوة من حيوان أو نبات.

وخير مثال لهذا الغزو: غزو الأنجلوسكسون لبلاد الإنجليز قديماً، ذلك الغزو الذي قضى على اللغة "الكلتية" القديمة، التي تركت آثاراً ضئيلة جداً في اللغة الإنجليزية الغازية.

٣- أما النوع الثالث، فهو هجرة شعب إلى أرض معمورة، دون غزو منتظم تقوم به جيوش، وإنما الأمر أمر منافسة في طلب العيش، وهذا النوع حدث له أمثلة في العصور التاريخية القديمة، حين هاجر قوم من الساميين إلى بلاد ما بين النهرين "دجلة والفرات"، وكونوا على أنقاض السومريين تلك

المملكة التي عرفت بمملكة البابليين والآشوريين، وقد قضت هذه الهجرة السامية على اللغة السومرية بعد أن تركت في اللغة السامية آثاراً، وأحدثت بما أحدثت جعلتها تباين أحوالها الساميات في جهات أخرى<sup>(١)</sup>.

ولا تختلف اللهجات العربية التي كانت منتشرة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام عن غيرها من اللهجات، في هذا العامل الرئيسي.

ففي هذه الجزيرة حدثت هجرات بشرية، حدثتنا عنها كتب التاريخ والأنساب حيث هاجر من هاجر من أهل اليمن إلى وسط الجزيرة وشرقها وشمالها، وهاجر من هاجر من أهل الحجاز إلى اليمن، ولقد تجاوزت لهجات مع لهجات ومع لغات أخرى، فلهجات القبائل العربية التي تنزل بادية الشام أو العراق مثلاً، كانت تجاور لغات كالآرامية، والعبرية، وهذا الاحتكاك كان قوياً، بحيث أدى إلى ظواهر لهجية في هذه اللهجات، كان لها الأثر البين حيث خالفت غيرها في الظواهر اللغوية، التي ظهر أثرها في صفات الأصوات ومخارجها، وفي بعض معاني المفردات، والصيغ، ولا يخفى على ذهن القارئ أن عوامل الصراع اللغوي هذه - التي ذكرناها - لها أثرها في اللغات المتصارعة واللهجات المتناحرة، فكما تتصارع اللغات فيما بينها، ومنها الغالب والمغلوب وكما يؤثر المغلوب من اللغات في الغالب منها، فكذلك يؤثر الغالب من اللهجات في المغلوب منها أيضاً، ولا أدل على ذلك من تغلب اللهجة القرشية على ما عداها من لهجات شبه الجزيرة العربية؛ لأنها كانت أقوىها، لتوفر عوامل الغلبة لها<sup>(٢)</sup>.

(١) سوف نتكلم عن هذا بشيء من التفصيل في تصنيف اللغات، والفصائل اللغوية بمشيئة الله تعالى.

(٢) سيأتي الكلام عن هذا البحث بشيء من التفصيل إن شاء الله تعالى.

## الفصل الثاني: الفصائل اللغوية

اتفق العلماء على تسمية اللغات التي يثبت تشابهها، وانحدارها من أصل لغوي واحد، "فصيلاً أو سلالة لغوية".

ولقد حاول كثير من العلماء أن يرجع اللغات الإنسانية إلى فصائل عامة، ولقد تباينت وجهات النظر في هذا الموضوع تبايناً شديداً، فعلى الرغم من اتفاق علماء اللغة على الأسس التي يجب الاستناد إليها في تحديد الفصائل اللغوية، وعلى المنهج العلمي الذي يجب أن يتبع في هذا البحث، فإنهم اختلفوا في نتائج البحث، ولم يتفقوا على عدد الفصائل اللغوية، وعلاقة بعضها ببعض، ولهم في ذلك آراء مختلفة، أشهرها وأقربها إلى القبول رأي العالم الألماني "ماكس مولر" الذي يقول بأن لغات العالم ترجع إلى ثلاث فصائل لغوية أساسية، وهي:

١- الفصيصة الأوربية، وتسمى الآرية.

٢- الفصيصة السامية الحامية.

٣- الفصيصة الطورانية.

وهناك رأي آخر يجدر بنا أن نشير إليه قبل أن نتناول بالكلام بيان هذه الفصائل الثلاث عند "ماكس مولر"، وهو رأي "شليجيل" الألماني.

فلقد نظر هذا العالم إلى اللغات، من حيث الطرق المختلفة التي تسلكها للتعبير عن الأفكار، فوجدها تنحصر في ثلاثة أقسام، وهي:

القسم الأول: اللغات المتصرفة أو التحليلية:

وهذه اللغات تتميز عن غيرها بتصرف كلماتها، أي: تغير أبنيتها، وبالتالي اختلاف معانيها تبعاً لذلك، وتوجد بهذه اللغات أدوات تربط بين أجزاء الجملة، وتحدد عمل كل جزء فيها، ونسبته إلى الأجزاء الأخرى.

ومن هذه اللغات: الفصيصة الهندية الأوربية، وجميع اللغات السامية التي

تنسب إليها العربية، ومثاله في اللغة العربية "عَلِمَ، يَعْلَمُ، أَعْلَمُ، عالم، معلوم، عِلْم، عُلْم، علوم، متعلم... إلخ".

وأما أدوات الربط، فهي معروفة، مثل الواو، والفاء، وثم، والباء... إلخ.

### القسم الثاني: اللغات اللصقية، أو الوصلية، أو التركيبية:

وفي هذا القسم تَعْيِيرُ معاني الكلمات يكون عن طريق لصق أحرف بأول الكلمة، أو بآخرها، وبهذه الطريقة ربط أجزاء الجملة، وبيان علاقة كل جزء منها بالآخر.

وفي هذا القسم لا توجد أدوات للربط بين أجزاء الجملة كاللغات السابقة في القسم الأول، وكذلك لا يكون فيها تغيير المعنى بتغير الصيغة، وإنما يكون ذلك على النهج السابق المشار إليه، ومن لغات هذا القسم اللغة اليابانية، واللغة التركية.

### القسم الثالث: اللغات العازلة:

وهذه اللغات ليست بما أدوات للربط بين أجزاء الجملة، كما لا يتغير المعنى بتغير الصيغة، وكذلك لا تُضاف حروف في أول الكلمة، أو في نهايتها للدلالة على ذلك ولكن الكلمات في هذا القسم تلزم صورة واحدة لا تختلف، ولها معنى ثابت لا يتغير إطلاقاً، وهذه اللغات تضع كلماتها في الجملة بعضها إلى جانب بعض، وتعرف وظائف الكلمات، وعلاقاتها من الترتيب، والسياق، ومن هذا القسم اللغة الصينية، وكثير من اللغات البدائية.

وهذا الرأي لم يلق القبول الكامل من علماء اللغة؛ وذلك لأن اللصق، والعزل، والتصريف كما مثلنا له سابقاً، مثل علم، وعلم، وشارك، وتشارك، فالفرق بين علم وأعلم هو زيادة الهمزة في صدر الصيغة الثابتة، لتدل على زيادة في المعنى. وكذلك شارك، وتشارك فالتاء في الصيغة الثانية لتدل على زيادة في المعنى، وقد ألصقت التاء في أول الكلمة الثانية لتدل على بعض التعديل في المعنى.

ويوجد بما العزل مثل (ضرب موسى عيسى) فالترتيب هو الذي يبين الفاعل، ويكون أولاً، والمفعول يكون ثانيًا، ومن هنا يتبين لنا ضعف هذا الرأي، والسر في رفض أكثر علماء اللغة له، ورفضهم أيضًا للأساس الذي ارتكز عليه هذا الرأي، حيث ادعى القائلون به أن اللغة الإنسانية نشأت أول ما نشأت من النوع العازل، ثم تطورت فصارت من النوع اللاصق، ثم تطورت أكثر فصارت من النوع المتصرف.

رأي "ماكس مولر":

يرى "ماكس مولر" أن لغات العالم ترجع إلى ثلاث فصائل لغوية، كما أشرنا سابقًا:

١- الفصيصة الهندية الأوربية أو الآرية.

٢- الفصيصة السامية الحامية.

٣- الفصيصة الطورانية.

أولاً: الفصيصة الهندية الأوربية أو الآرية:

وتشمل هذه الفصيصة ثمانى طوائف من اللغات، وهى جميع اللغات المنتشرة فى آسيا ما عدا اللغات السامية، وكذلك تشمل جميع اللغات فى أوربا، وأمريكا الشمالية، وإليك بيان هذه الطوائف التى تدخل تحت هذه الأسرة اللغوية:

الطائفة الأولى: اللغات الهندية الإيرانية، أو الهندية الآرية، وتشمل:

أ- اللغات الهندية، القديمة، والحديثة.

ب- اللغات الفارسية، القديمة، والمتوسطة، والحديثة.

ج- اللغات الكردية.

د- اللغات الأوستية، وهى لغة سكان القوقاز الأوسط.

هـ- اللغة الأفغانية.

الطائفة الثانية: اللغات الأرمينية.

الطائفة الثالثة: اللغات الإغريقية، وتشمل:

١- اللغة اليونانية.

٢- اللغة الآتيكية.

٣- اللغة الدورية.

٤- اللغة اليونانية.

الطائفة الرابعة: الألبانية.

الطائفة الخامسة: الرومانية، أو الإيطالية، وتشتمل اللاتينية، وما تفرع منها وهي:

أ- الإيطالية الحديثة.

ب- الفرنسية.

ج- الأسبانية.

د- البرتغالية.

الطائفة السادسة: الكلتيّة، وتشمل:

أ- اللغات الأيرلندية.

ب- لغة الغالين، سكان ويلز.

ج- لغة البريتون، وهم سكان مقاطعة تقع في غرب فرنسا، وقد طغت

على هذه الطائفة اللغة الإنجليزية، والفرنسية.

الطائفة السابعة: اللغات الجرمانية، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام.

القسم الأول: الشرقي، وهو اللغة القوطية أو القرطية.

القسم الثاني: الشمالي، ويحل فيه لغات الدانمارك، والسويد، والنرويج، وأيسلندا.

القسم الثالث: وهو القسم الغربي، ويشمل اللغات الأنجلوسكسونية، وهي

الإنجليزية والهولندية، والألمانية، والإسكتلندية.

الطائفة الثامنة: البلطيقية السلافية، وتشمل:

أ- لغة السلاف الأقدمين.

ب- اللغة الروسية.

ج- اللغة البولونية.

د- اللغة التشيكية.

هـ- اللغة البلغارية.

و- اللغة اليوغسلافية، وتشمل: (الصربية- والكرواتية).

ثانياً: الفصيحة الحامية- السامية:

وتشمل هذه الفصيحة طائفتين من اللغات، وهما:

الطائفة الأولى: اللغات السامية وهي:

أ- اللغات الشمالية، وهي الكلدية، أو ما يسمى بالبابلية الآشورية،

والكنعانية (كتعانية قديمة مؤابية- فينيقية- عبرية قديمة) والآرامية.

ب- اللغات السامية الجنوبية، وتشمل: العربية (بائدة: لحيازة ثمودية، صفوية)

و(باقية: يمنية وحجازية)، و(اليمنية القديمة: معينية سبئية، وحضرمية قتبانية).

واللغات الحبشية السامية.

الطائفة الثانية: اللغات الحامية، وتشمل:

١- القسم الشمالي: ويشمل اللهجات الليبية القديمة، واللهجات البربرية

في شمال أفريقيا.

٢- القسم المصري القديم: ويدخل فيه الميروغليفية، وكانت لغة الطبقات

العليا والميراطيقية، وكانت لغة أوساط الناس، والدموطيقية، وكانت لغة العامة

وبعد أن دخلت مصر الديانة المسيحية تأثرت اللغة المصرية القديمة باللغة

الإغريقية، ونشأ من ذلك اللغة القبطية.

٣- القسم الجنوبي أو الأثيوبي أو الحبشي: ويشمل اللهجات الحبشية المختلفة، والتي نشأت عن اللغة الأثيوبية القديمة قبل اتصالها بالفصيلة السامية؛ ولذلك إذا قلنا إن اللغة الحبشية سامية فمعنى هذا أنها بعد أن دخلت السامية تغلبت على الحبشية الحامية؛ ولذا عدناها ضمن اللغات الداخلة في الطائفتين كما رأيت. ومما هو جدير بالذكر أن هذه الفصيلة في الأصل كانت فصيلتين مختلفتين: الفصيلة الحامية والفصيلة السامية، ولكن البحث اللغوي الحديث اكتشف أن هناك صلة قوية بين هاتين الفصيلتين ترجع إلى وجود روابط اجتماعية، وسياسية بين الحاميين، والساميين من قديم الزمان وخاصة أيام الهكسوس الساميين، وقد أدت هذه الروابط إلى اتصال لغة الهكسوس بلغة المصريين الحاميين. ولهذا يفضل بعض علماء اللغة المحدثين فصل هاتين الطائفتين إلى فرعين متميزين هما:

١- فرع اللغات السامية، والتي سنتكلم عنها بشيء من التفصيل فيما بعد - بمشيئة الله تعالى.

٢- فرع اللغات الحامية، ولكن تحت فصيلة واحدة، وهي الفصيلة الحامية السامية، وإذا أردت أن تطلق على أحد الفرعين لقب "فصيلة" فلا مانع باعتبار أن كلا منهما فصيلة متفرعة عن الفصيلة الأصلية الكبرى.

ثالثاً: الفصيلة الطورانية:

والذي أطلق عليها هذا الاسم هو العالم الألماني "ماكس مولر" وهي مجموعة اللغات الآسيوية الأوربية التي لا تدخل تحت الفصيلتين السابقتين الهندية الأوربية، والحامية السامية.

والفصيلة الطورانية هذه ليست فصيلة بالمعنى السليم؛ لأنها مجموعة من اللغات لا ترجع إلى أصل واحد، أو يجمع بين أفرادها صلات قرابة أو تشابه، بل

هي مجموعة من اللغات المختلفة، لا يُولف بينها أو يربطها سوى كون هذه اللغات لا تدخل تحت الفصيلتين السابقتين.

وتشمل هذه الفصيلة: اللغات المختلفة المنتشرة في شرقي أوربا، وشمالى آسيا، ولم تتصل - كما قلنا - بالفصيلة الهندية الأوربية، أو الفصيلة الحامية السامية، ويُعدّون من هذه اللغات الفنلندية (فنلندا في الشمال بجانب روسيا) والتركية، والمغولية.

هذا وقد أضاف علماء اللغة المحدثون إلى الفصائل الثلاث آفة الذكر ست فصائل لغوية أخرى منتشرة في شرقي آسيا وجنوبها، وفي جزر المحيطين الهندي والهادي وفي أمريكا وأستراليا، ونيوزيلندا، وهذه الفصائل الست هي:

١- فصيلة ملايو بولونيزيه وتشمل: اللغات، واللهجات المستعملة الآن في الجزر المعتمدة من جزيرة فرموزا، وسواحل الصين الجنوبية إلى جزيرة جاوه ثم جزيرة مدغشقر، ومنها إلى جزيرة ملقا جنوب الهند.

٢- الفصيلة الدراويدية: وتشمل عددًا من اللغات واللهجات التي تنتشر في جنوبي الهند، ومنها اللغات التاميلية واللهجات التي يستعملها سكان سواحل ملبار وسكان سيلان.

٣- الفصيلة البنتوية: نسبة إلى قبائل أفريقيا الوسطى والجنوبية وتشمل: لغات زنزيار، ولغات واحة الكفرة، وهرر، والكنغو.

٤- مجموعة اللغات الأمريكية القديمة، التي كان ولا يزال يتحدث بها سكان أمريكا الأوّل والمسمّون بالهنود الحمر، وقد تغلبت اللغات الأوربية - الحديثة على هذه اللغات، وبخاصة الفرنسية في كندا، والإنجليزية في الولايات المتحدة الأمريكية، والأسبانية، والبرتغالية في أمريكا اللاتينية.

٥- مجموعة اللغات الاسترالية، وقد تغلبت عليها اللغة الإنجليزية.

٦- اللغات الهندية الصينية، وتشمل لغات الصين، ولغات الهند، الذين يقطنون الهند الصينية، ولم يختلطوا بالآريين، وهذه المجموعة لغة فيتنام ولغة التبت، ولغات من يسكنون جبال هملايا.

وعلاوة على ذلك توجد لغات أخرى مستقلة لم يكن من الممكن إدخالها في أية فصيلة من لفصائل السابقة.

ومن أشهرها اللغة اليابانية، وبعض لهجات جزر الهند الشرقية، وبعض لهجات القوقاز، وكثير من لهجات النيجر، والهونتوت، والبوشمان -أي رجل الغابات. وأخيراً اللغة الباسكية في إقليم بروفانس (مقاطعة في جنوب أوربا تابعة لفرنسا، وإيطاليا).

ومما هو جدير بالذكر أن جمعية فقه اللغة بباريس كما ذكر الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه "علم اللغة" قسمت جميع اللغات الإنسانية الخارجة عن الفصيلتين الحامية السامية، والهندية الأوربية إلى تسع عشرة فصيلة على أساس ما يجمع بين أفراد كل فصيلة منها من صلات التشابه والقاربة اللغوية، فتتفق في أصول الكلمات وقواعد البنية وتركيب الجمل، ويتكون من الأمم الناطقة بها مجموعة إنسانية متميزة ترجع إلى أصول شعبية واحدة أو متقاربة، ويؤلف بينها طائفة من الروابط الجغرافية والتاريخية؛ ولذلك تعدّ نظرية فقه اللغة هذه من أحدث النظريات التي قيل بها في هذا المجال.

## الفصل الثالث: اللغات السامية

اللغات السامية نسبة إلى الشعوب السامية، وكلمة "سامية" وصف مأخوذ مما ورد في العهد القديم من سفر التكوين، الإصحاح العاشر؛ حيث قسم الشعوب إلى ثلاث فصائل:

أ- الفصيلة السامية.

ب- الفصيلة الحامية.

ج- الفصيلة اليافثية.

نسبة إلى أولاد نوح ~~الكليلة~~ الثلاثة: سام، حام، يافث، فلقد جرت عادة القدماء من المؤرخين أن يقسموا الأجناس البشرية إلى هذه الأقسام، وأن يقرروا أن أي جنس آخر لابد وأن يكون منحدرًا عن هذه الثلاثة.

وأول من أطلق هذه التسمية على هذه الشعوب، وبالتالي على لغاتها هو العالم الألماني "شلوزر" ١٧٧٥-١٨٠٩، فلقد أطلق هذا الاسم على عدد من اللغات وجدها متشابهة كل التشابه، وهي: الآكادية (البابلية الآشورية) والفينيقية، والعبرية، والآرامية، والريانية، والعربية الشمالية والجنوبية، والأثيوبية أو الجعزية.

وهذه اللغات هي جملة ما تكلم به الساميون، ولقد فني بعضها وبقي بعضها الآخر، وعلى أية حال فهذه اللغات كانت في بادئ أمرها لغة واحدة أو لهجات للغة واحدة، وهي اللغة السامية الأم أو اللغة الأولى أو السامية الأصلية.

وهذه اللغة لا نعلم عنها شيئاً؛ نظراً لأنها نشأت ونمت في عصور ضاربة في القدم، سبقت العصور التاريخية وجميع جهود العلماء التي بذلت لمعرفة شيء يقيني عن هذه اللغة ذهب أدراج الرياح.

يقول إسرائيل ويلفنسون في كتاب "تاريخ اللغات السامية": "إن من العبث

إطالة البحث في أمر غامض مجهول نشأ ونما في عصور سبقت العصور التاريخية<sup>(١)</sup>. وإطلاق لفظ "سامية" على هذه الشعوب وعلى لغاتها أخذ عليه بعض المآخذ، إلا أنه على الرغم مما به، فلم ير العلماء بأساً في إبقاء تلك التسمية، وقبولها على علاقتها لشهرتها وسهولتها، فإنها - كما يقول بعض علماء اللغة - أصح وأوفق ما اهتدى إليه الباحثون لتسمية كتلة الأمم التي كانت تقطن بلاد آسيا الدنيا، والتي كونت وحدة دموية ولغوية مستقلة.

وقد كانت هذه الشعوب السامية حين عرفت منتشرة في جزء من الجنوب الغربي من آسيا يمتد شمالاً إلى جبال طوروس، وجبال أرمينية، وشرقاً إلى جبال كردستان، وخورستان، والخليج، وجنوباً إلى المحيط الهندي وغرباً إلى البحر الأحمر، والأبيض المتوسط.

وظل الساميون قابعين في هذه البقعة فترة طويلة من الزمن، ولم يخرجوا منها إلا بعد أن انتشر الفينيقيون في كثير من جزر البحر الأبيض، وشمال أفريقيا، حيث كونوا دولة قوية، وعاصمتها قرطاجنة أو قرطاجة كما سيأتي بيان ذلك فيما بعد - إن شاء الله تعالى - وكذلك هاجر الساميون إلى بلاد الحبشة حين هاجر فريق كبير من عرب الجنوب عن طريق بوغاز باب المندب، وفي هذه البلاد أقاموا الدولة الحبشية السامية.

(١) تاريخ اللغات السامية لإسرائيل وبلفنسون (ص ٣): "يقول ابن حزم الأندلسي: إن الذي وقفنا عليه، وعنناه يقيناً أن السريانية، والعبرانية، والعربية التي هي لغة مضر وريبعة، لا لغة حمير واحدة، تبدلت بتدل مساكن أهلها، فحدث فيها جرس كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نعمة أهل القيروان، ومن القيرواني إذا رام لغة الأندلس، ومن الحراساني إذا رام نعمتهما، ويضرب لذلك أمثلة تؤيد ما ذهب إليه عن وجود القرابة اللغوية بين هذه اللغات، ثم يخلص إلى القول: "فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبادل ألفاظ الناس على طول الأزمان، واختلاف البدان، ومحاوره الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل" الإحكام في أصول الأحكام.

## مواطن الشعوب السامية:

على الرغم من وضوح موطنهم المشار إليه آنفاً إلا أن العلماء تباينت آراؤهم في موطن السّاميين الأصلي. وإليك كلمة موجزة عن هذه الآراء:

١- يرى فريق من العلماء أن الموطن الأصلي للسّاميين هو أرمينية بالقرب من حدود كردستان الحالية. ومن قال بهذا الرأي "رينان" الفرنسي و "نولدكه" الذي يذهب إلى القول بأن هذه المنطقة هي الموطن الأصلي للشعوب السامية، وكذلك الشعوب الهندية الآرية، ومنها هاجر الجميع إلى الأماكن الجديدة في جميع أنحاء المعمورة.

أدلة القائلين بهذا الرأي:

استدل القائلون به بأدلة مستفادة من التوراة، وما نقل عن أحبار اليهود. ولكن هذا الرأي مردود؛ لأن هذه الأدلة ليست يقينية؛ لأنها - كما قلنا - مأخوذة من سفر التكوين. ومؤلف هذا الرأي كان لا يعتمد على أشياء يقينية، بل كان يعتمد على الرواية دون التحقق من صدقها.

٢- ويرى فريق آخر أن جنوب العراق كان الموطن الأول للسّاميين، وعلى رأس القائلين بهذا الرأي "جويدي" الإيطالي.

الأدلة:

اعتمد "جويدي" على عدد من الكلمات وجدها متحدة في جميع اللغات السامية، وهي ذات معان مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتلك المنطقة. وهذا الرأي أيضاً لا يمكن قبوله؛ لأن اتحاد عدة كلمات في اللغات السامية، وارتباط معانيها بتلك المنطقة بالذات لا يمكن الاعتماد عليه، وردّ على هذا الرأي بعض العلماء مثل "نولدكه" وضرب في إبطال ذلك عدة كلمات مثل: شيخ، خيمة، أسود.

هذه الكلمات وغيرها كثير ليست متحدة في جميع اللغات السامية، مع أنها

كانت -بالقطع- موجودة عند الساميين حينما كانوا أمة واحدة<sup>(١)</sup>.

٣- يرى بعض العلماء أن شمال إفريقيا (مصر وما حولها) كان الموطن الأصلي للساميين للتشابه الخلفي بين الحاميين والساميين، ولقد هاجر الساميون عن طريق بوغاز باب المنذب.

وهذا الرأي ضعيف مردود، لا يمكن الأخذ به أيضاً؛ لعدم مطابقته للواقع؛ لأن التاريخ يذكر أن هجرة الساميين كانت من جزيرة العرب إلى أفريقيا لا العكس.

٤- الرأي الرابع، وهو أرجح الآراء وأقواها، أن جزيرة العرب -من غير تعيين لمكان منها- كانت الموطن الأول للساميين جميعاً.

ويُستدل على هذا الرأي بعدة أدلة: منها أن التاريخ القديم صرح بخروج كثير من الأمم السامية من شبه الجزيرة العربية على شكل موجات، وأن هذه الهجرات كانت تحدث كل ألف سنة تقريباً، وأن أولها هجرة الساميين إلى بابل في حوالي القرن السادس والثلاثين قبل الميلاد.

والثانية هجرة الكنعانيين في القرن السادس والعشرين.

والهجرة الثالثة في القرن السادس عشر إلى بابل، حيث أرض المهاجرين الأول، وفي القرن السادس هاجر قوم من الحجاز إلى الشام، وآخر هذه الهجرات كانت عند ظهور الإسلام مع الفتوحات الإسلامية.

وعلى رأس القائلين بهذا الرأي المؤرخ الإنجليزي "سايسي" و"شرايدر" الألماني، و"شيرنجر" الألماني، و"رايت" الإنجليزي، ولقد أدى القول بهذا الرأي إلى عدول كثير من الذين قالوا بالآراء السابقة، واعتناقهم له؛ نظراً لاعتماده على أدلة قوية تكاد تكون قاطعة.

(١) تاريخ اللغات السامية لإسرائيل ولفسون: (ص٥).

## مميزات اللغات السامية:

تمتاز اللغات السامية بمميزات تميزها عما عداها من اللغات، وبخاصة الفصيحة الهندية الأوروبية، وهذه المميزات تتعلق ببنية الكلمة، والتصريف والاشتقاق والإعراب وطرق التعبير، وتنوع الأساليب.

وإليك هذه المميزات بإيجاز:

- ١- هذه اللغات تضم مجموعة من الحروف الحلقيّة، وهي الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والحاء.
- ٢- أغلب مواد هذه اللغات ثلاثي.
- ٣- تغيير الحركات في أول الكلمة أو في وسطها يؤدي إلى تغيير المعنى، فالفرق واضح بين ضَرَبَ وَ ضَرِبَ وَ ضَرَبٌ... إلخ.
- ٤- الأسماء والصفات في هذه اللغات لها حالتان من حيث النوع، وهما حالة المذكر وحالة المؤنث، وللمؤنث علامات تدلّ عليه، وتلحق بآخر الكلمة، وهي تاء التأنيث، وألف التأنيث المقصورة والممدودة كما في لغتنا العربية.
- ٥- وجود حالتين للفعل هما: حالة الماضي والمضارعة، وأما الأمر والاستقبال فهما مأخوذان من المضارع.
- ٦- وجود طرق مفصلة لإعراب الاسم والفعل.
- ٧- لا توجد في هذه اللغات الأفعال المركبة إلا ما كان مأخوذاً من اللغات الأخرى مثل كهرب، وزركش فهما مأخوذان من الفارسية. فالكلمة الأولى مأخوذة عن كلمتين هما: كاه أو كه بمعنى تبن، والثانية: ربا بمعنى جاذب فأصل كهرب جاذب تبن.

وقلما توجد الأسماء مركبة في هذه اللغات مثل الصيغ التي تبدأ بالميم الزائدة مثل: مُكْرِمٌ ومُكْرِمٌ فأصل الكلمة الأولى من يُكْرِمُ، والثانية من يُكْرَمُ وبعمرور

الزمن حذفت النون ثم حذفت الياء ونقلت حركتها إلى الميم وأصل مكتوب ما كتوب (ما) بمعنى الشيء الذي و (كتوب) اسم مفعول أي فعول بمعنى مفعول.

فلما انضمت الكلمتان صار المعنى ما كتبت أي الشيء الذي كتب، أي المكتوب، وتوجد في بعض هذه اللغات أعلام مركبة تركيباً مزجياً مثل: بعلبك. وتركيباً إضافياً مثل: عبد الرحمن، عبد الله، وإسنادياً مثل: تأبط شراً.

٨- توجد في هذه اللغات ضمائر المفعولية المنفصلة مثل: إيأي، وإيانا، وإياك... إلخ، وتلحق ضمائر المفعولية المتصلة، وضمائر الإضافة بأواخر الكلمات مثل: أكرمتك، وهذا طعامك.

٩- توجد في هذه اللغات أيضاً صيغ الزيادة في الأفعال مع دلالة كل صيغة على معنى، ولكل صيغة من هذه الصيغ ماضٍ ومضارع وأمر، واسم فاعل، واسم مفعول... إلخ.

١٠- وجود طرق مبسطة لربط الجمل بروابط واضحة محددة المعنى مثل: الفاء تدلّ على الترتيب والتعقيب وثم للترتيب والتراخي وإنّ وأنّ للتوكيد، ولكن للاستدراك، وليت للتمني، ولعن للترجي، وكان للتشبيه... إلخ. وبعد أن وقفنا على موطن اللغات السامية، وتبين لنا خصائص ومميزات اللغات السامية سنوجز الحديث عن أهم هذه اللغات فيما يلي:  
اللغة الآكادية (البابلية والأشورية):

هاجر الساميون إلى العراق على فترات متوالية منذ عصور ضاربة في القدم، ويُظنّ أن أقدم هجرة سامية إلى هذه البلاد كانت حوالي القرن السادس والثلاثين قبل الميلاد.

ولعل السبب في هذه الهجرة، وما يتبعها من هجرات سامية أخرى هو ضيق الجزيرة العربية، وعدم قدرتها على استيعاب سكانها المتزايدين باستمرار، وقصورها عن تقديم ما كانوا يحتاجون إليه من قوت لهم ولأنعامهم ولما انتقل

الساميون إلى بلاد العراق في هذه الفترة استقروا في القسم الجنوبي، ولم تكن هذه البلاد خالية من السكان، بل كان بها شعب يسمى الشعب السومري، لا يعرف إلى أي الفصائل ينتمي فهو شعب مجهول الأصل، ويظن أنه من أصل صيني.

ولقد بلغ هذا الشعب درجة رفعة من الرقي والحضارة في شتى شئون الحياة، وكانت له لغة راقية ذات آداب وأسلوب خاص، وعرف خطهم والذي كانوا يدونون به لغتهم عند العرب بالخط المسماري أو الإسفيني أو السناني، وعرف عند العبريين بالخط الوتدي؛ نظراً لأنهم كانوا يدونون ما يشاءون بأقلام معدنية حادة على ألواح من الطين تجفف بالنار بعد الكتابة عليها.

وقد تطورت كتابتهم حتى صارت تتكون من خطوط أو أشكال مخروطية تشبه المسامير أو الأوتاد أو الأستنة، تختلف اتجاه أطرافها المسننة فتكون إلى أعلى أو إلى أسفل أو إلى اليمين أو إلى اليسار، ومن هنا أطلق عليها الأسماء سالفة الذكر.

ولقد تغلب الساميون على هؤلاء القوم، وأقاموا في تلك البقعة المسماة ببلاد آكاد كما كان يسميها السومريون، وأما السكان الأصليون فلقد قبعوا في الجنوب حتى الخليج العربي فترة من الزمن. وأقام الساميون أول حضارة سامية في هذه البلاد، واتخذوا بابل عاصمة لهم، ونسبت إليها الحضارة البابلية كما سموهم باسم البابليين.

وتلت هذه المهجرة هجرة سامية أخرى في حوالي القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد إلى هذه البلاد واستقرت في الشمال حيث مدينة أشور في بداية الأمر ثم اتخذوا مدينة "نينوى" عاصمة لهم واشتهر هؤلاء باسم الأشوريين، وعرفت دولتهم باسم الدولة الآشورية.

واشتبكت لغات الساميين في الشمال والجنوب مع لغة البلاد الأصلية، وهي اللغة الشومرية أو السومرية في صراع لغوي انتهى بانتصار اللغات السامية، وهي البابلية والآشورية على لغة البلاد الأصلية، وهي اللغة السومرية.

إلا أنه على الرغم من ذلك، فلقد بمرت حضارة المغلوبين أعين الغزاة الفاتحين فاقتبسوا بعض مظاهرها وأقام الفاتحون كما قلنا أقدم حضارة سامية في الشرق، بلغت أوج عظمتها في عهد سرجون الأول المتوفى حوالي ٢٧٥٠ ق.م وكانت الدولة الآشورية خاضعة للدولة البابلية في بادئ الأمر ثم انفصلت عنها، وأنشأت دولة قوية استمرت إلى أن سقطت 'نينوى' ٦٦٠ ق.م وقامت على أنقاضها دولة بابلية ثانية سميت باسم الدولة الكلدانية، والتي كان يختصر من أعظم ملوكها، ولم تعمر هذه الدولة طويلاً بل سقطت على يد "كورش" الفارس ٥٣٩ ق.م.

ومنذ أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد أخذ الآراميون يغيرون على العراق بقوة وعنف إلى أن سقطت هاتان الدولتان، وتغلبت اللغة الآرامية على اللغتين البابلية والآشورية، وحلت الدولة الآرامية محل الأكاديين، ولم تبقى اللغة الأكادية بشقيها إلا بين المثقفين من رجال الدين والأدب، اتخذوها وسيلة لتدوين مؤلفاتهم. وكان من الطبيعي أن يتأثر البابليون والآشوريون بسكان البلاد الأصليين، وأن يأخذوا عنهم بعض الظواهر اللغوية.

### وظهر هذا التأثير في الأمور التالية:

- ١- المفردات: فلقد اقتبس الساميون عن السومريين طائفة كبيرة من مفردات لغتهم وخاصة التي لم يكن لها نظير في لغتهم، وهي الألفاظ الدالة على أمور تمتاز بها الحضارة السومرية.
- ٢- تحريف الألفاظ: فكثير من الألفاظ الأصلية للغة السامية الأصلية انتابها كثير من التحريف في السنة المحدثين الناطقين بها من السكان الأصليين الذين أخذوا يقلدون الفاتحين في لغتهم، ويندمجون بهم، فانشرفت الأصوات عن مواضعها، وتشكلت بالصورة التي تتلاءم مع مخارج نطقهم.
- ٣- إهمال بعض الحروف من الأبجدية السامية.

فلقد سقطت بعض الحروف من الأبجدية، وأصبحت الأبجدية الأكادية لا

تشمل سوى ثمانية عشر حرفاً فقط، وهي:

أ-ب-ج-د-ز-ح-ط-ك-ل-م-ن-س-ف<sup>(١)</sup>-ص-ق-ر-ش-ت.

وسقطت الحروف التالية:

الضاد، والظاء، وحروف الحلق لم يبق منها سوء الهمزة والحاء، وحذفت

الواو والياء في أول الكلمة واستبدلت بما الهمزة، فيقولون في ولد مثلاً ألد.

٤- طريقة رسم الحروف والمقاطع الهجائية والنطق بما.

لقد كان البابليون والأشوريون يكتبون بالخط المسماري -سالف الذكر-

ومن هنا يميل العلماء إلى أن عدم وجود الحروف التي سقطت من الأبيدية

السامية سببها هو ضيق هذا الخط عن تمثيل هذه الأصوات<sup>(٢)</sup>.

٥- مخالفة المسماري لبقية الخطوط السامية، حيث يكتب من الشمال إلى اليمين.

٦- التوسع في أزمنة الفعل، فقد استخدموه للدلالة على ثلاثة أزمنة بدلاً من

اثنين الأول والثاني الماضي والمستقبل (المضارع) ويدلان على ما يدلان عليه

في اللغات السامية الأخرى، والثالث فعل الاستمرار، ويدل في البابلية على

أن الفعل قد وقع أو يقع أو سيقع على سبيل الاستمرار.

ولقد ظلت اللغة الأكادية محتفظة ببعض مظاهر الإعراب، والتي كانت -كما يُظن-

أخص خصائص اللغة السامية الأولى، والتي تخلصت منها جميع اللغات السامية

عدا اللغة العربية وعلامة الإعراب في اللغة الأكادية الضمة والكسرة فقط.

ولقد تأثرت اللغات السامية الأخرى باللغة الأكادية حيث أخذت عنها

أسماء شهور السنة الاثني عشر وهي: نيسان. آيار. حزيران. تموز. آب. أيلول.

تشرين الأول. تشرين الثاني. كانون الأول. كانون الثاني. شباط. أزار.

(١) تنطق الفاء "أ" في الخط المسماري.

(٢) تاريخ اللغات السامية لإسرائيل ويلفنون: (ص ٣٩).

ما سبق كان بعض ملامح اللغة الآكادية، ومما تجدر الإشارة إليه أن لغة البابليين كانت تشبه لغة الآشوريين إلى حد بعيد، ولقد نشأ عنهما لهجات لا تختلف عنهما، ومن هنا اصطاح العلماء على أن يطلقوا على اللغتين معاً، وعلى ما تفرع منهما من لهجات اسم اللغات الآكادية.

على أنهم كانوا يطلقون البابلية على لغة البابليين إبان سيطرتهم والآشورية على لغة الآشوريين إبان سيطرة الآشوريين على الحكم.  
اللغة الفينيقية:

الكنعانيون قبائل سامية هاجرت من شبه الجزيرة العربية حوالي القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد.

وبعض المؤرخين يعتقد أنهم هاجروا من شبه الجزيرة العربية حوالي القرن السابع عشر قبل الميلاد. وعلى أية حال فكنعان اسم أحد أبناء حام كما ورد في سفر التكوين<sup>(١)</sup>.

كما يطلق هذا الاسم على المنطقة الممتدة على ساحل البحر الأبيض من مصب نهر العاصي إلى الجنوب وكان يشمل سوريا وفلسطين.

ولا يذكر لنا التاريخ شيئاً عن كنعان يسكنون هذه البقعة قبل الكنعانيين، وعلى كل حال ذهب بعض المؤرخين إلى أن هذه البقعة كان يقطنها أناس مجهولون؛ لأنه لا يعقل أن تكون خالية، وهي الطريق التجاري بين العراق شرقاً ومصر غرباً والأناضول شمالاً.

كما يذكر التاريخ أن مدن: القدس: (صيدا، صور، حيفا) كانت موجودة قبل الكنعانيين.

(١) سفر التكوين: أحد الأسفار الخمسة التي تكون ما يسمى بالتوراة ويرمز للأسفار الخمسة بكلمة: "تخلعت"، فالتاء لتكوين والهاء لسفر الخروج واللام لسفر اللائين، والعين لسفر العدد، والتاء الثانية لسفر التثنية.

وأطلق مؤرخو اليونان اسم الفينيقيين على أول من عرف التاريخ من الشعوب الكنعانية، ويميل بعض المؤرخين المحدثين إلى أن الفينيقيين كانوا من الساميين الذين سكنوا جزيرة العرب على سواحل المحيط الهندي والخليج العربي، ويستدلون على هذا بأن اسم الفينيقيين مشتق من كلمة إغريقية معناها النخيل، وهذه تنطبق على هذه الأماكن التي كانوا بها قبل أن يهاجروا.

ولقد خضع الفينيقيون لحكم مصر في الفترة ١٦٠٠-١١٠٠ ق.م. وحصلوا على استقلالهم بعد وفاة رمسيس الثاني ١٢٩١-١٢٢٥ قبل الميلاد.

والفينيقيون يشتهرون بركوب البحار، فكانوا بجارة مهرة؛ نظراً لإقامتهم على السواحل، ونظراً لتوفر أشجار الأرز في بلادهم، ومنها كانوا يصنعون السفن.

وكانوا يقومون برحلات مختلفة، كان من نتيجتها تكوين بعض المستعمرات الفينيقية في جزر البحر الأبيض، وعلى سواحله الشمالية والجنوبية، وكان من أشهر هذه المستعمرات قرطاجنة، والتي أصبحت عاصمة للدولة الهونية، وقد بلغت أوج عظمتها في القرن الثالث، والرابع قبل الميلاد، واشتبكت في حروب مع الرومان مكثت مدة طويلة تحت قواد أشداء أشهرهم هنيبال العظيم، وكان النصر النهائي للرومان سنة ١٤٦ ق.م. وعلى أية حال، فلقد مكثت هذه الحروب من ٦٤٢-١٤٦ ق.م.

ومعلوماتنا عن اللغة الفينيقية قليلة إذا ما قيست بأخواتها الساميات، ويرجع ذلك لقلة النصوص التي خلفها الفينيقيون، وعلى أية حال، فلقد كان الفينيقيون، يتكلمون بلهجة سامية لم تمكث طويلاً، حتى استقلت وأصبحت ذات طابع خاص سميت باللغة الكنعانية ولقد عرفت عن طريق عدة نقوش، أقدمها نقش على تابوت الملك "أحيرام" والذي كشفه عالم فرنسي ١٩٢٣ م في مدينة جبيل، ويرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

ونقش آخر لملك يدعى "أبي بعل" ملك جبيل أيضاً، وقد وجد هذا النقش على تمثال شيشنق ملك مصر، ونقش آخر لملك من ملوك جبيل اسمه "إيلي بعل" ويرجع تاريخ النقش إلى القرن العاشر قبل الميلاد.

ومما تجدر الإشارة إليه أن للفينيقيين الفضل كل الفضل في اختراع الأبجدية الصوتية المحائية التي وضعت لكل صوت من أصوات اللغة علامة خاصة.

ومن هذه الأبجدية تفرعت سائر الأبجديات في العالم أجمع، شرقه وغربه. وأقدم شكل لهذه الأبجدية عثر عليه حتى وقتنا الحاضر ما كشف في ١٩٢٦م في "رأس شمرا" قرب مدينة اللاذقية على الساحل السوري.

ويرجع تاريخ هذه الأبجدية لأوغاريتية إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد. والأوغاريتية نسبة إلى المدينة الكنعانية القديمة، والتي جرى التنقيب في أطلالها، وكان الفينيقيون يقتصرون في كتاباتهم على الحروف الساكنة، ويهملون الحركات، وهي أصوات اللين القصيرة من ضمة وكسرة وفتحة، شأنهم في ذلك شأن جميع الساميين. واللغة الفينيقية قريبة الشبه بالعبرية القديمة، ولا تختلف عنها إلا في أمور قليلة ككيفية النطق ببعض الحروف والحركات، وفي أسلوب تكوين الجمل.

وقد ظلت الفينيقية تستعمل في كنعان وغيرها حتى صرعتها اللغة الآرامية - في القرن الأول قبل الميلاد ولقد تفرع من اللغة الفينيقية عدة لهجات محلية، أشهرها اللهجة اليونانية، والتي استعملت في قرطاجة، ولقد كشفت عدة نقوش لهذه اللهجة يرجع أقدمها إلى القرن الرابع قبل الميلاد وأحدثها إلى ما قبل سقوط قرطاجة في أيدي الرومان حوالي سنة ١٤٦ قبل الميلاد.

وقد قضت البونية على البربرية في شمال أفريقيا، وقضت أيضاً على اللغة اللاتينية لغة الرومان المستعمرين لهذه المنطقة.

ولقد تطورت منها لهجة حديثة بعد الفتح الروماني تسمى بالبنونية الحديثة،

ويقال إنها ظلت في بعض المناطق حتى قضتُ عليها اللغة العربية بعد الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي.  
اللغة العبرية:

العربون جملة شعوب يتصل نسبها إلى إبراهيم الخليل عليه السلام وهم بنو يعقوب وبنو إسماعيل، وبنو مدین، والعمالقة وآل آدوم، وأهل مواب، وآل عمون، ولكن إذا أطلقت كلمة العبرانيين فلا تصرف إلا إلى أبناء يعقوب وحدهم أي: بني إسرائيل<sup>(١)</sup> وقد اختلف العلماء في معنى كلمة "عبري" إلى ثلاثة آراء، هي:

١- ذهب بعضهم إلى أنها كانت لقباً لإبراهيم عليه السلام بعد أن عبر النهر.

٢- أنها نسبة إبراهيم إلى أحد أجداده الذي عرف باسم عبر.

٣- هذه الكلمة تدل (في اللغتين العربية والعبرية) في أصل اشتقاقها على الرحلة والتنقل والارتحال، وأطلقت على العبريين؛ لأنهم كانوا بدوًا رحلاً لا يستقرون في مكان. وهذه أرجح الآراء.

ولقد نزع بنو إسرائيل من شبه جزيرة سيناء وشمال الحجاز، وأغاروا على بلاد كنعان، واستولوا على جزء كبير منها، واستقروا بفلسطين في حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ومع أنهم دخلاء على هذه البلاد فإن لغتهم تنفق في معظم مظاهر الصوت والقواعد وأصول المفردات، وتؤلف معها شعبة واحدة، كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

ولم تُعرف اللغة العبرية بهذا الاسم في الأزمنة القديمة، فصحف العهد القديم تسميها باللغة اليهودية وأحياناً باللغة الكنعانية، ولم تعرف باسمها هذا إلا بعد السبي البابلي، وكانت تسمى إلى جانب هذه التسمية باللغة المقدسة، وقد مرت اللغة العبرية بمراحل كثيرة تأثرت في كل منها بمؤثرات أهمها الشؤون السياسية وما طرأ على

(١) فقه اللغة د. علي عبد الواحد وإي (ص ٥١).

وحدة بني إسرائيل وعلاقتهم بالشعوب الأخرى، وترجع هذه المراحل إلى عصرين:

### العصر الأول:

يبدأ حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وينتهي إلى أواخر القرن الرابع

ق.م وينقسم هذا العصر إلى مرحلتين:

#### المرحلة الأولى:

في هذه المرحلة كان بنو إسرائيل يتمتعون بالاستقلال الكامل، وهذه المرحلة تمثل العصر الذهبي للغة العبرية، وفي هذه المرحلة دونت معظم أسفار الكتاب المقدس، وتنتهي هذه المرحلة بما يسمى بالسبي البابلي في ٥٨٧ قبل الميلاد، حيث أغار بختنصر ملك بابل على فلسطين وأسر عددًا كبيرًا من الإسرائيليين ونفاهم إلى بابل، ولم يخلصهم من الأسر البابلي إلا كورش الفارس الذي أغار على بابل في ٥٣٩ قبل الميلاد، وأطلق سراحهم.

#### المرحلة الثانية:

وتبدأ هذه المرحلة من السبي البابلي سنة ٥٨٧ قبل الميلاد وتنتهي بانقراض اللغة العبرية من التخاطب في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، وتغلب اللغة الآرامية عليها وحلها محلها في التخاطب، بحيث أصبحت اللغة العبرية في عداد اللغات الميتة، ولقد ساعد على ذلك تفكك بني إسرائيل وانحلال سلطاتهم السياسي في هذا العصر.

وأهم ما وصل إلينا في هذه المرحلة بعض أسفار العهد القديم التي دونت في هذه المرحلة وبعض آثار أدبية أخرى، تعدّ أرقى ما وصل من هذه اللغة، ومنها يظهر تأثير العبرية بالآرامية تأثيرًا واضحًا.

### العصر الثاني:

وينقسم إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: وتسمى العبرية فيها بالعبرية التلمودية؛ لأن التلمود أسمى ما

وصل إلينا في هذه المرحلة، وهو عبارة عن المشنا وشروحها، والمشنا عبارة عن مؤلفات في الدين والتاريخ والقانون باللغة العبرية ثم شرحت في الجمارا باللغة الآرامية.

وتنتهي هذه المرحلة بفتحة العصور الوسطى.

المرحلة الثانية: وتبدأ بفتحة العصور الوسطى حتى العصر الحاضر، وتسمى العبرية في هذه المرحلة بالعبرية الحديثة، ويظهر تأثر العبرية باللغة العبرية، واللغات الأوربية الحديثة، فلقد نقل علماء اليهود المؤلفات العبرية إلى العبرية، فزادوا بذلك ثروة لغتهم.

وعلى أية حال، فلقد خضعت اللغة العبرية بعد السبي البابلي لمؤثرات عنيفة، وأدت هذه المؤثرات جميعها إلى ما رأيت من ضياعها من المحادثة إلى لغة ميتة لا تستعمل في الحياة العامة؛ لأن اليهود أنفسهم تركوها إلى اللغة الآرامية.

ومنذ أواخر القرن التاسع عشر عمل اليهود في جميع أرجاء العالم على إحياء اللغة العبرية من جديد وعلى الأخص في أوروبا الشرقية، وساعدهم على ذلك احتلالهم لفلسطين، وإنشاء ما يسمى بإسرائيل في الأراضي المحتلة، وعملوا على نشر لغتهم واستعمالها في الأدب والكتابة والصحافة والإذاعة وجميع المجالات، واستعاروا كلمات كثيرة من جميع اللغات التي كان لهم بها اتصال واحتكاك.

هذا وقد كتبت العبرية بخطين: خط قديم مشتق من الخط الكنعاني، ويسمى بالخط العبري، وظل إلى السبي البابلي، ثم خط حديث يشبه الخط الآرامي، واستعمل هذا بعد السبي البابلي، وعرف بالخط الأشوري والمربع وهو المستعمل للآن.  
اللغة الآرامية:

تنسب اللغة الآرامية إلى الآراميين الذين ينسبون إلى آرام بن سام، وكان الآراميون يقيمون في الجزء الشمالي الشرقي من جزيرة العرب، ومن هذه المنطقة أخذوا يغيرون على العراق وسوريا، ويرجح أن السبب في توالي إغاراتهم على هذه البلاد إلى قيام بعض الدول اليمنية في الجنوب كالدولة المعينية والسبئية، والحضرية

مما جعلهم يرحلون من هذه الأماكن إلى أماكن أخرى ينعمون فيها بالاستقرار. ولقد استقروا في جنوب العراق، وأقاموا لهم دولة هناك ثم بعد فترة زحفوا إلى الشمال إلى آشور واشتدت إغارهم عليها في أوائل القرن الحادي عشر قبل الميلاد. وكما هاجر هذا الفريق إلى العراق هاجر من قبل فريق آخر من الآراميين إلى سوريا في حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد. ولم يكن الفتح الآرامي لكل من العراق وسوريا احتياحاً بقدر ما كان تسللاً بطيئاً جداً.

ولقد استغرق ذلك قروناً طويلة، ومع ذلك سيطر الآراميون على جميع هذه المناطق سيطرة تامة رغم المقاومة التي وجدوها من الآشوريين والبابليين، والكنعانيين، وأصبح لهم اليد الطولى في كل شيء، كما أضحت اللغة الآرامية لغة جميع هذه المناطق، تستعمل في كل شيء؛ في الأدب والكتابة والمحادثة. ولم يقتصر نفوذ الآراميين على العراق وسوريا وفلسطين بل امتد إلى مملكتي تدمر، و"الأبنا".

وأدى انتشار الآراميين في هذه البقعة الشاسعة إلى تفرع اللغة الآرامية إلى مجموعتين هما:

المجموعة الآرامية الشرقية: وتشمل العراق شمالاً وجنوباً.

والمجموعة الغربية: وتشمل الشام وشبه جزيرة سيناء، وتسمى الآرامية الغربية.

ومواطن الآرامية الشرقية بالتحديد شرقي الفرات، والآرامية الغربية موطنها الأماكن التي تقع غرب الفرات، ولقد اختلفت كل منهما عن الأخرى نظراً لاختلاف طبائع المتكلمين بهما، وتباين منازلهما في عدة أمور، هي:

١- الاختلاف في هيئة النطق ببعض الحروف الساكنة، والحركات اللينة.

٢- الاختلاف في حروف المضارعة في المضارع المسند إلى المفرد الغائب ففي

- الآرامية الغربية ياء كما في اللغة العربية، وفي الآرامية الشرقية نون.
- ٣- الاختلاف في تعريف الاسم، فأداة التعريف الآرامية ألف مدّ تلحق آخر الاسم، وفي الآرامية الشرقية تغيرت وظيفتها، وأصبحت لا تدل على تعريف. ولقد أدى احتكاك الآرامية الشرقية باللغة الفارسية، واحتكاك الآرامية الغربية باليونانية واللاتينية إلى اختلاف الكلمات الدخيلة في كل منها، فالآرامية الشرقية ظهر تأثرها بالفارسية واضحاً والآرامية الغربية ظهر تأثرها باليونانية واللاتينية في الكلمات الدخيلة.
- واللغة التي تفرعت منها هذه اللغات تسمى اللغة الآرامية الأم، وهي التي انحدرت منها اللهجات الغربية واللهجات الشرقية.
- ويمثل هذه اللغة نقوش على جدران الهياكل، وعلى التماثيل والصخور. وأقدم هذه النقوش يرجع تاريخه إلى القرن الثامن قبل الميلاد.
- ولقد وجدت هذه النقوش في أماكن متفرقة في بلاد الشام وآسيا الصغرى، وشمال الجزيرة العربية ومصر وأفريقيا الشرقية، ومع ذلك لا يستطيع أحد أن يقطع برأي في قواعد هذه اللغة التي انحدرت منها جميع اللهجات الآرامية، كما لا يستطيع معرفة هيئة النطق بحروفها وحركاتها.
- وإليك موجزاً لكل من لهجات المجموعتين:
- أولاً: لهجات الآرامية الغربية:
- ١- الآرامية القديمة التي تفرع منها سائر اللهجات.
- ٢- آرامية العهد القديم.
- ٣- الآرامية المصرية.
- ٤- التدمرية: وتنسب إلى التدمريين، وهم بطون من القبائل الآرامية، والتي كونت لنفسها دولة قوية، وبلغ أوج مجدها بين سنتي: ١٣٠-٢٧٣ بعد الميلاد.

وكانت اللهجة التدمرية متأثرة بالإغريقية كما تأثرت بالعربية في أعلام خاصة مثل: ذبيد، ومقيم وأذينة، ووهب.

٥- النبطية: وتنسب إلى النبط، وهم مزيج من الآراميين والعرب في أرجح الآراء، ولقد استقروا في طور سيناء، وتعد هذه اللهجة مزيجًا من الآرامية والعربية، ولكن الآرامية أغلب، واتخذوها لغة لهم؛ لأنهما في ذلك الوقت لغة الحضارة عند جميع أمم هذه المنطقة المتسعة من العالم<sup>(١)</sup>.

٦- الآرامية الحديثة، وقد وصفت بالآرامية الفلسطينية السورية الحديثة، وهي متطورة عن آرامية العهد القديم وانقرضت هذه اللهجات منذ القرون المسيحية الأولى أما اللهجات الحديثة فقد بقيت لغة كتابة ودين حتى القرن السابع الميلادي حيث قضت عليها اللغة العربية، ولكنها بقيت بعد ذلك لغة تخاطب حتى القرن السابع عشر بعد الميلاد في بعض الجهات السورية، وخاصة المناطق الجبلية من لبنان.

ثانيًا: لهجات الآرامية الشرقية:

تفرعت الآرامية الشرقية إلى اللهجة الآرامية اليهودية، وكان يلهج بها اليهود في المنطقة التي تقع إلى الجنوب من بابل.

٢- اللهجة الآرامية في شمال العراق:

وهي التي كانت تستعمل في المنطقة التي تعرف باسم حران في الشمال الغربي من العراق.

٣- اللهجة السريانية:

وكانت في منطقة أودسا أو الرها، واسمها في الوقت الحاضر أورك.

والسريانية اسم أطلقه الإغريق على الآراميين، وقد سر الآراميون

(١) تاريخ اللغات السامية: (ص ٣٥).

المسيحيون ورحبوا به وفضلوا أن يعرفوا به بدلاً من اسمهم الأول الذي كان يذكّرهم بأيام وثنيتهم.

ولقد انقرضت هذه اللهجات جميعها حيث تغلبت عليها اللغة العربية في القرن السابع بعد الميلاد، وخلفت من ورائها لهجات حديثة أشهرها لهجة سريانية لا تزال حية إلى وقتنا الحاضر ويتحدث بها عدد قليل من سكان سوريا، ولاسيما في قرية معلولة القرية من دمشق.

### اللغات الحبشية السامية:

منذ أمد بعيد لا يمكن تحديده نزحت قبائل سامية من اليمن إلى الحبشة، وأسست هذه القبائل ملكاً عاصمته مدينة "أقسوم".

وكانت هجرة هذه القبائل من قرية اسمها "حبشك" كما ورد في النقوش السبئية، ومن هنا أطلق على المهاجرين الأحباش، وعلى المكان الذي انتقلوا إليه الحبشة.

وكانت أولى القبائل التي هاجرت إلى الحبشة تسمى بالجزرية، ومعنى اسمهم الأحرار، وكانت لغة هذه القبائل سامية شديدة الشبه باللغة السامية، وأطلق عليها اسم "اللغة الجزرية" وهي لغة سامية لأنها تنتمي إلى الفرع الجنوبي للغات السامية، والذي يشمل العربية الشمالية والعربية الجنوبية.

ولاحظ العلماء أن هذه اللغة حافظت على عناصر سامية قديمة، ولم يبق لها أي أثر في اللغات السامية الأخرى، ولا سيما في الأساليب.

فاللغة الجزرية قديمة في تركيبها ونظامها، وهناك أشياء أخرى تدل على أن الجزرية حافظت على أقدم الصور السامية على حين قد ضاعت من غيرها.

من ذلك عدم التمييز بين المذكر والمؤنث في الأسماء<sup>(١)</sup> وكان خطها أشبه بالخط السبئي، وقيل إنه مشتق منه.

(١) تاريخ اللغات السامية: (ص ٢٦٢).

ويمثل اللغة الجعزية عدة نقوش وجدت في مدينة "أقسوم" العاصمة، وأشهر هذه النقوش:

١- نقش الملك "عيزانا" وهو أقدم الكتابات الجعزية دون حروف سبئية ويرجع تاريخه إلى النصف الأول من القرن الرابع الميلادي.

٢- نقش الملك "الأعميدا" ملك "أقسوم" وسبأ وحمير وغيرها، وفي هذا النقش أخذ الخط الجعزي يتحرر من تأثيره من الخط السبئي، وأخذت تستعمل كلمات ليست موجود في اللغات السامية مثل "نجوس" بمعنى ملك، وكلمة وُلد بسكون اللام بدل فتحها.

### اللغة الأمهرية:

في حوالي القرن الحادي عشر ظهر في الحبشة عنصر جديد أخذ يناوى الجعزيين حتى أمكنه أن يتغلب عليهم ويتزعزع منهم المنك في سنة ١٢٧٠ ميلادية، وكون لنفسه مملكة جديدة على أنقاض الحكم الغابر تحت أسرة تدعي نسباً يرقى إلى سليمان عليه السلام وتسمى هذه الأسرة، بالأسرة الأمهرية، وعرفت أسرتها بالسلمانية.

وأخذت اللغة الأمهرية تبعاً لذلك تصارع اللغة الجعزية حتى حلت محلها من أول الأمر في مجال التخاطب، وبقيت اللغة الجعزية اللغة الرسمية للدولة، ولغة الكتابة والأدب والدين، واستمر الحال على هذا الوضع إلى أن غزت البلاد طوائف من المبشرين المسيحيين، وترجموا كتب الدين بالأمهرية، حتى يصرفوا الناس عن الجعزية، وفعلاً تحقق لهم الغرض الذي ينشدونه، وهو ضياع الجعزية من جميع النواحي وبلغ من أمرها أن جهلها رجال الدين أنفسهم، وحلت الأمهرية محلها في جميع الطوائف.

ولكن ما هي الأمهرية التي كُتبت لها الغلبة؟

الأمهرية عبارة عن لغة سامية في بادئ أمرها، قريبة الشبه باللغة الجعزية في بداية نشأتها في إقليم أمهرة حول بحيرة "نسانا" ولكن سرعان ما تطورت، ودخلها العنصر الحامي والذي أصبح بعد ذلك هو العنصر الغالب عليها، وأصبح العنصر السامي عنصراً مشوّهاً ضعيفاً.

من هنا نستطيع القول إنهما إلى الحامية أقرب منها إلى السامية حتى إنهما فقدت أحرف الحلق القوية -ع-غ-خ- وتغير النطق بالكلمات السامية فصبغ بالطابع الخشن، وقل عدد حروف الصفير، وتغيرت صور الضمير، وامتد التغيير حتى شمل القواعد والأساليب، وطرق تكوين الجمل، ومن هنا بعدت الأمهرية عن أخواتها الساميات.

ولما كثر عدد المسلمين الأحباش أخذت اللغة العربية تزاحم الأمهرية، وما زالت تنازعها السلطان حتى صارت الآن أكثر انتشاراً بين المسلمين الأحباش، وأصبحت عندهم اللغة الأولى العربية، والأمهرية تمثل المركز الثاني بعدها ثم ظهر أمر الأمهرين حتى صارت اللغة الرسمية للبلاد إلى وقتنا الحاضر.

وتوجد في الحبشة حالياً عدة لهجات يرجع بعضها إلى الجعزية، ويرجع بعضها الآخر إلى الأمهرية:

#### أ- اللهجة التجراية:

وهذه اللهجة متفرعة من اللغة الجعزية في منطقة أقسوم، حيث لم تفن فناءً تاماً بل تفرعت منها هذه اللهجة، والتي قاومت الأمهرية مقاومة شديدة؛ نظراً لأن معظم المتكلمين بما من المسلمين الذين تمسكوا بما حتى لا يتكلموا الأمهرية، وهي لغة المسيحيين، والتي عجزت عن أن تتغلب على هذه اللهجة في هذه المنطقة، ويتكلم بهذه اللهجة حوالي نصف مليون، منهم سكان "أريتريا".

#### ب- اللهجة التجرية:

وهذه اللهجة تقع في شمال المنطقة السابقة، ولكنها ليست منحدره من

الجزرية كسابقتها بل يرجع أصلها إلى لغة سامية مجهولة، ولكنها قريبة الشبه بالجزرية، ويتكلم بها حوالي مائة ألف كلهم مسلمون، وهم في المنطقة الساحلية تمتد من مصنع جنوباً إلى سواكن شمالاً.

ويظهر من ملامح هؤلاء أنهم غير ساميين، ولكن إسلامهم كان السبب في عدم تغلب اللغة الأمهرية على لهجتهم هذه.

### ج- اللهجة الهورية:

وهي لغة أهل هور، وهي متفرعة ومتطورة من اللغة الأمهرية، وهي في الأصل حامية ولكنها تأثرت أكثر من اللغة باللغة العربية؛ نظراً لأن سكان هور يتكلمون من عدة قبائل حامية، فلغتهم حامية سامية يغلب عليها العنصر السامي العربي، فرغم أنها متفرعة من الأمهرية إلا أنها تأثرت بالعربية تأثراً بارزاً وخاصة في النواحي الدينية والتجارية، وهي تشتمل على جميع حروف الحلق التي هي أخص خصائص اللغة العربية.

### د- اللهجات الجوراجوية:

وهذه عبارة عن مجموعة لهجات متفرعة من الأمهرية أشهرها اللهجة "تشاها" في منطقة جوارج جنوبي مدينة "كوا" موطن الأمهريين الأصلي، والمتكلمون بهذه اللهجات خليط من المسلمين والمسيحيين والوثنيين.

### اللغة العربية:

تُكوّن اللغة العربية مع اللغات اليمينية القديمة، واللغات الحبشية ما يسمى باللغات السامية الجنوبية؛ وذلك لأن صلة القرابة بين اللغة العربية، واللغات اليمينية القديمة واللغة الحبشية أقوى كثيراً من صلات القرابة التي تربطها باللغات السامية الشمالية، كما يظهر لنا جلياً من الموازنة بينهما في القواعد والأصول والكلمات، والأصوات وغير ذلك من الظواهر اللغوية.

كما أن صلة القرابة بين اللغات اليمنية القديمة وبين اللغات الحبشية أقوى كثيراً من الصلات التي تربطها باللغة العربية الشمالية، ويرجع السبب في ذلك إلى أن اللغات الحبشية تفرعت بطريق مباشر من اللغات اليمنية كما سبق بيان ذلك، ويشمل هذا المبحث الكلام على:

١- العربية الجنوبية والتي تسمى أحياناً بالقحطانية.

٢- العربية الشمالية وتشمل:

أ- العربية البائدة. ب- العربية الباقية.

وتسمى العربية الشمالية -أحياناً- بالعدنانية.

١- العربية الجنوبية:

يطلق العلماء على اللغة العربية الجنوبية عدة مصطلحات، وهي:

العربية الجنوبية القديمة أو القحطانية أو اللغات اليمنية القديمة، وأحياناً

يسمونها باسم إحدى لهجاتها فيقولون: المعينية أو السبئية أو الحضرمية.

ويجدر بنا أن نلقي بعض الضوء على تاريخ هذه البقعة التي وجدت بها هذه

اللغة حتى نكون على بيّنة من أمرها؛ لأن اللغة صورة واضحة للناطقين بها.

يذكر المؤرخون أن هذه المنطقة كانت خصبة تنمو في سهلها الأشجار

والنخيل والنباتات والأعشاب ومن ثم أطلق عليها مؤرخو اليونان اسم "بلاد

العرب السعيدة" وسماها العرب منذ القدم "بلاد اليمن" من السيمن والبركة،

ولاشك أن ذلك يجعلها صالحة للسكنى.

وجغرافية هذه البلاد ووقوعها على السواحل المطلّة على البحار تجعلها

مهيأة لأن تقوم فيها أكثر من دولة تشتغل بالتجارة وغيرها.

فيذكر لنا التاريخ أن هذه البلاد قامت فيها عدة دول، هي:

١- الدولة المعينية. ٢- الدولة السبئية. ٣- الدولة القتبانية.

٤- الدولة الحضرية. ٥- لدولة الحميرية.

الدولة المعينية:

قامت هذه الدولة في منطقة الجوف، وهي منطقة أرضها خصبة، وتقع بين نجران وحضرموت، وكانت عاصمتها "قرنا" أو "قرنانا" والراجح أن هذه الدولة عاشت وازدهرت بين ١٣٠٠ و ٦٣٠ سنة قبل الميلاد، وكان بيد هذه الدولة زمام التجارة بين الهند من ناحية، وبلاد العرب من ناحية أخرى، فكانوا يتنقلون من الهند إلى شمال الجزيرة العربية، ومن هنا وجدت آثارهم في جنوبي الجزيرة وشمالها حيث كان لهم بعض المستعمرات المتاخمة للبلاد الكنعانية.

ولقد وصلت إلينا لغتهم، والتي تسمى باللغة المعينية عن طريق نقوش عثر على بعضها في بلاد اليمن، وعلى بعضها الآخر في الأماكن التي استعمروها في الشمال.

يؤخذ مما ورد في الكتب المقدسة أن الدولة السبئية كانت معاصرة لدولة سليمان بن داود عليه السلام والذي يرجح أنه توفي سنة ٩٧٥ قبل الميلاد، وعلى هذا يمكن القول بأن دولة سبأ كانت قائمة في القرن العاشر قبل الميلاد، ويذكر لنا المؤرخون أنها ظلت قائمة حتى ١١٥ قبل الميلاد، وكانت عاصمتها "مأرب" التي ينسب إليها سد مأرب، والذي يسميه القرآن الكريم: -: "سبل العرم".

ولقد ورد عن هذه الدولة كثير من الأخبار في القرآن الكريم في سورة سبأ، وكذلك في سورة النمل.

ولقد وصلت لنا اللغة السبئية عن طريق نقوش كثيرة عثر عليها حديثاً في بلاد اليمن، وخاصة في منطقة مأرب العاصمة.

الدولة القتبانية:

قامت هذه الدولة في المناطق الساحلية الواقعة في شمال عدن، وتنسب إلى قبائل قبان.

ولا يعرف عن تاريخ القتبانيين شيء يذكر سوى أن هذه الدوله

اشتبكت في حروب عديدة مع الدولة السبئية أدى إلى انقراضها واندماجها في الدولة السبئية.

ولقد وصلت لنا لغتهم عن طريق بعض النقوش التي عثر عليها في بلاد اليمن.  
الدولة الحضرية:

والدولة الحضرية هذه لا يعرف شيء عن تاريخها سوى أنها كانت معاصرة للدولة المعينية ثم اندمجت في الدولة المعينية بعد أن ظلت مستقلة ما يقرب من ثلاثة قرون، وعلى أية حال فلقد كانت في المكان المسمى باسمها، وقد عثر على لغتها الموجودة على بعض النقوش التي اكتشفت في المناطق الجنوبية لبلاد اليمن.

دويلة حمير:

تنسب إلى جماعات من حمير ظلت تناوئ سبأ السلطان مدة طويلة دون أن تغلب عليها وبالتالي اشتبكت لغتهم في صراع مع اللغة السبئية، ولكن لم تستطع التغلب عليها في بداية الأمر كذلك، واستمر الحال على هذا الوضع حتى طرد الأحباش من اليمن أول مرة سنة ٤٠٠ بعد الميلاد، وتولى الحكم في اليمن أسرة حميرية امتد حكمها حتى سنة ٥٢٥ ميلادية، ومنذ ذلك التاريخ أخذت الحميرية في الظهور فاستأثرت بالنفوذ الأدبي.

ويجدر بنا أن نفرق بين أمرين مهمين: هما الحميرية القديمة، والحميرية الحديثة، فالحميرية القديمة شيء، والحميرية الحديثة شيء آخر.

فالقديمة لا فرق بينهما وبين اللغات اليمنية القديمة - المعينية والسبئية والحضرية والقبتانية، أما الحميرية الحديثة فهي متطورة عن الحميرية القديمة تطوراً أدى إلى اقترابها من لهجات عرب الشمال، حتى صارت بعد تغلب العربية الشمالية عليها إحدى لهجات العربية الشمالية، ومنذ ذلك الحين أصبح اللسان اليمني لسائناً عربياً خالصاً وأما اللغات اليمنية القديمة، ومنها الحميرية القديمة فبعيدة كل البعد عن العربية الشمالية يدلنا على ذلك الرجوع إلى أحد، نقوش

اللغات اليمينية التي وصلت إلينا وهو النقش التالي:

عبارة النقش مدونة بحروف عربية، أما الأصل فمدون بخط السند:

١- ب.... وهق..... جنا وصوايت ومحفدت وهجرهمو.

٢- ميرام حسسم وا.... م.م ووسفو وريمو كل جنا هو وصويت.

٣- جنا هو وصو وبتهو محفد تمون مريمهو عدى ثركهو وهديو هو وهعقين.

٤- خدعو وهعقبو لحاقهو مصرعتم ميرا ومقبح كل ضدقم بين موترم عدى ت.

٥-..... ن بم مراهيمو عتتر شرقاً أشمشهو والأول تممو وباخيل ومقيت. خميس.

٦- حن يورخن ذنجر فذ لشبشت وتسعى وثلت ماتم بين حرف بجض بن أبجض.

ترجمته إلى العربية:

١-.... (وأعلو مرة أخرى) السور و... أبراج مدينتهم.

٢- بأدوات البناء، ووسعوا كل سورها و... .

٣- وسورها و... أبراجها من أعلى إلى أسفل مكان زيتوها، وأبراجها للحراسة.

٤- وعمرو الحلف على هيئة باب حصن بأحسن أدوات البناء وفن التعمير من

أسفل إلى أعلى.

٥- محمد سيدهم عتتر المشرق، وأهنتهم اتلشموس وسائر الآلهة وبحول وقوة

الخميس (الجيش).

٦- في شهر ذي قيص من ثلثمائة سنة وست وتسعين بعد سنة مبجوض بن أبجض.

من هذا النقش ومن غيره يتضح لنا أن اللغات اليمينية القديمة مستقلة تمام

الاستقلال عن اللغة العربية الشمالية، ولكنها تؤلف معها ومع اللغات الحبشية شعبة

مستقلة، وهي "الشعبة الجنوبية للغات السامية". وصلات القربى بين لغات هذ

الشعبة واضحة، وأقوى كثيراً من صلات القرابة التي تربطها باللغات السامية

الشمالية، ومما تجدر الإشارة إليه أن اللغات اليمينية القديمة، والتي عُثر عليها في اليم

في منطقة سبأ وما حولها جنوبي الجزيرة العربية، وفي بعض المناطق شمالها قد كتبت بخط مسند على الأحجار والمعادن كالحديد والنحاس والقصدير، وعلى النقود والتماثيل، وعلى لوحات القبور والمذابح وجدران خرائب الهياكل وأسوار المدن. هذه اللغات تكاد تكون صورة واحدة للغة واحدة لا تكاد تدرك الفرق بين قديمها وحديثها.

وذلك على الرغم من أن تاريخ هذه اللغات يمتد نحو خمسة عشر قرناً، أي حوالي القرن الثامن أو التاسع قبل الميلاد إلى القرن السادس بعد الميلاد. فلغة هذه النقوش سواء منها المعيني أو السبئي أو الحضرمي أو القتباني أو الحميري القديم شديدة التشابه، حتى ليتمكن القول: إنها جميعاً لغة واحدة، والفرق بين أكبر اثنتين منها، وهما المعينية والسبئية لا يتعدى بعض الألفاظ والضمائر إلا أن المعينية تقترب بعض الشيء من اللهجات السامية الشمالية (الأكدية)؛ لأنها تستعمل السين ضميراً للغائب بدلاً من الهاء، وهذه السين تشبه الشين التي توجد في الأكادية. بين العدنانية والحميرية:

من المعروف أن لغة اليمن كانت عند ظهور الإسلام تشبه لغة عرب الشمال لدرجة أنه لم يكن من العسير أن يفهم كل من الفريقين الآخر، أما اليمنية القديمة وتشمل (المعينية والسبئية والحضرمية والقتبانية والحميرية القديمة) فتختلف عن العربية العدنانية اختلافاً كبيراً يدل عليه ما بين لغة النقوش اليمنية، والتي ذكرنا أحدها، واللغة العدنانية من فروق جوهرية من عدة نواح. ومن ثم كان قول من يقول إن لغة حمير ليست من العربية في شيء قولاً صحيحاً، وكان قول من يرون اتحاد اللغتين أو تقاربهما صحيحاً أيضاً. فمن نظر إلى الحميرية القديمة رأى الرأي الأول كأبي عمرو بن العلاء وابن جني ومن تبعهما.

ومن نظر إلى الحميرية الحديثة، والتي كانت وليدة تطور اللغة اليمنية القديمة رأى الرأي الثاني ومن الممكن أن نلخص ما بين العدنانية والحميرية القديمة من فروق فيما يلي:

أولاً: من حيث التنكير والتعريف:

تستعمل الحميرية القديمة الميم للدلالة على التنكير بدلا من التنوين فيقال: ملكم أي ملك، ولم تظهر أداة التعريف في الحميرية القديمة، ولكنها ظهرت في عصور متأخرة، وهي الألف والميم بدلا من الألف واللام وقد ظلت كذلك إلى أن جاء الإسلام ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: "ليس من امر امصيام في امسفر".

ثانياً: من حيث التثنية والجمع:

فعلامة الجمع في الحميرية هي الميم كعلامة التنكير، والسياق يفرق بينهما فيقال ملكم أي ملوك، ويبدو أن الحميرية قد تأثرت هنا بالعربية التي علامة الجمع فيها الميم المسبوقة بياء المددة ويصاغ المثنى في الحميرية بإضافة نون فياء إلى المفرد عكس ما هو متبع في العربية الشمالية، فيقال في تثنية ملك ملكي.

ثالثاً: من حيث ضمائر الغياب.

الحميرية تستعمل ضميراً واحداً للغائب متصلاً كان أو منفصلاً وهو "هو". فيقال: ملكهو بمعنى ملكه، وتضاف الميم إلى آخر الضمير المتصل الدال على جماعة العائنين فيقال: ملكهوم بمعنى ملكهم.

رابعاً: في بعض صيغ الزيادة في الأفعال:

فالهاء في الحميرية تحل محل الهمزة التي يوتى بها لتعددية في العربية، فيقال: هَقْنِي بمعنى أقتى وهذه ظاهرة تشترك فيها الحميرية والعربية.

خامساً: من حيث إسناد الفعل الناقص إلى واو الجماعة: فالحميرية لا تحذف

لام الفعل الناقص قبل واو الجماعة مثل هقنيوا، أما المضربة فتحذفها كما هو

معروف "أقنوا".

من هنا يتبين لنا بجلاء أن ما اشتهر وتداول عند الباحثين من العرب من أن اللغة العربية واللغة اليمنية تمثلان لهجتين للغة واحدة، وأن الخلاف بينهما لا يعدو أموراً يسيرة يبدو بعضها في الأصوات والمفردات وبعضها في القواعد لذلك كانوا يقسمون العربية قسمين:

١- العربية العدنانية أو المضرية، وهي لغة الشمال (الحجاز ونجد وما إليها).

٢- والحميرية أو القحطانية، وهي لغة أهل اليمن.

إن هذا الرأي صحيح فيما يتعلق بلهجات أهل اليمن بعد أن تغلبت العربية الشمالية على ألسنتهم، ولكنه غير صحيح فيما يتعلق باللغات اليمنية القديمة، والتي بيّنا مدى الفرق والخلاف الواضح بينها وبين العربية الشمالية ولقد فطن بعض باحثي العرب إلى ذلك كأبي عمرو بن العلاء وابن جني كما ذكرنا.

٢- العربية الشمالية:

تنقسم العربية الشمالية إلى قسمين:

أ- عربية بائدة أو ما يسمى بعربية النقوش. ب- عربية باقية.

واليك بيان كل:

أ- العربية البائدة:

تسمى العربية البائدة أحياناً بعربية النقوش نسبة إلى النقوش التي اكتشفت في شمال الجزيرة العربية، وحاول بعض المستشرقين قراءتها واستخراج بعض المعلومات منها، وسموها العربية القديمة أو العربية البائدة.

وزمن هذه النقوش يتراوح بين القرن الخامس قبل الميلاد والرابع الميلادي. وأقدم

هذه النقوش هو ما عرف بين العلماء باسم النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية.

فالثمودية نسبة إلى قبائل ثمود التي ورد ذكرها في القرآن الكريم كما ذكرت

أماكنها أكثر من مرة، وقد عثر على بعض هذه النقوش في المراتن نفسها التي كان العرب يعتقدون أنها أماكن الثموديين. واللحيانية نسبة إلى قبائل لحيان، والقبائل الثمودية واللحيانية قبائل عربية قديمة استوطنت شمال الجزيرة العربية.

وعثر على النقوش الثمودية واللحيانية في شمال الحجاز وتيماء ومدائن صالح (الحجر) والعلا وشبه جزيرة سيناء، وأماكن أخرى في تلك المنطقة.

كما عثر على النقوش الصفوية في المنطقة الواقعة بين جبل الدرور، وتلال أرض الصفا، وقد اعتاد المستشرقون نسبة هذه النقوش للصفاء مع أنها اكتشفت في المنطقة القريبة منها، وذلك اختصاراً في التعبير.

وقد ظلت هذه النقوش غامضة إلى أن ذهب إلى ذهب إلى منطقة الصفاة المستشرق الألماني - "أنو ليمان" وجمع من منطقة الصفاة أكثر من ١٤٠٠ (ألف وأربعمائة نقش) ورجع إلى بلاده وحاول درسها وحل رموزها، ومعرفة أبجديتها، وألف في ذلك كتاباً سنة ١٩٠١م، ولقد لاحظ "ليمان" أن الخطوط الصفوية مركبة من ثمانية وعشرين حرفاً، كما هي في العربية.

وخلص من ذلك إلى أن كاتبها من العرب ليس بينهم وبين القبائل العربية في الجزيرة العربية فرق كبير، وقد وجد في كتاباتهم ألفاظاً تدل على حياتهم الصحراوية ففيها ذكر للغنائم والغزو.

ومما تجدر الإشارة إليه أن النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية ضحلة المادة، لا تشمل إلا على بعض أسماء الأعلام، وبعض عبارات قصيرة، ولغتها متأثرة بالآرامية تأثراً شديداً.

وبإليك بعض هذه النقوش:

١- ذ ن ل ق ض ب ن ت ع ب د م ن ت.

وإذا ألحقنا بهذه الأصوات الساكنة أصوات المد التي تتبع بعضها، والتي لا

يرمز إليها هذا النقش تصير كلماته كالآتي:

ذین لقیض بنت عبد مناة.

وترجمته إلى العربية " هذا القبر لقیض بنت عبد مناة".

٢- ل ت م ي غ ث ب ن ج ش م ع ل.

وإذا وضعنا أصوات المد التي أغفلها هذا النقش يصير كالآتي:

ليتم يغوث بن جشم هو عل.

وترجمته إلى العربية: "الوعل ليتم يغوث بن جشم".

٣- ل ب ر د ب ن أ ص ل ح ب ن أ ب ج ر و ش ت ي ه د و ذ

ب ح ف ه ل ت س ل م.

وترجمته إلى العربية "البرد بن أصلح بن أبجروشي (أى: أقام في الشتاء) في

هذا المكان أو في هذه الدار، والهاء في هدر هي عبارة عن هاء التعريف، ودر

معناها دار؛ لأن لغة هذه النقوش تحمل أصوات اللين قصيرها وطويلها، ومن هذه

النقوش الثلاثة نستنتج أن لغتها:

١- لا تستعمل أداة التعريف الموجودة في العربية، وهي: "ال"، وإنما تستعمل

الهاء، وهي: أداة التعريف في اللغة العبرية.

٢- كما أنها لا تستعمل أصوات اللين القصيرة والطويلة فهمل الفتحة والكسرة

والضمة والألف وياء المد وواو المد.

نقوش العربية المبكرة:

النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية السالف ذكرها تمثل العربية البائدة،

أما هذه النقوش فيصير بعض المستشرقين على تسميتها بالنقوش العربية المبكرة،

ولغتها قريبة الشبه بالعربية الباقية من حيث المادة اللغوية والأسلوب. وهذه

النقوش أقرب إلى العربية الباقية من النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية.

ومن الغريب أنها كشفت في منطقة غير بعيدة من منطقة الصفاة، ومع ذلك فالتأثير الآرامي فيها أقل من التأثير في سابقتها.

وهذه النقوش عبارة عن ثلاثة نقوش، وهي نقش النمارة، ونقش حوران، ونقش أم الجمال، والخط الذي كتبت به هذه النقوش الأربعة خط نبطي متأخر يشبه الخط الكوفي، والحروف فيها مرتبطة ببعضها عكس الخط النبطي القديم، والذي فيه الحروف غير متصلة ببعضها.

ومن أجل هذا يرى بعض الباحثين في هذه النقوش من الناحية الشكلية أنها تعد حلقة اتصال بالخط النبطي القديم، والذي فيه الحروف غير متصلة ببعضها. ومن أجل هذا يرى بعض الباحثين في هذه النقوش من الناحية الشكلية أنها تعد حلقة اتصال بالخط النبطي القديم، والخط العربي في صدر الإسلام.

وإليك هذه النقوش:

#### ١- نقش النمارة:

دون في عام ٣٢٨م، والنمارة عبارة عن قصر صغير لروم في الجهة الشرقية من جبل الدروز وبه سميت البلدة الموجودة بها، وقد اكتشف هذا النقش في مدفن امرئ القيس بن عمرو ملك العرب الذي كان يملك الحيرة، وامتد نفوذه حتى بادية الشام، وإليك نصه:

١- تى نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج.

٢- وملك الأسدين ونررا وملكهوم وهرب مزحجوا عكدى وجا.

٣- بزجي في جيج بخزن مدينة شمر وملك ومعدو ونزل بنيه.

٤- الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغة.

٥- عكدى هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسول يا سعد ذو ولده.

وترجمته كما يلي:

١- هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي حاز التاج.

- ٢- وملك الأسدين ونزارا وملوكهم وهزم مذحجا اليوم وجاء.
- ٣- بغنائم في مجتمع نجران مدينة شمر، وملك معدا و أنزل بنيه.
- ٤- الشعوب ووكله الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه.
- ٥- اليوم هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ من كسول فليسعد الذين ولدتهم.

٢- نقش زيد:

وأما نقش زيد فيشتمل على سطرين، وهو مكتوب بثلاث لغات، وهي: اليونانية، والعربية والآرامية، ويرجع تاريخ كتابته إلى عام ٥١٢ بعد الميلاد، وزيد مكان حرب في المنطقة الواقعة بين قنسرين ونهر الفرات. وقراءة هذا النقش غير مؤكدة بسبب وجود كسر في أوله، وإليك هذا النقش بالحروف العربية.

١- (بنص) م الإله سرجو برأمت منفو وهنيء برمر القبس.

٢- وسرجو بر سعد وستر وشر بحر بتميمي.

٣- نقش حوران: ونقش حوران هذا مكتوب بلغتين: العربية واليونانية، ويقع في أربعة أسطر.

ونصه بالحروف العربية كما يلي:

١- أنا شرحبيل بن ظلموا بنيت ذا المرطول.

٢- سنت ٤٦٣ بعد مفسد. ٣- خير. ٤- بعم.

وترجمته إلى العربية:

أنا شرحبيل بن ظالم بنيت هذه الكنيسة سنة ٤٦٣ بعد مفسد (الخيبر) خير بعام "ومفسد خير" المؤرخ به هذا النقش يشير إلى ما حدث لهذا البلد على إثر غارة شنّها عليه أحد أمراء بني غسان وانتهت بأخيابه، وسبي كثير من أهله. وقد اكتشف هذا النقش في المنطقة التي تقع شمالي جبل الدروز، وهو

منقوش على حجر فوق باب إحدى الكنائس هناك، وقد وصل إلينا قسمه العربي كاملاً، ولا تختلف لهجته التي كتب بها عن العربية إلا في أمور يسيرة، فلهجته أقرب من النقشيين السابقين إلى العربية الباقية.

#### ٤- نقش أم الجمال:

اكتشف هذا النقش في قرية "أم الجمال" وهي قرية كبيرة في الجنوب من بصرى بالقرب من عمان، ولقد اكتشفه "ليتمان" في عام ١٩٠٥م ومكث يدرسه مع غيره من العلماء ثم نشر نتيجة دراسته في مجلة الساميات في عام ١٩٢٩م. ويرى "ليتمان" أن هذا النقش يرجع إلى أوائل القرن السادس الميلادي. ويلاحظ أن السطر الأخير منه مكسور.

وفيما يلي نص القراءة التي قرأها "ليتمان" لهذا النقش:

١- الله غفر لأليه. ٢- بنى عبيدة كاتب. ٣- الخبير أعلى بني.

٤- عمري صلوا عليه مني. ٥- يقرأه.

ويذهب "ليتمان" أن معناه: "يا رب اغفر لأليه بن عبيدة الكاتب الخبير

أشرف بني عمر، وادع له أيها القارئ". هذه هي النقوش العربية المبكرة.

وليس يخاف عليك بعد هذا العرض الموجز أن النقوش السبئية تختلف عن

نقوش العربية البائدة، والتي عرفتُ باسم النقوش الثمودية والصفوية واللحيانية،

وكلا النوعين يختلف عن نقوش العربية المبكرة سالفة الذكر.

#### ب- العربية الباقية:

وهي التي تنصرف إليها كلمة العربية عند إطلاقها، والتي لا تزال تستخدم

عند الأمة العربية لغة أدب وكتابة، وانتشرت هذه اللغة ببلاد نجد والحجاز ثم

انتشرت في كثير من المناطق التي كانت تشغلها من قبل أخواتها السامية والحامية.

طفولتها:

لا يعلم شيء عن طفولة هذه اللغة إذ لم يعثر للآن على آثار منقوشة أو

مكتوبة في مواطنها الأولى بنجد والحجاز لتفصح لنا عن حالتها الأولى، وما كانت عليه من سعة أو ضيق، بل حين نفكر في حال هذه اللغة قبل ظهور المسيحية مثلاً نجد أنفسنا في ظلام دامس، وذلك راجع إلى أنه ليس بين أيدينا كما قلت نصوص عربية ترجع إلى تلك الحقبة من الزمن.

إذ أقدم ما عثر عليه من نصوصها لا يكاد يتعدى القرن الثالث الميلادي. وليس معنى هذا أن اللغة العربية أحدثت من أخواتها السامية أو أنها لم توجد قبل المسيحية بل يؤكد لنا المستشرقون أن اللغة العربية المألوفة لنا، والمعروفة لدينا، والمثلة أصدق تمثيل في الأدب الجاهلي والقرآن الكريم احتفظت بعناصر قديمة ترجع إلى السامية الأولى أو السامية الأصلية أكثر من أخواتها السامية الأخرى، إذ فيها ظاهرة الإعراب ونظامه الكامل وصيغ كثيرة لجموع التكسير، وغير ذلك من الظواهر اللغوية الكثيرة، والتي احتفظت بها العربية دون ما عداها من أخواتها السامية، والتي يؤكد لنا الباحثون اللغويون أنها منحدرة من اللغة السامية الأم، مما يؤكد لنا أنه ليس لغة قد مرت بمراحل التطور والتغيير أكثر من المراحل التي مرت بها لغتنا العربية.

وأما ندرة النصوص العربية التي يمكن أن ترجع إلى ما قبل ظهور المسيحية فهي لشيوع الأمية في شبه الجزيرة العربية ومع ذلك يصر المستشرقون أن كثيراً من النقوش التي عثر عليها في شمال الجزيرة العربية يمثل اللغة العربية قبل المرحلة التي تشملها نصوص الأدب الجاهلي.

ونرى أنه لا مانع من أن نُفتدي بهذه النقوش ولغتها حتى يمكن إلقاء الضوء على تلك المرحلة المظلمة في هذا العصر مع الاحتراس وعدم الانسياق وراء المستشرقين إلا إذا كشف لنا ما يرجح كفتهم في هذا الموضوع الدقيق.

ومن هنا يتضح لنا أن الأدب الجاهلي لا يعتبر الامتداد الطبيعي لهذه

النقوش بل هناك مرحلة لم تصل إليها بعد.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال أن الوحدة اللغوية التي صادفها الإسلام حين ظهوره وقوامها القرآن الكريم بعد نزوله لا تنفي ظاهرة تعدد اللهجات عملياً قبل الإسلام وبقائها بعده، بل من المؤكد أن عامة العرب لم يكونوا يعبرون بلهجاتهم الخاصة، وتظهر على تعابيرهم صنعات لهجاتهم وخصائص ألحانهم. صراع لهجات العربية الباقية وسيادة لهجة قريش:

لم يكن المتكلمون بالعربية الباقية طائفة واحدة رغم انساجم إلى العرب، ولكنهم كانوا قبائل كثيرة متفرقة في أنحاء الجزيرة العربية، تختلف كل منها عما عداها في البيئة الجغرافية، وما يكتنفها من ظروف طبيعية واجتماعية، وما تمتاز به في نواحي التفكير والوجدان وما أتيح لكل منها من سبل الثقافة والمعرفة.

ومن المعلوم أن اللغات إذا انتشرت في مساحة كبيرة من الأرض واستعملتها طوائف من الناس ذات أنماط مختلفة استحال عليها حينئذ الاحتفاظ بوحدها الأولى أمداً طويلاً حتى تصبح لهجات عدة تختلف كل منها عن الأخرى في كثير من مظاهر الأصوات والدلالة والقواعد والمفردات.

والعربية الباقية والتي نحن بصدد الحديث عنها ينطبق عليها هذا القانون العام كما ينطبق على غيرها، فقد تشعبت منذ أقدم عصور التاريخ إلى لهجات متنوعة يختلف كل منها عن الأخرى في المظاهر الصوتية والقواعد والمفردات، والدلالة وما إلى ذلك.

وأصبحت كل قبيلة متحدة في الظروف الاجتماعية ولطبيعية تختص بلهجة من هذه اللهجات وأصبحت تعرف بما، وتنسب إليها مميزات وصفاتها.

وقد أتيح لهذه اللهجات المختلفة فرص كبيرة للاحتكاك لتبادل المنافع من تجارة وغيرها فاجتمعت في الأسواق واتصلت عند شن الغارات والحروب، فهذه

أوجدتُ سبيلاً لتصارع اللهجات فباد الضعيف وانتشر القوي وما زالت اللهجات تتصارع على مر الأيام، وتوالي السنين حتى كتب للقرشية التغلب آخر الأمر فطغتُ على جميع اللهجات الأخرى في المحادثة واستأثرتُ بميادين الأدب شعراً ونثراً وخطابة في مختلف القبائل العربية فأصبح العربي أياً كانت قبيلته يؤلف ثره وخطابته، وينظم شعره بلهجة قريش، ومن أهم الأسباب التي هيأتُ لها سبل النصر:

### ١- السلطان الديني:

فقد كان لقريش مكانة دينية ممتازة؛ لقيامهم بسدانة البيت الحرام، والذي تفد إليه معظم القبائل لتقديم قربانها وتقديس آلتها، وشهود منافع لهم، فكان لقريش بذلك السلطان الديني على بقية القبائل العربية.

### ٢- السلطان الاقتصادي:

فقد كان لقريش بجانب السلطان الديني سلطان اقتصادي كبير إذ كان زمام التجارة بأيديهم فكانوا يجلبون البضائع من الشام صيفاً، واليمن شتاءً، ويوزعوها على القبائل العربية الأخرى، فأصبحوا بذلك قبلة أنظار العرب جميعاً، وبفضل هذا النشاط التجاري أصبح زمام الثروة في أيديهم، ومصداق هذا كله قوله سبحانه وتعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١-٣].

### ٣- السلطان السياسي:

وهذا النفوذ نتيجته طبيعية للعاملين السابقين: الديني، والاقتصادي، وأيضاً لموقع بلادهم وما كانتُ تمتاز به من حضارة وعلم فأصبح لهم نفوذ عند العرب جميعاً، ويرشدنا إلى ذلك ما قاله أبو بكر رضي الله عنه في ردّه على الأنصار الذين طمعوا في الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تدين العرب إلا لهذا الحمي من قريش فلا تنفسوا على إخوانكم ما حباهم الله به من فضله".

#### ٤ - السلطان اللغوي:

إن القرشيين لم يقفوا حجر عثرة في سبيل تقدم لغتهم بل عملوا على نموها، فأضافوا إليها ما هي في ميسس الحاجة إليه، وما رأوه أخف على أسماعهم وأيسر على ألسنتهم، لهذا كله كانت لهجة قريش أوسع اللهجات العربية ثروة، وأغزرها مادة، وأرقها أسلوباً، وأدناها إلى الكمال، وأقدرها على التعبير في فنون القول المختلفة.

وقد تم لها ذلك بفضل ما أتيح لأهلها من وسائل الثقافة والنهوض وما أتيح لها من فرص كبيرة للاحتكاك بمختلف اللهجات العربية، وما انتقل إليها من هذه اللهجات من عناصر زادت ثروة وكملت النقص الذي كان موجوداً بها.

فهذه العوامل مجتمعة هيأت للقرشية سبل الفوز والغلبة، ومكنتها من أن تصبح لغة العرب جميعاً بفضل ما كان لها من تفوق عسى أخواتها؛ إذ كانت أكثرها ثروة، وأغزرها مادة، وأوسعها ثقافة، وأقدرها على التعبير عن فنون القول المختلفة، وليس في تغلب اللغة القرشية أو اللهجة القرشية إذن ظاهرة فذة في تاريخ اللغات أو يرجع ذلك إلى إرهاص أو إعجاز، بل إن هذه ظاهرة عامة في كل لغات بني الإنسان.

الأمر التي استفادتها القرشية من هذا الصراع:

لقد استفادت القرشية من صراعها مع اللهجات الأخرى أموراً كثيرة أهمها:

١- استفادات كثيرة من المفردات والأساليب، ولاسيما النواحي التي كانت تنقصها، فتنوعت فنون القول، وتمكنت من التعبير عن جميع الأغراض المختلفة، وقد عنيت بالترادف والمشارك والتضاد وغير ذلك من الظواهر التي كانت سبباً في نمو اللغة وسعتها.

٢- أصبحت اللغة القومية للعرب جميعاً بلا استثناء، وهذا راجع إلى أن

اللغات إذا تصارعت نتيجة احتكاكها ببعضها، وكتب لإحداها الفوز والغلبة اتجه الجميع إلى التكلم بها، ولذلك أصبحت القرشية لغة الشعراء في أشعارهم، والخطباء في خطبهم؛ لأنه لكي يؤدي الخطيب رسالته كاملة واضحة ويترك سامعيه مشدوهين معجبين بقوله ولباقتة كان عليه أن يتحاشى تلك الصفات المحلية التي تتصل بلهجة من اللهجات، وأن يتحدث إلى القوم بلغة تواضعوا عليها وألفوها جميعاً وهي اللغة الأدبية النموذجية، والمتمثلة في لغة قريش ولهجتها.

كذلك كان لابد لأولئك الشعراء الذين جاءوا من بيئات متباينة أن ينظموا شعرهم بلغة خالية من عنعنة أو عجججة أو كشكشة لينالوا إعجاب سامعيهم، ولا يكونوا في موضع سخريتهم وهزئهم، وإلا فكيف كان من الممكن تفضيل شاعر على شاعر آخر في المناظرات التي كانت تعقد بين الشعراء إذا كانت اللغة وأداة القول متفاوتة؛ ولذلك كانت اللغة موحدة إلا في القليل النادر وهو الذي كان عليه الاعتماد في التعرف على اللهجات المختلفة.

٣- نزول القرآن الكريم: فقد بعث النبي ﷺ للعرب خاصة وللأمم عامة؛ فلذلك أنزل الله كتابه الكريم باللغة القويمة السائدة عند العرب، وهي لغة قريش، وقد أكسبها كثيراً من الألفاظ الإسلامية كالصلاة والزكاة والصوم والحج بمعانيها الشرعية.

٤- تقوية سلطاتها: فقد كان لنزول القرآن الكريم -وهو مصدر عبادتهم ومنهل شريعتهم- أثر كبير في تقوية سلطاتها؛ لأن العرب وقد دخلوا هذا الدين الحنيف لابد أن ينظروا إلى هذه اللغة التي نزل بها كتاب الله نظرة رعاية واهتمام فتوحدت أركانها، وثبتت دعائمها.  
مميزات اللغة العربية وخصائصها:

اللغة العربية أرقى اللغات السامية كما يقرر ذلك دارسو تلك اللغات فلا

تعاد لها اللغة الآرامية والعبرية، ولا غيرها من هذا الفرع السامي.

وهي كذلك من أرقى لغات العالم فهي تمتاز حتى عن اللغات الأوربية بكثرة مرونتها، وسعة اشتقاقها فإذا قيس ما يشتق من كلمة عربية من صيغ متعددة لكل صيغة دلالة على معنى خاص بما يقابلها من كلمة أجنبية وما يشتق منها كانت اللغة العربية في ذلك أوفر وأغنى.

وذلك يرجع إلى أن اللغة العربية توافر لها عاملان لم يتوافرا لغيرها من اللغات السامية هما:

١- أنها نشأت في أقدم موطن للسامية، وهو شبه الجزيرة العربية.

٢- تهيأ لها الموقع الجغرافي الذي ساعدها على البقاء فترة طويلة من الزمن متمتعة بالاستقلال والعزلة، مما كان له أكبر الأثر في احتفاظها بأكثر قدر من مقومات اللسان السامي الأول، مما جعلها تمتاز عن غيرها بمميزات صوتية ومعجمية وصرفية ونحوية.

أولاً: المميزات الصوتية والمعجمية:

فاللغة العربية أكثر اللغات السامية احتفاظاً بالأصوات السامية فهي تشمل جميع الأصوات التي اشتملت عليها اللغات السامية لأخرى، وزادت عليها أصواتاً لم توجد في غيرها مثل الناء والذال والطاء والغين والضاد.

واحتصت اللغة العربية بأنها أوسع من غيرها في أصول المفردات، فهي تشمل جميع الأصول الموجودة في اللغات السامية الأخرى، وتزيد عليها بأصول كثيرة احتفظت بها من اللسان السامي الأول.

هذا إلى جانب أنه قد تجمع لها من المفردات في مختلف أنواع الكلم الاسم والفعل والحرف ما لم يتجمع مثله للغة سامية أخرى بل يندر وجوده في لغة من لغات العالم أجمع، فقد يتجمع فيها للاسم خمسمائة اسم وقد جمع الأستاذ

دوهامر المفردات العربية المتصلة بالجملة، وما يتعلق به فبلغت خمسة آلاف وستمائة وأربعاً و أربعين كلمة، وبها أربعمائة اسم للداهية.

وألف الفيروزآبادي، صاحب القاموس المحيط كتيباً في أسماء العسل جمع فيه ثمانين اسماً للعسل وذكر أنه مع ذلك لم يستوعب جميع أسمائه، وألف كتاباً آخر اسمه "الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف".

ثانياً: المميزات الصرفية:

اختصت اللغة العربية بخصائص صرفية منها:

أن الأصل الواحد قد يتوارد عليه عدة معان بواسطة التغيير في بعض الحركات أو زيادة بعض الحروف أو نقصها، وأن ذلك يجري وفق قواعد مضبوطة.

فمثلاً أخذوا من الضرب ضرب ويضرب وأضرب وضارب ومضروب، وسما آلة الضرب مضرباً ومضرباً، وقالوا ضاربه أي: جالده، واضطرب الشيء تحرك وماج، وحديث مضطرب والضرية ما ضربته بالسيف، وضاربه في المال من المضاربة، وهي معروفة.

هذا كله إلى جانب المعاني المجازية التي يستعملون فيها الكلمة، فيقولون ضرب الدراهم والدنانير أي صكها واضطرب خاتماً من ذهب أي أمر أن يصاغ له، وضرب في الأرض إذا سار فيها مسافراً، وضرب في سبيل الله نهض، وضرب على يده كفّه عن الشيء ومنعه، وأضرب عن العمل كف، وأضرب البرد النبات ضربه إذا اشتد عليه البرد حتى ييس، وضرب المثل ذكره وقاله، وغير ذلك الكثير والكثير مما يدل دلالة واضحة على غنى اللغة العربية في الاشتقاق وفي المجاز بشكل قل أن تجاريها فيه لغة أخرى.

وكذلك تمتاز اللغة العربية بنظام جمع التكسير الذي لا تشاركها فيه إلا أختها اليمينية القديمة والحبشية، ومع مشاركتها فقد توسعت اللغة العربية في

استخدامه توسعاً كبيراً حتى أصبح لمفرد الواحد عدة جموع.

ثالثاً: المميزات النحوية:

اختصت اللغة العربية بأكثر أوسع اللغات السامية، وأدقها في القواعد النحوية، واختصت بقوانين الإعراب التي تراعى عند تأليف الحمل وربط بعضها ببعض، واختلاف أواخر كلماتها تبعاً لاختلاف العوامل مما لا يوجد له نظير في دقته وسعته في اللغات السامية الأخرى اللهم إلا بعض الآثار الضئيلة في اللغة العربية والآرامية والحبشية وبخاصة اللغة الحبشية الجعزية والحبشية الأهمرية، ولكنها آثار ضئيلة لا تذكر بجانب قواعد الإعراب الموجودة في اللغة العربية.

وكذلك تمتاز اللغة العربية بما لديها من طرق متعددة في القلب والإبدال والنحت وغير ذلك الكثير والكثير مما كان له أكبر الأثر في مرونتها وسعتها، ودقتها في التعبير في مختلف فنون القول فهذه المرونة التامة، وهذا الاشتقاق والجواز والقلب والإبدال والنحت هو الذي جعل اللغة العربية تستطيع أن تكون لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وما فيهما من معان في منتهى السمو والرفعة والكمال، وما فيهما من تعبيرات دينية واجتماعية وتشريعية لا عهد للعرب بما في جاهليتهم، كما استطاعت -بعد- أن تكون أداة لكل ما نقل من علوم الفرس والهند واليونان وغيرهم.

وفي نحو ثمانين سنة من بدء العهد العباسي كانت خلاصة كل هذه الثقافات مدونة باللغة العربية.

الترجمة وأثرها في العربية:

واجه العرب في العصر العباسي صعوبة شديدة في نقل الذخيرة العلمية من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية؛ بل وفي وضع مصطلحات لعلومها كالنحو والفقه، وأضف إلى ذلك اتساع رقعة الدولة الإسلامية واختلاف أقاليمها، ولكل إقليم حيوانات ونباتات لم تكن تعرفها العرب وعلاوة على ذلك حدثت نظم

اجتماعية تبعاً لذلك، فلقد أنشئت دواوين لم توجد في العصر الأموي، واجه العرب ذلك فماذا يصنعون أمام هذا التيار الجارف أتنتطق العرب هذه الأسماء كما ينطقها أهلها؟ وفي هذا إهدار للشخصية العربية، أو يضعون لها أسماء عربية من عندهم؟ وفي تعميم هذا صعوبة بالغة.

ولكن كما سبق أن بينت في المبحث السابق مرونة اللغة العربية وسعتها وما لديها من طرق للتعبير متعددة جعلها تتغلب على ذلك كله في دقة ومهارة، وبذلك خرجت من هذا الامتحان أكثر مرونة، وأكثر ثروة، وتضخم بذلك معجمها اللغوي من طريقتين:

١- التوسع في مدلول الكلمات العربية وهو الأكثر، فالعربي لم يعرف الفاعل والمفعول بالمعنى الذي يفهمه النحوي، وكذلك لا يعرف القضية ولا الموضوع والمحمول بالمعنى الذي يعرفه المنطقي، ولا يعرف الطويل والخفيف والمديد بالمعنى الذي يفهمه العروضي، وكان علماء اللغة يعملون جهدهم في الأخذ عن الأعراب، ويجتهدون في وضع الصيغة التي يفهمها الأعرابي.

وبهذا كثرت المعاني العربية، وقد سد هذا الباب أكثر الحاجات العلمية، فإننا نقرأ النحو والصرف والفقه فلا نجد فيها لفظاً أجنبياً، بل أكثر من ذلك، نقرأ المنطق كله، وهو يوناني الأصل فلا نكاد نجد فيه كلمة أجنبية إلا كلمات قليلة جداً مثل سفسطة.

٢- الطريق الثاني: نقل الكلمات الأعجمية نفسها إلى العربية.

وأكثر ما كان ذلك في أسماء البلدان والنباتات والحيوانات والآلات والأمراض والمآكل التي لم يكونوا يعرفونها من قبل، ولم يسيروا في ذلك على نهج واحد بل سلكوا مسالك متفاوتة؛ طوعاً للسانهم.

يقول الجواليقي في هذا الصدد: "إن العرب كثيراً ما يجترئون على الأسماء

الأعجمية فيغيرونها بالإبدال قالوا: إسماعيل، وأصله إسمائيل، فأبدلوا لقرب المخرج، وقد يبدلون مع البعد في المخرج وقد ينقلونها إلى أبنيتهم ويزيدون وينقصون. على أية حال فإننا لو قارنا بين أصل الكلمات الأعجمية وما عربت به لوجدنا أن العرب لم يسيروا وفق قواعد ثابتة في ذلك؛ فكانوا طوراً يبدلون الثاء تاءً وطوراً يقونها وطوراً يبدلون الشين سيناً وطوراً يقونها.

خرجت اللغة العربية من هذا المأزق سليمه قوية واسعة، وهي لغة العلم والأدب، واضمحلت بجانبها كل لغات البلاد الأصلية المفتوحة، فالفرس في ذلك العصر أصبحت اللغة العربية عندهم لغة العلم والأدب وألفوا بها، وكتبوا بها، وأصبحت الفارسية عندهم لغة التكلم العادي، وفي الأوساط المحوسية.

واللغة السريانية والتي ترجمت إليها الكتب اليونانية أخذت تتدهور بعد أن نقل ما بها إلى العربية، وكذلك كان الحال للغات الأخرى من رومانية وقبطية في الشام ومصر.

وعلى أية حال فلئن أغنى الأعاجم اللغة العربية، فلقد أفسدوا لغة المحادثة بما أدخلوا من لحن وتحريف، حيث كانت الجزيرة العربية سليمة اللغة قبل الفتوحات الإسلامية، وقبل دخول الأعاجم الإسلام ثم بدأ اللحن يفسو في الألسنة، وأخذ يتسع نطاقه إلى أن أدى إلى تكوين لغتين:

لغة الكتابة والخطابة والأعراب الفصحاء ومن جرى مجراهم، ولغة أخرى يسميها الجاحظ لغة المولدين والبلديين وهي ما تسمى باللغة الدارجة أو العامية، والتي تعددت اليوم وتنوعت بتعدد الشعوب الناطقة باللغة العربية، وهو أمر بالغ الخطورة إذا ترك وشأنه ينمو في الألسنة والأفواه دون تقويم وتصحيح.

لذا يجدر بنا أن نعمل جاهدين على القضاء على الازدواجية في التكلم، وذلك بالقضاء على العاميات في مختلف أقطار العالم الإسلامي، والعمل على نشر العربية الفصحى لغة القرآن الكريم في سائر بلدان العالم الإسلامي. وما يسهّل علينا ذلك؛ أنها لغة الدين، لغة الإسلام، لغة القرآن الكريم، لغة الدعوة لهذا الدين، والتي تمفو إليها كل القلوب المؤمنة المسلمة. كما يجدر بسائر حكومات العالم الإسلامي، وأولي الأمر في هذه البلدان أن يولوا ذلك الأمر من العناية والاهتمام ما يجعله حقيقة واقعة، وأملاً يتحقق؛ حتى نعيد للإسلام ولغته مجدهما وعزهما، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

## الفصل الرابع: الأبجدية العربية

نشأتها وتطورها:

يذكر التاريخ أن المصريين عرفوا الأبجدية، وعهم أخذها الفينيقيون فعدلوها، ثم عن الفينيقين أخذها الآراميون، وعن الآراميين أخذها اليمينيون أصحاب الخط المسند، بوساطة كاتب الوحي لهود عليه السلام، ولكن اليمينيين أضافوا إلى الأبجدية الآرامية الأحرف الستة المعروفة بالروادف، وهي تُخذ ضغط، وعن اليمينيين أخذ الكنديون، والأنباط، وعن هؤلاء تعلم أهل الحيرة، وأهل الأنبار الذين عنهم أخذ الحجازيون.

والخط الكوفي، هو أصلاً الخط المسند بعد أن زحرفه أهل الكوفة، ولكي يستقر هذا لديك عليك أن تعرف أنه في العصور القديمة السابقة للقرن الخامس عشر قبل الميلاد، كان في العالم الشرقي ثلاثة أنظمة أبجدية.

الأول: النظام المصري، وهو نظام يجمع بين الصور والخطوط، المستقيمة أو المنحنية.

الثاني: النظام البابلي الآشوري، وهو نظام الخط المسماري.

الثالث: نظام الحروف التي يتكوّن كل منها من خطوط فقط مستقيمة أو منحنية أو متقطعة، ولم يلبث النظامان: الأول، والثاني أن انقرضا بعد ظهور النظام الثالث، وانتشاره حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

ويرجع الفضل بعد الله سبحانه وتعالى إلى الشعوب السامية في أنهم هجروا النظامين القديمين المعقدين، ووضعوا النظام الأبجدي الذي يقضي بأن يكون لكل صوت حرف واحد، وبذلك توصلوا في وضع الحروف الأبجدية المبسطة إلى أقصى حد، واتخاذها وسيلة لتكوين الأفكار والمعاني.

ومن المرجح أن المبتكر للأبجدية العالمية الأصلية، هو شعب من بين الشعوب السامية التي كانت على اتصال بالمصريين سنّي: ٢٥٠٠: ١٥٠٠ قبل الميلاد، وقد

اقتُبت هذه الأبجدية العالمية من الخط المصري في مرحلته الأخيرة في مصر نفسها، أو في مكان قريب منها يظن أنه شبه جزيرة سيناء، وقد تطور هذا الابتكار، وهذا النظام، ولحقه شيء من التغيير على أيدي الفينيقيين، وبلغ غاية الكمال على سواحل فينيقيا، وهي السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، وهو ما يسمى بالأبجدية الفينيقية، التي تفرعت منها جميع الأبجديات المنتشرة في نصف الكرة الغربي، وتدل أسماء الحروف الأبجدية في معظم اللغات السامية على أنها مستنبطة من الأبجدية الفينيقية، التي كان نظامها "أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت"، وأول ما تولد من هذه الأبجدية الخط الآرامي؛ لأن الآراميين خالطوا الفينيقيين وأخذوا عنهم هذا الخط، ومن الآراميين أخذ النبط خطهم، ولقد خالط النبط اليمينيون وعندهم أخذ اليمينيون هذا الخط، وأدخلوا عليه بعض التعديلات، وأضافوا عليه الأحرف الستة المعروفة بالروادف، وهي التي سبق أن أشرت إليها في بداية حديثي ولقد تولد من الخط الفينيقى بطريقة مباشرة الخط اليوناني القديم، والعبري القديم، وقد سمي الخط السبئي بالخط المسند؛ لأنه يستند إلى أعمدة.

مما سبق يتبين لنا: أن الأبجدية السبئية أحدث الأبجديات وأكملها، وهي المرحلة التي نشأت عن طريقها الأبجدية العربية، وهي أكمل الأبجديات بعد إضافة الحروف الستة المعروفة بالروادف، وتشتمل على ثمانية وعشرين حرفاً، هي حروف "أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت" بالإضافة إلى حروف تُخذ، ضطع، وقد استمر ترتيبها على هذا النحو إلى أن أوعز الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق في عهد عبد الملك بن مروان من ٦٥ : ٨٦هـ إلى نصر بن عاصم الليثي، ويحيى بن يعمر العدواني تلميذ أبي الأسود الدؤلي بوضع نظام الإعجام، أي: تمييز الحروف بعضها من بعض بالنقط، وكان قد نسي ففعلاً ذلك ثم رتبها الحروف بحسب تشابهها في الصورة على النحو المعروف لنا الآن.

وفي عهد الدولة العباسية تم وضع نظام الشكل، أي: ضبط الحروف بالحركات، كما هو معروف الآن على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٠٠: ١٧٥هـ.

الخط العربي الذي بيناه سابقاً، لم يكن مضبوطاً بالحركات، والسكنات، بل كان خالياً تماماً مما يدل على أشكال الحروف المكتوبة، فإذا كتبت مثلاً كلمة حمل، فلا يعرف أمي فعل أم اسم، وإذا كانت فعلاً، فلا يعرف أمبينة للمعلوم أو مبنية للمجهول.

وإذا كانت اسماً فلا تدري، أمعناه الصغير من الضأن أم هي الحمل الذي يحمل على ظهر الدابة؟ ومع هذا، فلقد كان العرب يقرأون كل ما يكتب قراءة صحيحة، معتمدين في ذلك على سياق الكلام، ولا يلحنون في شيء مما يقرأوه لتعودهم على النطق السليم الصحيح، ويرجع ذلك إلى ملكة الإعراب التي كانت سليقة في العرب قبل وضع علم النحو.

وقيل إن أول كتاب بالخط العربي المقتبس من خط مسند في الإسلام هو القرآن الكريم، وكان هو أيضاً غير منقوط، ولا مشكول، وقد كتب على هذا النحو بأمر من سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه في عهد خلافته، ومكث الناس على هذا النحو يقرأون القرآن الكريم نقيّاً وأربعين سنة قراءة صحيحة، لا تصحيف فيها، ولا تحريف، معتمدين على سليقتهم العربية، أو على الرواية، والتلقين، ولكن لما انتشر الإسلام واختلط لعرب بالعجم، ودخل الناس في دين الله أفواجا، فسدت الألسنة، وضاعت ملكة الإعراب؛ نظراً لأن الدين الجديد دخله أناس ليسوا بعرب، وليست لديهم اسليقة العربية السليمة، حتى قيل: إن ابنة أبي الأسود الدؤلي نظرت إلى السماء في ليلة شديدة الصحو، وقالت: ما أحسن السماء بضم النون، فقال لها أبوها: نجومها، فقالت: أريد التعجب، فقال: كان عليك أن تقولي: ما أحسن السماء بالفتح، وتفتحي فاك.

وذكر أبو الأسود الدؤلي ذلك لعلي - كرم الله وجهه - فعلمه أبواباً من

النحو، منها باب إن، وباب الإضافة، وباب الإمالة. ثم قال: انح هذا النحو يا أبا الأسود.

فاشتغل أبو الأسود بوضع أبواب أخرى في النحو زيادة على ما عرفه من

الإمام علي، منها باب العطف وباب النعت، وباب التعجب، وباب الاستفهام.

وأصبح أبو الأسود بعد ذلك من علماء العربية، وتوافد إليه طلاب هذا

اللون من المعرفة للأخذ عنه، فتتلمذ عليه غنبة القيل، وعبدالرحمن بن هرمز

الأعرج، وميمون الأقرن، ويحيى بن يعمر العدواني، ونصر بن عاصم الليثي،

وعبدالله بن إسحاق الحضرمي، وعطاء بن أبي الأسود، وقد برعوا في علم النحو،

وعلم القراءات، والأدب، حتى صاروا أئمة في علوم العربية.

غير أن هذا العمل لم يمنع فساد الألسنة لاختلاط الناس بالعجم.

وطلب زياد بن سمية، وكان والياً على البصرة من أبي الأسود الدؤلي أن

يضع طريقة لإصلاح الألسنة، وقال له فيما قال: إن هذه الحمراء قد كثرت،

وأفسدت ألسنة العرب، فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم، ويعربون به

كتاب الله، فأبى أبو الأسود في أول الأمر؛ لأنه كان من جهة ضئيلاً بما تلقاه من

علي بن أبي طالب، ومن جهة أخرى كان نشاطه قد ضعف بسبب عزله عن

ولاية البصرة بعد قتل علي، وصارت الخلافة بعد ذلك إلى الأمويين أعدائه

السياسيين، فدبر زياد حيلة، وكان من دهاة العرب، فقال لرجل من أتباعه:

اقعد في طريق أبي الأسود، واقراً شيئاً من القرآن، وتعمد اللحن، فذهب الرجل،

وقعد في طريق أبي الأسود، فلما اقترب منه رفع صوته بالقراءة، وكأنه لا يقصد

إسماع أبي الأسود وقال: "أن الله بريء من المشركين ورسوله" بكسر اللام،

فأعظم ذلك أبو الأسود، فقال: عزَّ وجه الله أن يبرأ من رسوله ثم رجع من فوره

إلى زياد، وقال له: قد أجبتك إلى ما سألت، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن

الكريم، وطلب منه كاتباً، فأرسل إليه زياد ثلاثين كاتباً، فاختر واحداً من عبد

القيس، وقال له: خذ المصحف، وصبغاً يخالف لون المداد (أي مداد الصحف) فإذا رأيتني فتحت شفطي بالحرف فانقطه واحدة من فوقه، وإذا كسرتما فانقطه واحدة من أسفله، وإذا ضممتها فاجعل النقطة بين يديه (أمامه) فإذا أتبعْتُ شيئاً من هذه الحركات غنة أي: تنونياً فانقط نقطتين.

وأخذ أبو الأسود يقرأ القرآن بالتأني، والكاتب يضع النقط، وكلما أتم الكاتب صحيفة أعاد أبو الأسود نظره عليها، واستمر على ذلك حتى أعرب المصحف كله، وكانوا يسمون هذا النقط شكلاً؛ لأنه يدل على شكل الحرف أو صورته.

اتبع الناس في عهد بني أمية هذا الإصلاح، الذي أدخله أبو الأسود الدؤلي فيما يختص بالشكل واتبعوا الإصلاح الثاني الذي أدخله نصر بن عاصم الليثي، ويحيى بن يعمر العدواني تلميذا أبي الأسود فيما يختص بإعجام الحروف، وترتيبها كما سبق بيان ذلك.

وأما في عهد العباسيين فلقد مال الناس إلى أن يجعلوا الشكل بالمداد نفسه، الذي يكتب به تسهياً للأمر حيث لا يتيسر للكاتب في كل وقت، أن يجد لونين من المداد أحدهما للكتابة والآخر للشكل، فوقف في سبيلهم اختلاط الشكل بالإعجام؛ لأن كلاً منهما يتم بالنقط، ورأوا أنه لا بد من إصلاح ثالث، إما بتغيير طريقة الشكل، وإما بتغيير طريقة الإعجام وعني الخليل بن أحمد بهذا الأمر، وكان أوسع الناس علماً بالعربية، فوضع طريقة أخرى للشكل، وهي التي عليها الناس الآن، وذلك بأنه جعل للفتحة ألفاً صغيرة مضطجعة فوق، وللكسرة رأس ياء صغيرة تحته، وللضمة واواً صغيرة فوقه، فإذا كان الحرف المحرك منوناً كرر الحرف الصغير، فكتب مرتين فوق الحرف أو تحته، ووضع للتشديد رأس شين بغير نقط، وللسكون رأس خاء بلا نقط وللهمزة رأس عين، ولألف الوصل رأس صاد توضع فوق ألف الوصل، والمد الواجب ميماً صغيرة مع جزء من الدال

هكذا (مد)، والذي تطور وأصبح له ( ~ ) فتكون جملة العلامات التي وضعها الخليل ثماني علامات، ولقد تطور هذا النظام على يد أتباع الخليل، حيث أدخلوا عليه بعض التعديلات على هذه العلامات، حتى صارت كما هي الآن.

وأجازوا في الضمتين أن تكتبا على الأصل كواوين صغيرين معاً، أو بوضع الثانية على الأولى هكذا ( ُ )، وتوضع كسرة الحرف المشدد تحت الشدة فوق الحرف، أو تبقى تحت الحرف مع وجود الشدة فوق الحرف.

وفي الهمزة المكسورة أجازوا وضع الهمزة مع كسرتها تحت الألف، أو وضع الهمزة فوق الألف، والكسرة تحت.

الأبجدية وعلاقتها بالدراسة الصوتية عند العرب:

مما سبق يتبين لنا أن نظام الكتابة في العربية جاء نظاماً مثالياً من حيث وضع رمز واحد مستقل لكل وحدة صوتية، فللباء رمز، وللتاء رمز، وللحاء رمز، وللجيم رمز... إلخ، وهذا النظام يتمشى مع أحدث منهج في التفكير الصوتي، والذي يرمي إلى وضع نظام للكتابة نحال من الاضطراب، والتعقيد، بحيث يكون لكل صوت رمز واحد. وكما سبق أن بيّنا نظام الأبجدية العربية مكوّن من ثمانية وعشرين صوتاً، خصص لكل صوت رمز معين لا يتعداه.

وكذلك يقال في نظام الشكل أي: الحركات القصيرة، فللفتحة رمز، وللكسرة رمز... إلخ ما سبق بيانه.

فهذا المنهج السليم قد خلص الكتابة العربية من الاضطراب والخلط، الذي يلاحظ في أبجدية بعض اللغات الأخرى.

ونجد أيضاً أن نظام الأبجدية العربية يدلنا على مقدرة فائقة على التمييز بين الحروف المتشابهة كالسين، والصاد، والتاء، والذال، فالفرق بين السين والصاد أن السين مرققة والصاد مفخمة، والفرق بين التاء والذال أن التاء مهموسة والذال مجهورة.

فالأبجدية العربية ميزت بين هذه الأصوات رغم التشابه الكبير بينها، كما بينا. ولا يقال إن الأبجدية العربية هذه أبجدية سامية، ليس للعرب فيها فضل، وعلى فرض التسليم بهذا، فلقد ظهر لنا خلال عرضنا لنشأة هذه الأبجدية وتطورها أن للعرب في هذه الأبجدية جهودًا خاصة تدل على فهم وتذوق للأصوات، وهذه الجهود تمثلت في وضع حروف الروادف التي أشرنا إليها، وهي تخذ، ضطع، وهي رموز احتاجتها اللغة العربية، وكذلك نظام الشكل الذي أدخله علماء العربية وقد سبق بيان ذلك، ورموز الشكل، وعلاماتها هذه ما كانت توضع إلا بناء على تفكير صوتي، وتذوق لقيم الأصوات، وكان هذا الوضع بداية لطريق ممتع في دراسة الأصوات عند هؤلاء القوم، حيث كانت الدراسة الصوتية عند العرب هي أجود العمل اللغوي عندهم، من حيث منهج التفكير، وطرق الدراسة، فلقد كان أسلوبهم في هذا المجال أسلوبًا صحيحًا يتمشى مع طبيعة المادة، فلقد اتبعوا الملاحظة الذاتية وابتعدوا عن التأويلات والافتراضات التي ملأت النحو، والصرف، وغيرهما.

ونعني بالملاحظة الذاتية التي نهمجوها في الدراسة الصوتية استخلاص الحقائق وتصنيفها، ووضع القواعد الخاصة بها عن طريق التجربة الشخصية، أو الانطباع الذهني الناتج عن هذه التجربة ففي هذه الحالة التي معد، وهي حالة الأصوات تكون الملاحظة الذاتية بتذوق الأصوات ومحاولة نطقها فعليًا واقعيًا، وهذا المنهج في دراسة الأصوات منهج سليم، وصحيح، ولم تزل الدراسات الصوتية الحديثة مع ما جدَّ من معامل، وآلات للأصوات تعد الملاحظة الذاتية بطريقة النطق الفعلي، والاستماع إلى هذا النطق الأداة الأساسية في البحث الصوتي، على كل مراحلها وجميع مستوياته.

ولقد كان معظم ما قاموا به من ذلك النوع الذي يدخل في إطار

التكنولوجيا، أو علم وظائف الأصوات، ولقد جاء هذا العمل مركزاً على الوحدات الصوتية من صوامت وحركات، وقليلاً ما عرضوا للأحداث الصوتية المنادية، وليس معنى ما تقدم على كل حال أنهم أهملوا المادة الحقيقية للأصوات؛ إذ من الطبيعي أنه يستحيل الوصول إلى الدرجة الثانية هذه، وهي مرحلة التكنولوجيا دون تلك الخطوة الأولى، وهي النظر في المادة الحقيقية.

وخير دليل على هذا هو نظام الكتابة العربية، وطريقة التشكيل فيها، والذي يبين لنا مقدار ما وصلوا إليه من تفوق في هذا المضمار، وحسبنا شهادة على براعة العرب، وتفوقهم في هذا المجال علماء الغرب، يقول فيرث: "لقد نشأت الدراسات الصوتية ونمت في أحضان لغتين مقدستين: العربية، والسانسكريتية" ويقول برجسترسر: "لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلا قومان: العرب، والهنود".

موقف ابن فارس من هذه القضية:

يجدر بنا أن نعرض لرأي ابن فارس في هذه القضية الشائكة السائقة، حتى نكون على بينة من الأمر.

لقد عقد ابن فارس في كتابه "الصاحبي" باباً بعنوان:

"باب القول على الخط العربي، وأول من كتب به".

يروى أن أول من كتب الكتاب العربي، والسرياني، والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها في طين، وطبخه، فلما أصاب الأرض الغرق، وجد كل قوم كتاباً فكتبوه، وأصاب إسماعيل عليه السلام الكتاب العربي".

ويعلق السيوطي على هذا بقوله: "قلت: هذا الأثر أخرجه ابن أشته في

كتاب المصاحف بسنده عن كعب الأخبار"<sup>(١)</sup>.

(١) المرز لسيوطي (٢/٣٤١) وما بعدها

ثم يقول ابن فارس: "وكان بن عباس يقول: أول من وضع الكتاب العربي إسماعيل عليه السلام وضعه على لفظه، ومنطقة".

ويزيد السيوطي على هذا بقوله:

"قلت: هذا الأثر أخرجه ابن أشته، والحاكم في المستدرک من طريق عكرمة عن ابن عباس وزاد: أنه كان موصولاً حتى فرقه بين ولده: يعني أنه وصل فيه جميع الكلمات ليس بين الحروف فرق هكذا: بسم الله الرحمن الرحيم ثم فرقه بين ابنه: هميع وقيدر، ثم قال ابن فارس: والروايات في هذا البت تكثر، وتختلف".

ويزيد السيوطي على هذا بقوله: "قلت: ذكر العسكري عن الأوائل في ذلك أقوالاً، فقال: أول من وضع الكتاب العربي إسماعيل عليه السلام، وقيل: مرامر بن مرة، وأسلم بن جذرة، وهما من أهل الأنبار، ثم يقول: وأخرج الحافظ أبو طاهر السلفي في الطيوريات بسنده عن الثعلبي، قال: أول العرب الذي كتب بالعربية حرب بن أمية بن عبد شمس، تعلم من أهل الحيرة، وتعلم أهل الحيرة من أهل الأنبار. وقال أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف:

حدثنا عبد الله بن محمد الزهري، حدثنا سفیان عن مجاهد عن الشعبي قال: سألت المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة؟

قالوا: تعلمنا من أهل الحيرة. وسألنا أهل الحيرة:

من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا من أهل الأنبار.

أصل الخط:

يرى ابن فارس أن الخط توقيف من الله تعالى، واستدل على ذلك بأدلة من القرآن الكريم.

فيقول: والذي نقول به: إن الخط توقيف، وذلك ظاهر قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ

وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣-٥] وقوله

تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

وإذا كان كذلك فليس يبعد أن يوقف آدم عليه السلام أو غيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتاب.

فأما أن يكون مخترع اخترعه من تلقاء نفسه فشيء لا يعلم صحته إلا من خبر صحيح. ويؤيد السيوطي ابن فارس في هذا الرأي، ويزيد عليه بقوله: قُلْتُ يُؤَيِّدُ مَا قَالَهُ مِنَ التَّوْقِيفِ مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَشْتَةَ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَوَّلُ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ أَبُو جَادٍ.

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أول من خط بالقلم إدريس عليه السلام".

ونخلص من هذا العرض الموجز لرأي عالين جليلين من علماء الإسلام أن منشأ الكتابة وأصلها في بادئ الأمر توقيف من الله تعالى لبني البشر جميعاً ثم أخذت الأجيال المتعاقبة هذه النعمة المسداة وتوارثتها، وحافظت عليها، وأضافت إليها أشياء بما يتلاءم واختلاف الأزمنة والأمكنة حتى وصلت إلى ما نشاهده الآن عند مختلف الشعوب والأجناس من تعدد الأبجديات، واختلاف نظم الكتابة في العالم، وقد أخصنا في هذا الفصل الموجز لنشأة الأبجدية العربية، وعلاقتها بغيرها من الأبجديات.

## خلاصة الوحدة الثانية

### الفصل الأول: حياة اللغة

تمر أية لغة بشرية بأطوار في حياتها ويطرأ عليها الغنى والفقر والتنوع والتفرع والسعة والضييق، ولكن أهم فرع من هذه الفروع هو:

- تفرع اللغة إلى لهجات: بسبب البيئات الجغرافية المترامية الأطراف تتفرع اللغة إلى لهجات خاصة، وهذا أمر طبيعي وسنة من سنن التطور اللغوي.
- أسباب تفرع اللغة إلى لهجات: ١- اختلاف البيئات الزمانية والمكانية.
- ٢- ضعف الصلات الاجتماعية.

- عوامل تفرع اللغة إلى لهجات: ١- عوامل جغرافية. ٢- عوامل اجتماعية.

٣- اتصال الشعوب لتبادل المنافع أو الهجرة.

٤- عوامل ترجع إلى الأفراد وكيفية نطقهم والخطأ في الأقيسة.

- تحول اللهجة إلى لغة: إذا ما تميأت الأسباب للهجة ما أن تنمو وتكتمل وتفي بحاجات المجتمع الذي تعيش فيه، فإن العوامل اللغوية تحتم على الباحث إطلاق اسم اللغة على تلك اللهجة.

الصراع اللغوي: أسبابه ونتائجه:

الصراع اللغوي هو الاحتكاك بين لغتين أو أكثر في مجتمع ما، ومن هنا يحدث التنافس بين اللغات للهيمنة على هذا المجتمع، وتختلف نتائج الصراع اللغوي وآثاره تبعاً لنوع العامل ومداه، وقد يحدث الصراع نتيجة غزو أو هجرات إلى بيئات معمرة، ولقد تغلبت العربية في صراعتها مع لغات الأقوام التي غزتهم لأسباب منها:

- ١- أنها لغة الدين.
- ٢- غناها بأساليبها.
- ٣- أنها لغة الفاتحين.

## الفصل الثاني: الفصائل اللغوية

حاول كثير من العلماء إرجاع اللغات الإنسانية إلى فصائل عامة، واختلفوا في عدد تلك الفصائل وعلاقة بعضها ببعض ولقد ذهب "شليجل" إلى أن اللغات من حيث الطرق المختلفة التي تسلكها للتعبير عن الأفكار تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي: ١- اللغات المتصرفة أو التحليلية.

٢- اللغات اللصقية أو الوصلية أو التركيبية. ٣- اللغات العازلة.

وذهب "ماكس مولر" إلى تقسيم اللغة إلى فصائل ثلاث، هي:

١- الفصيصة الهندية الأوربية أو الآرية.

٢- الفصيصة الحامية السامية. ٣- الفصيصة الطورانية.

## الفصل الثالث: اللغات السامية

موطن الشعوب السامية: قيل هو أرمينية بالقرب من كردستان الحالية، وقيل إن جنوب العراق كان هو الموطن الأول للسامية، وقيل إنه شمال أفريقيا (مصر وما حولها) وقيل: هي جزيرة العرب من غير تعيين لمكان منها.

- مميزات اللغات السامية: ١- مميزات تتعلق بينية الكلمة.

٢- مميزات تتعلق بالتصريف والاشتقاق والإعراب.

٣- طرق التعبير وتنوع الأساليب.

وأهم اللغات السامية هي:

١- اللغة الأكادية (البابلية والآشورية). ٢- اللغة الفينيقية.

٣- اللغة العبرية بعصورها ومراحلها. ٤- اللغة الآرامية بلهجاتها.

٥- اللغات الحبشية السامية. ٦- اللغة الأمهرية بلهجاتها.

٧- اللغة العربية (الجنوبية- القحطانية)، (الشمالية العدنانية).

والشمالية العدنانية، تنقسم إلى قسمين: ١- عربية بائدة، وهي عربية

النقوش، وعربية باقية، وهي التي تنصرف إليها العربية عند إطلاقها، والتي لا تزال تستخدم حتى اليوم.

صراع اللهجات العربية الباقية وسيادة لهجة قريش لأسباب منها:

١- السلطان الديني. ٢- السلطان الاقتصادي. ٣- السلطان السياسي.

٤- السلطان اللغوي بعمل القرشيين على نمو لغتهم وتطويرها.

الأمر التي استفادتها القرشية من هذا الصراع:

١- الكثير من المفردات والأساليب. ٢- أصبحت اللغة القومية للعرب جميعاً.

٣- نزول القرآن الكريم بها. ٤- تقوية سلطاتها.

مميزات اللغة العربية وخصائصها: ١- المميزات الصوتية والمعجمية.

٢- المميزات الصرفية. ٣- المميزات النحوية.

الترجمة وأثرها في العربية:

خرجت اللغة العربية من مأزق الترجمة في العصر العباسي وهي أكثر

مرونة، وتضخم بذلك معجمها اللغوي من طريقين هما:

١- التوسع في مدلول الكلمات العربية. ٢- نقل الكلمات الأعجمية نفسها إلى العربية.

ولكن على الرغم من أن لأعاجم قد أغنوا العربية بمفردات جديدة إلا أنهم قد

أفسدوا لغة المحادثة بما أدخلوه من لحن وتحريف، ولقد أدى ذلك إلى وجود لغتين، هما:

١- لغة الكتابة والخطابة. ٢- لغة المولدين، أو ما يسمى باللغة العامية الدارجة.

الفصل الرابع: الأجدية العربية

نشأتها وتطورها: يذكر التاريخ لنا معرفة المصيرين القدماء للأجدية وعنهم

أخذها الفينيقيون وعن الفينيقيين أخذ الآراميون ثم عنهم أخذ اليمينيون أصحاب الخط

المسند، وعن اليمينيين أخذ الكنديون والأقباط وعن هؤلاء أخذ أهل الحيرة وأهل

الأبواب الذين عنهم أخذ الحجازيون، وكان في العالم الشرقي ثلاثة أنظمة أجدية، هي

- ١- النظام المصري وهو يجمع بين الصور والخطوط المنحنية.
  - ٢- النظام البابلي الآشوري وهو نظام الخط المسماري.
  - ٣- نظام الحروف التي يتكون كل منها من خطوط مستقيمة أو منحنية أو متقطعة. ومن المرجح أن المبتكر للأبجدية العالمية الأصلية هو شعب من بين الشعوب السامية التي كانت على اتصال بالمصريين.
- والأبجدية السبئية كانت أحدث الأبجديات وأكملها وهي المرحلة التي نشأت عن طريقها الأبجدية العربية وهي أكمل الأبجديات بعد إضافة الحروف الستة المعروفة بالروادف وتشتمل على ثمانية وعشرين حرفاً هي حروف: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سغفص، قرشت.
- وفي عهد الدولة العباسية وضع نظام الشكل وهو ضبط الحروف بالحركات كما هو معروف الآن وذلك على يد الخليل بن أحمد.
- ثم وضع أبو الأسود الدؤلي أبواباً كثيرة في النحو العربي زيادة على ما عرفه من الإمام علي، غير أن هذا العمل لم يمنع فساد الألسنة لاختلاط الناس بالعجم.
- الأبجدية العربية وعلاقتها بالدراسة الصوتية عند العرب:
- كان للأبجدية العربية ثمانية وعشرون صوتاً خصص لكل صوت رمز معين لا يتعداه، فالأبجدية العربية ميزت بين هذه الأصوات، وخير دليل نقدمه على هذا هو نظام الكتابة العربية وطريقة التشكيل فيها والذي يبين لنا مقدار ما وصلوا إليه من تفوق في هذا المضمار.

## اختبار الوحدة الثانية

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (x) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- ليست حياة اللغة مبحثاً من مباحث "فقه اللغة".
- ٢- تفرع اللغة إلى لهجات أهم فرع في هذا المبحث (حياة اللغة).
- ٣- انتشار لغة من اللغات في مناطق شاسعة من الأرض لا يهدد وحدتها اللغوية.
- ٤- الصلات القائمة بين الأصل اللغوي وما تفرع منه، وبعض الفروع وبعض صلات ثابتة منطقية لا يعتربها تغيير ولا تعديل.
- ٥- يرى الباحثون والدارسون في اللغات أن الحديث فيها قد نشأ عن القديم على سبيل التطور، وأن هذا التطور قد عمل عمله في الظواهر اللغوية المشتركة فاعتراها شيء من المسخ أو التعديل.
- ٦- بعض الظواهر اللغوية المشتركة بين اللهجات المنحدرة من أصل واحد تظل ماثلة لا يلحقها فناء، وإن اعتراها شيء من التعديل أو التغيير.
- ٧- لاشك في أن اختلاف البيئة الطبيعية له أثر بين في أحسام السكان وأشكالهم واختلاف أدوات الكلام عندهم، وهذا يؤدي بدوره إلى اختلاف اللهجات وتعددتها.
- ٨- الطبقات الحرفية والمهنية لهجتها واحدة.
- ٩- لتفرع اللغة الواحدة إلى لهجات مختلفة أسباب أخرى لم تذكر في مؤلفنا هذا.
- ١٠- يمكن القضاء على بعض اللهجات والتقليل من خطرهما على وحدتنا اللغوية.
- ١١- الصراع اللغوي، مفهومه وأسبابه ونتائجه من مباحث "فقه اللغة".
- ١٢- تختلف نتائج الصراع اللغوي من حيث قوتها وضعفها باختلاف عامله قوة وضعفاً.
- ١٣- قهرت العربية اللغات المغزوة لأسباب توافرت لها.

- ١٤- يرى الباحثون في فقه اللغة أن رأي "ماكس مولر" أوّلى بالأخذ والقبول.
- ١٥- تتميز اللغات المتصرفة من غيرها بتصرف كلماتها، وأدوات الربط التي تربط بين أجزاء جملها، وتحديد وظيفة كل كلمة بداخلها.
- ١٦- لا تعرف العربية اللصق والعزل.
- ١٧- الفصيحة الهندية الأوربية يتكون بناؤها من عشر فصائل لغوية.
- ١٨- اللغات الهندية القديمة، اللغة الكردية، اللغة الأفغانية، اللغة الفارسية القديمة لغات تنسب لطائفة اللغات الأرمينية.
- ١٩- الطائفة الكلتيّة إحدى طوائف الفصيحة الهندية الأوربية تشمل:
- أ- اللغات الأيرلندية. ب- لغة الغالين. ج- لغة البريتون.
- ٢٠- تمثل لغات الصين، ولغات الهنود القاطنين الهند الصينية مجموعة اللغات الهندية الصينية.
- ٢١- تأكد لفقهاء اللغة أن في اللغات الإنسانية لغات مستقلة لا يمكن إدخالها في أية فصيلة من الفصائل اللغوية المعلومة لدى الباحثين والدارسين، ومما يمثل هذه اللغات اللغة اليابانية، وبعض لهجات جزر الهند الشرقية وبعض لهجات القوقاز، وكثير من لهجات النيجر، والهونتوت، والبوشمان واللغة الباسكية.
- ٢٢- تسمية السّاميين بالساميين لا تستند إلى أصل تاريخي.
- ٢٣- أطلقت هذه التسمية (السامية) على بضع لغات لوجودها متشابهة كل التشابه.
- ٢٤- إطلاق لفظ "السامية" على مجموعة اللغات التي يتكلم بها السّاميون إطلاق أخذ عليه بعض المآخذ.
- ٢٥- القائلون بأن "أرمينية" هي الموطن الأصلي الأول للسّاميين لا سند لهم من التاريخ.
- ٢٦- القائلون بأن شمال إفريقيا (مصر وما حولها) الموطن الأول للسّاميين قولهم قوي.
- ٢٧- لا تعرف اللغات السامية الحروف الحلقية.

- ٢٨- تغيير الحركات في أول الكلمة أو في وسطها يؤدي إلى تغيير المعنى.
- ٢٩- ليس للمؤنث في اللغات السامية علامات تدل عليه.
- ٣٠- ضاق الخط المسماري عن تمثيل بعض الأصوات.
- ٣١- الفينيقيون ليسوا ساميين.
- ٣٢- الكنعانيون قبائل سامية.
- ٣٣- يميلُ بعض المؤرخين المحدثين إلى القول بأن الفينيقيين كانوا من الساميين الذين سكنوا جزيرة العرب، على سواحل المحيط الهندي والخليج العربي.
- ٣٤- معلومات للغويين عن اللغة الفينيقية قليلة إذا ما قيسَتْ بأخواتها الساميات.
- ٣٥- كان الفينيقيون يتكلمون بلهجة سامية لم تمكث طويلاً حتى استقلت، وأصبحت ذات طابع خاص سميت باللغة الكنعانية.
- ٣٦- تسمى عبرية المرحلة الأولى من العصر الثاني بالعبرية التلمودية.
- ٣٧- لم تتأثر العبرية الحديثة بالعربية واللغات الأوربية الحديثة.
- ٣٨- خضعت اللغة العبرية بعد السبي البابلي لمؤثرات عنيفة أدت إلى ضياعها وإماتها.
- ٣٩- تنسب اللغة الآرامية إلى الآراميين الذين ينسبون إلى آرام بن سام.
- ٤٠- أضحت اللغة الآرامية لغة المناطق التي سيطر الآراميون عليها تستعمل في كل شيء في الأدب والكتابة والمحادثة.
- ٤١- لم تختلف الآرامية الغربية عن الآرامية الشرقية.
- ٤٢- تعد اللهجة النبطية لهجة عربية خالصة.
- ٤٣- اللهجة النبطية مزيج من الآرامية والعربية، ولكن الآرامية أغلب.
- ٤٤- الآرامية الحديثة ليست بمتطورة عن آرامية العهد القديم.
- ٤٥- انقرضت اللهجات الآرامية بتغلب العربية عليها في القرن السابع بعد الميلاد.
- ٤٦- اللغات الحبشية السامية لغات لقبائل سامية نزحت من اليمن إلى الحبشة.

- ٤٧- الخط النبطي لا يشبه الخط الكوفي.
- ٤٨- لا تختلف النقوش السبئية عن نقوش العربية البائدة.
- ٤٩- ليست اللغة العربية أحدث من أخواتها السامية.
- ٥٠- العربية الباقية لغة طائفة واحدة من العرب.
- ٥١- انشعبت العربية منذ أقدم العصور التاريخية إلى لهجات متنوعة يختلف كل منها عن الأخرى في المظاهر الصوتية والقواعد والمفردات والدلالة.
- ٥٢- يسهل علينا الآن القضاء على الازدواجية اللغوية.
- ٥٣- للحكومات العربية دور عظيم في القضاء على الازدواجية اللغوية وتحقيق الوحدة اللغوية.
- ٥٤- أخذ الفينيقيون الأبجدية عن المصريين القدامى.
- ٥٥- وضع نظام الإعجام للحروف العربية نصر بن عاصم الليثي، ويحيى بن يعمر العدواني تلميذا أبي الأسود الدؤلي.
- ٥٦- ضبطت الحروف العربية بالحركات المعروفة لنا الآن في عهد بني أمية.
- ٥٧- كان العرب يقرأون القرآن الكريم قراءة صحيحة لا تصحيف فيها ولا تحريف، معتمدين في ذلك على سليقتهم العربية.
- ٥٨- تعلم القراءات القرآنية تعلمًا أمثل سبيله التلقين ومشاهدة مجيدي القراءات القرآنية.
- ٥٩- علم أبو الأسود الدؤلي علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- أبوابًا من النحو، وقال له: "انح هذا النحو".
- ٦٠- طور أتباع الخليل نظام الشكل الذي ابتكره الخليل.
- ٦١- لا يعد نظام الكتابة في العربية نظامًا مثاليًا.
- ٦٢- لا يتمشى نظام الكتابة العربية مع أحدث منهج في التفكير الصوتي.
- ٦٣- نظام الشكل (الحركات القصيرة) نظام مثالي.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- للقياس الخاطي أثره البالغ:

أ- في نشوء اللهجات.

ب- ليس لها في نشوء اللهجات أثر يذكر.

٢- تغلبت الفرنسية في كندا:

أ- على لغة البلاد الأصلية.

ب- لم تغلب عليها.

ج- بل اندحرت الفرنسية في كندا.

٣- يرى الباحثون في فقه اللغة أن رأي "ماكس مولر":

أ- أولى بالرفض والنقض.

ب- أولى بالأخذ والقبول.

ج- قد عفى واندثر في ظل الدراسات الحديثة.

٤- الفصيلة الطورانية اسم أطلقه على مجموعة اللغات الآسيوية الأوربية العالم:

أ- ماكس مولر. ب- شيلجيل. ج- برجشتراسر.

٥- اللغات السامية:

أ- لا تعرف الحروف الحلقية.

ب- لا تعرف أصوات اللين.

ج- كلاهما خطأ.

٦- الكنعانيون قبائل:

أ- سامية. ب- حامية. ج- شومرية.

٧- اللغة الأمهرية أقرب إلى:

أ- السامية. ب- الحامية. ج- النبطية.

٨- وضع نظام الإعجام للحروف العربية:

أ- نصر بن عاصم الليثي.

ب- يحيى بن يعمر العدواني.

ج- أبو الأسود الدؤلي.

٩- قامت دراسة العرب لأصوات لغتهم على:

أ- منهج الملاحظة الذاتية.

ب- المنهج التحريبي.

١٠- الخط العربي:

أ- توقيفي.

ب- اصطلاحى.

ج- بعضه توقيفي وبعضه اصطلاحى.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- "فقه اللغة" علم يُعنى بدراسة حياة اللغة في أطوارها المختلفة فما مقصود

فقهاء اللغة من حياة اللغة؟ وما منهجهم في دراستها؟ ادعم إجابتك بالأمثلة الموضحة.

٢- يؤكد واقع اللغة تفرعها إلى لهجات مختلفة لأسباب توافرت لها. تناول هذا

القول بتوضيح تدعمه الأمثلة.

٣- تتطور اللهجة، فتغدو بتطورها لغة مستقلة، قائمة بذاتها، تعبر عن بيئتها،

وتفي بحاجات بنيتها، اشرح هذا القول شرحاً وافياً مدعوماً بالأمثلة.

٤- تناول فقهاء اللغة قضية الصراع اللغوي، فحددوا مفهومه، وذكروا أسبابه،

ونتائجه. تناول النقاط المذكورة بالشرح المدعوم بالأمثلة الموضحة.

٥- علل لما يأتي:

أ- صرع لغة للغة أخرى.

ب- تفاوت نتائج الصراع الغوي.

ج- صرع العربية للغات المغزوة ديارها.

د- صرع العربية للغات الغازية لديارها.

٦- يؤكد تاريخ العربية في مصرنا المباركة صرعها لسواها غازية ومغزوة بين ذلك في ضوء ما درست.

٧- ما الطريقة المثلى إلى جعل اللهجات المختلفة لغة واحدة نجمع بها شتاتنا؟

٨- الفصائل اللغوية نتاج بحوث، ودراسات علمية، فما مراد اللغويين منها؟ وما أهمها؟ وما الغرض من دراستها؟

٩- عني فقهاء اللغة بدراسة اللغات الإنسانية، وحاووا في دراستهم إياها إرجاعها إلى فصائل عامة، ولهم في هذا وجهات نظر متباينة تبايناً شديداً، سجلتها مؤلفاتكم. اشرح هذا القول مشفوعاً ببيان رأيك في هذه الدراسة ونتائجها.

١٠- "ماكس مولر" الألماني رأي في الفصائل اللغوية. اذكر رأيه ووضحه، وبين أهميته في مجال الدرس اللغوي، ثم أردف ذلك ببيان رأيك فيما ذهب إليه.

١١- لشليجيل الألماني رأي في الفصائل اللغوية، ولفقهاء اللغة عليه مآخذ دونتها مؤلفاتكم، أفصح عن رأيه، واكشف عن الأساس الذي اعتمد عليه مشفوعاً برأيك فيه وبأهم مآخذ فقهاء اللغة على رأيه، متبعاً له برأيك والتعليل له.

١٢- درست رأي "ماكس مولر"، و"شليجيل" الألمانيين في الفصائل اللغوية، وازن بين الرأيين موازنة موضوعية تنتظم الأصل الذي استند إليه كل منهما، ووجه الاتفاق والاختلاف، ونتائج كل منهما، وأثرها في الدراسات اللغوية وبخاصة دراسات فقه اللغة.

١٣- من الفصائل اللغوية فصيلة اللغات المتصرفة أو التحليلية فبم تتميز لغات هذه الفصيلة؟ ولم وُصفت بالمتصرفة؟ ولم أثر فقهاء اللغة وصفها بهذه الصفة دون سواها؟ وما أهم اللغات التي تمثل هذه الفصيلة؟ وما رأيك في هذه

- الدراسة ومثيلاتها؟ وماذا أفدت منها؟
- ١٤- من الفصائل اللغوية فصيلة اللغات العازلة، فلم وُصفت بالعازلة؟ وما معنى كونها عازلة؟ وما أهم اللغات الممثلة لها؟
- ١٥- تباينت آراء فقهاء اللغة في تصنيف اللغات المذكورة اكشف عن سرّ تباينها مع إبداء رأيك في ذلك.
- ١٦- يرى فقهاء اللغة أن التصرف، واللصق، والعزل غير مقصور على لغة معينة. وضّح بالأمثلة هذا القول.
- ١٧- لغتنا العربية لغة متصرفة، وفيها لصق، وعزل، اشرح هذا القول موضّحاً بالأمثلة، مع التحديد للصفة الشائعة.
- ١٨- من تصنيفات فقهاء اللغة للغات الإنسانية فصيلة اللغات الهندية الأوربية، اذكر مرادهم منها، ومواقعها، واللغات التي تنتظمها، وأهم رابطة تربط بعضها ببعض.
- ١٩- تشتمل فصيلة اللغات الهندية الأوربية على طوائف معلومة لديك، فما هذه الطوائف اللغوية؟ وما لغات كل طائفة منها؟ وعلام اعتمد فقهاء اللغة في تصنيفهم هذا؟
- ٢٠- الفصيلة الحامية السامية إحدى الفصائل اللغوية المعلومة لك. فما مقصود فقهاء اللغة منها؟ وما طائفتاها اللتان تكوّنتاها؟ وما الرابطة الجامعة بين لغات كليهما؟ وفيما تختلفان؟
- ٢١- اللغة الأكادية (البابلية والآشورية) إحدى لغات الفصيلة السامية فمنّ الأكاديون؟ وما موطنهم الأصلي؟
- ٢٢- تؤكد الدراسات اللغوية للباحثين والدارسين في مجال الساميات تأثر البابلية والآشورية باللغة الآرامية. اذكر مظاهر هذا التأثير وملاحمه.
- ٢٣- لم تستطع اللغة الآرامية محو ذاتية اللغة الأكادية محوّاً تماماً حيث تأثرت بها

- وأثرت فيها. وضح هذا القول على هدى مما درسته.
- ٢٤- الفينيقيون قوم ساميون لهم موطنهم الجعزافي، وللغتهم ملامحها المميزة لها عما سواها. اشرح هذا القول شرحاً تفصيلياً.
- ٢٥- يشكو الباحثون والدارسون من قلة معلوماتهم عن اللغة الفينيقية. علل لذلك واكشف عن دلالاته.
- ٢٦- للغة الفينيقية ملامحها المحددة لذاتيتها وهويتها. أفصح عن أهمها مشفوعاً بالشرح والتحليل.
- ٢٧- عثر الباحثون في الساميات على ما يسمى بالأبجدية "الأوغاريتية" اذكر ما تعرفه عن هذه الأبجدية واكشف عن طبيعتها، وما أفادته الأبجديات منها.
- ٢٨- تؤكد دراسات اللغويين أن اللغة الفينيقية تتفرع منها عدة لهجات محلية. اذكر هذه اللهجات وأسباب تفرعها من اللغة الفينيقية.
- ٢٩- اللغة العبرية لغة سامية قديمة، لها أربابها وموطنها اشرح هذا القول في ضوء دراستك.
- ٣٠- يرى الدارسون في الساميات اتفاق لغة بني إسرائيل (العبرية) ولغة الكنعانيين. فقيم تنفقان؟ وما أثر اتفاقهما؟ وما دلالة ذلك؟
- ٣١- تؤكد الدراسات اللغوية للساميات أن اللغة العبرية مرت بمراحل كثيرة تأثرت في كل منها بمؤثرات شتى أهمها الشؤون السياسية.... وترجع هذه المراحل إلى عصرين. اشر بقسمك هذا القول مشفوعاً ببيان العصرين ومرحلتَي كل منهما وخصائصهما.
- ٣٢- اذكر ما تعرفه عن:
- أ- المرحلة الأولى من العصر الأول في حياة اللغة العبرية.
- ب- المرحلة الثانية من العصر الأول في حياة اللغة العبرية.
- ٣٣- اذكر ما تعرفه عما يأتي:
- أ- الآرامية الأم. ب- الآرامية الشمالية. ج- الآرامية الغربية.

٣٤- لكل من الآرامية الشرقية، والغربية لهجاتها المتفرعة من كل منهما. فما هذه اللهجات؟ وما ملامح كل منها؟

٣٥- الحبشية لغة سامية لها موطنها وذووها. اشرح هذا القول في ضوء ما درست، واكشف عن الأصل التاريخي والجغرافي لهذه اللغة ومصدر تسمية بنيتها بالأحباش.

٣٦- انسب اللهجات الآتية للغاتهما، وحدد ملامح كل منها:

أ- اللهجة التحرائية. ب- اللهجة التحرية.

ج- اللهجة الهورية. د- اللهجة الجوراجوية.

٣٧- يطلق الباحثون في اللغات السامية على اللغات اليمنية القديمة واللغات الحبشية اللغات السامية الجنوبية. علل هذه التسمية في ضوء ما درست، ثم اذكر بالشرح ما يلي:

أ- مفهومها ومراد العلماء منها. ب- بيئتها الأصلية وطبيعتها.

ج- أثرها فيها. د- دولها.

٣٨- اكتب ما تعرفه عما يأتي، مع التركيز على الجانب اللغوي:

أ- الدولة المعينية. ب- الدولة السبئية.

ج- الدولة القتبانية. د- الدولة الحميرية.

هـ- الدولة الحضرية.

٣٩- اكتب ما تعرفه عن:

أ- نقش النمارة. ب- نقش زبد.

ج- نقش حوران. د- نقش أم الجمال.

٤٠- للنقوش القديمة قيمتها اللغوية والتاريخية. وضح هذا في ضوء دراستك.

٤١- عرفت الوحدة اللغوية قبل إسلامنا العظيم، وقويت بالإسلام وبكتابه

- الكريم. كيف توفق بين هذه الحقيقة وظاهرة تعدد اللهجات وبقائها بعده؟
- ٤٢ - أفادت القرشية من صراعها المديد مع اللهجات الأخرى أموراً كثيرة. فماذا أفادته؟ وفيم يتمثل؟ وضح ما تقوله بالأمثلة.
- ٤٣ - تم إصلاح الأبجدية العربية على مراحل مختلفة. فما باعث إصلاحها؟ وما كفيته؟ وما أثره في البحث والدرس؟
- ٤٤ - يقول فيرث: "لقد نشأت الدراسات الصوتية، ونمت في أحضان لغتين مقدستين: العربية والسنسكريتية". تناول بالبيان ما تضمنه هذا القول من حقائق وبخاصة العربية منها.
- ٤٥ - ناقش ما قاله الفارسي في كتابه: "الصاحبي" في مسألة الخط العربي، وما علق به السيوطي عليه؛ لتوازن بينهما موازنة موضوعية.
- ٤٦ - ناقش ابن فارس فيما استدل به على أن الخط توقيف.

## النشاط التعليمي للوحدة الثانية

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات هذه الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

١- أعد بحثاً عن: "العوامل التي تؤدي إلى تفرع اللغة إلى لهجات" متناولاً تلك العوامل من الناحية الجغرافية والاجتماعية ومن ناحية اتصال الشعوب لتبادل المنافع والخبرات، واختلاف الأفراد والخطأ في الأقيسة.

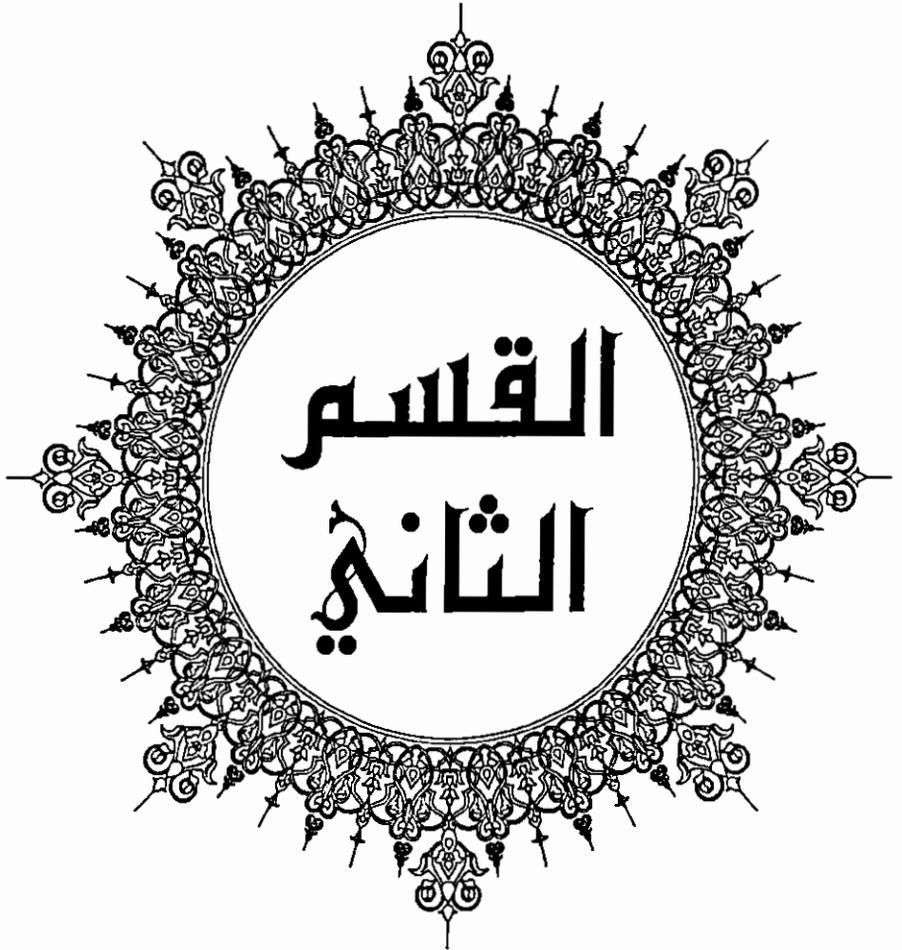
٢- أعد بحثاً عن: "الأبجدية العربية، نشأتها وتطورها وعلاقتها بالدراسة الصوتية عند العرب".

٣- اعقد ندوة لمناقشة رأي كل من "شليجل"، و "ماكس مولر" في تقسيمهما للغات الإنسانية.

٤- اكتب مقالاً عن: مميزات اللغة العربية الصوتية والصرفية والنحوية.

٥- أعد بحثاً عن الأبجدية العربية: نشأتها وتطورها وعلاقتها بالدراسة الصوتية عند العرب.







## الوحدة الأولى

### الأصوات اللغوية

مبررات دراسة الوحدة:

عزيزي الدارس: هذه الوحدة تميز وتوظف لدراسة أصوات العربية دراسة صحيحة تستقيم بما ألسنة المتكلمين بها، وفي هذه الوحدة تتجلى لك أهمية علم الأصوات وتكشف لك علاقته "بفقه اللغة" فالأصوات بمباحثها المختلفة فرع من فروع فقه اللغة.

ومن خلال هذه الوحدة نتعرف على أقسام الدراسة الصوتية وما بينها من اتفاق واختلاف، فإذا قرأت في أحد المؤلفات الصوتية أمكنك تحديد القسم الذي ينتسب إليه، حيث إن لكل منها مفهومه وغرضه وضوابطه وشروطه وطبيعته، وأدواته، ومعرفتك لهذا كله يقدرك على تحديد المصطلحات وضبطها، وبسلامة المقدمات تسلم النتائج وتصح.

وفي هذه الوحدة نتعرف على مجالات الدراسة الصوتية في مجال الأداء القرآني وتعلم اللغة بصورة مثلى وتمكينها لفئات كثيرة من أداء دورهم المنشود في مجتمعاتهم على النحو الأكمل، كما تبدو أهميتها في المباحث الصرفية والنحوية.

وفي هذه الوحدة أيضاً نتعرف على الغرس الصوتي لليونان والرومان والهنود؛ وذلك للوقوف على أوجه الاتفاق والاختلاف، والقوة والضعف، وعلاقة هذا كله بالبحث الصوتي لأسلافنا العظام، وللكشف عن القربى بين البحث الصوتي للهنود والفكر الصوتي لقدامى اللغويين من أئمتنا وسلفنا الأفاضل. وتنتقل بنا الوحدة إلى أسباب نهضة الدراسات العربية وبخاصة في القرنين:

السابع عشر، والثامن عشر، وبيان أثر كل منها في البحث الصوتي، ورقية.

وتبحر بنا هذه الوحدة إلى أدوات الدراسة الصوتية الحديثة؛ لنقف على كل الآلات والأجهزة العلمية التي ابتكرها العقل الإنساني، وفيها التعرف على "علم الأصوات الأكوستيكي" أو الفيزيائي وذلك ببيان أهمية هذا العلم، وتحديد ماهيته، والكشف عن أسباب ولادته وبواعثها ومجالاته، وأدواته، ومعطياته، وأثره في الدراسة الصوتية.

وفي ثانيا هذه الوحدة نتعرف عقولنا على كثير مما قدمه سلف هذه الأمة في مجال الدراسات الصوتية الجادة، كدراسة الخليل وسيبويه وابن جني وغيرهم في هذا المجال كثير.

وفيها كذلك التعرف على خصائص هذه الدراسة وتحديد ملامحها، والتأكيد على سلامة منهجهم وصحته وموضوعيته.

وفيها أيضاً: التأكيد على أخذ الملاحظة الذاتية عن طريق النطق الفعلي والاستماع إليه أداة أساسية في البحث الصوتي على كل مراحل ومستوياته، ويتحلى للباحثين والدارسين في مجال الدراسة الصوتية أن سلفنا الأئمة لم يهملوا المادة الحقيقية للأصوات، وأن ما قاموا به يدخل في إطار الفنونولوجيا أو علم وظائف الأصوات.

كما يتجلى لنا - في رحاب هذه الوحدة - أن للبحث الصوتي مناهج مختلفة، وأن الأخذ بها هو السبيل إلى دراسة صوتية مُثى.

وفيها كذلك تعريف بظاهرة الصوت، ومصدره، ووسطه الناقل له إلى أذن المتلقي، وكيفية تكوينه، وطريقة نقله، وإدراكه، ودرجته، وعوامل شد وارتفاعه، وعمقه وحدته.

ولا شك في أن مثل هذه النقاط مهمة في الوقوف على حقائق الأشياء التي  
تمكّنا من القيام بدورنا على مستوى الفرد والجماعة.

وتعبّر بنا هذه الوحدة إلى الصوت الإنساني فتميط اللثام عن حقيقته  
ومصدره الأصلي، ومراحل تكوينه، وكيفية كل مرحلة منها، وما يعتمد عليه  
الصوت في أثناء عملية التصويت والنطق، وما يتميز به كل صوت من الآخر،  
والوقوف على العوامل التي تؤثر في درجته.

وفي ثانيا هذه الوحدة وتضاعيفها تعريف بالجهاز الصوتي للإنسان وكشف  
عن طبيعته، وبيان لأعضائه التي يتكوّن منها، وتحديد موقع كل منها، ودور كل  
عضو منها في التصويت والنطق.

وفيها كذلك: وصف موجز لكل من الرتين، والقصبة الهوائية، والحنجرة  
والوترين الصوتيين وأوضاعهما المختلفة، ودور كل وضع منها في أثناء التصويت  
والنطق، ولسان المزمار، واللهاة، والحلق، والحنك الأعلى بأقسامهما المختلفة،  
واللسان، والأسنان، والشفيتين.

لذا أدعوك -عزيزي الدارس- للإقبال على دراسة هذه الوحدة بكل الجدّ  
والاجتهاد، والله يوفقك.

الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يُرجى منك بعد دراسة هذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

- ١- تعرف علاقة الدراسة الصوتية بفقہ اللغة، وأثر كل منهما في الآخر.
- ٢- تفرق بين قسيمي الدراسة الصوتية: الفوناتيک، والفنولوجي وما يتفرع من كل منهما، وعلاقات بعضها ببعض.
- ٣- تعرف أثر الدراسة الصوتية للأئمة القدامى في دراسات المعجمات والأداء القرآني، والبلاغة والنقد.
- ٤- تقف على الدراسات الصوتية لدى اليونان والرومان والهنود، مع مقارنة هذه الدراسات بدراسات العرب الصوتية؛ لإدراك أوجه الاتفاق والاختلاف والقوة والضعف، لدى هؤلاء وأولئك.
- ٥- تفقه حقيقة علم الأصوات الفيزيائي، وغرضه، ومجالاته، وأدواته ومعطياته، وأثره في الدرس الصوتي.
- ٦- تدرك أهمية علم الأصوات الفيزيائي ونتائجه، من خلال الدراسات الصوتية للمحدثين، وتفهم حقيقة المناهج البحثية في الدراسة الصوتية وأسباب نشأتها.
- ٧- تفرق بين كل منهج بحثي والآخر، من حيث المفهوم وطبيعة كل منهج وأدواته، وكيفية القيام به، وضوابطه، ونتائجه وبعض مآخذ العلماء عليه.

٨- تضع يديك على ما يمثل كل منهج منها في مؤلفات أسلافنا الأئمة، وأئمتنا العظام.

٩- تعلق لنشأة كل منهج.

١٠- تفهم كيفية تكوين الصوت، وطريقة انتقاله.

١١- تفقه ما يعتمد عليه الصوت في التصويت.

١٢- تعلق لوصف الصوت الإنساني بالصوت المعقد.

١٣- تدرك أن لكل إنسان صفة صوتية تميز صوته من غيره.

١٤- تستنتج العوامل المؤثرة في درجة الصوت الإنساني.

الوحدة  
الأولى  
الأصوات  
اللغوية

فقه اللغة والأصوات اللغوية:

- علم الأصوات وفروعه المختلفة.
- الفنولوجي وفروعه.
- أهمية الدراسة الصوتية.
- الدارسة الصوتية عند قدماء العربية.

أثر الدارسة الصوتية في فروع الثقافة العربية:

- في المعاجم اللغوية.
- علماء التجويد أو أصحاب الأداء القرآني.
- علماء البلاغة والنقد.
- الدارسة الصوتية ونشأتها وتطورها، لمحّة تاريخية.
- أهمية علم الأصوات الفيزيائي في الدرس الصوتي.

مناهج البحث في الأصوات:

- منهج الملاحظة الساتية (في القلم).
- المنهج الآلي (في الحديث).

ظاهرة الصوت: - الصوت الإنساني.

- العوامل التي تؤثر في درجة الصوت الإنساني.
- الجهاز النطقي عند الإنسان: - الرتبان.
- القصبة الهوائية. - الحنجرة. - الوتران الصوتيان. - لسان المزمار. - الحلق. - اللهاة.
- الحنك الأعلى - القراغ الأنفي - اللسان - الأسنان - الشنتان.

## الفصل الأول: فقه اللغة والأصوات

الدراسة الصوتية فرع من فروع "فقه اللغة"؛ إذ من الأصوات تتكون الكلمات، ومن الكلمات تتكون الجمل، ومن الجمل تتكون العبارات والأساليب اللغوية. ودراسة الأصوات التي تكون الألفاظ تعرف عند المحدثين من العرب باسم "علم الأصوات" وكان القدماء يطلقون عليها "علم التجويد".

وهذا المبحث يدرس اللغة من زوايا عديدة، فيعرض لها من ناحية النطق وما يرتبط بذلك من سمات صوتية دون النظر إلى وظائفها، أو قيمتها اللغوية في الكلمات التي تتألف منها، وهذا ما يسمى بالخواص العامة للأصوات دون التعرض لمميزاتها الخاصة التي ترتبط بمعانيها في اللغة اللفظية، وهو ما يعرف بالفوناتيكس Phonetics أما إذا كانت الدراسة للأصوات من ناحية قيمتها ووظائفها في اللغة المعينة، فيطلق عليها علم الأصوات التنظيمي، أو علم وظائف الأصوات، وهو ما يسمى بالفنولوجي Phonology.

ويجدر بنا أن نشير إلى فروع القسم الأول "الفوناتيكس":

أ- إذا كانت الدراسة الصوتية في لغة ما من اللغات الغرض منها بيان الحقائق الصوتية موجهة للمخارج والصفات، وكيفية النطق، وأثر بعضها في بعض، وما يعرض لها من تبدلات، ثم دراسة أعضاء النطق المختلفة، فكل هذا يسمى بعلم الأصوات الوصفي.

ب- وإذا كانت الدراسة الصوتية في لغة ما في فترة طويلة من الزمان، وكان الغرض منها تتبع الأصوات بغرض الوقوف على ما أصاب هذه الأصوات من تطور وتبدل، ومعرفة القوانين التي خضعت لها في هذا التطور، فيسمى هذا النوع "علم الأصوات التاريخي".

ج- وأما إذا كانت الدراسة خاصة بلغتين لمقارنة أصواتهما، وكشّف وجوه الشبه والاتفاق أو أوجه الخلاف بينهما سمي "علم الأصوات المقارن".

د- وإذا كانت الدراسة الصوتية عامة لكل اللغات لغرض الوقوف على حقيقة الأصوات اللغوية، وما يتحكم فيها من قوانين عامة تخضع لها في تطورها وتغيرها فتسمى هذه الدراسة صوتية: "علم الأصوات العام".

وكما تفرع هذا القسم إلى هذه الفروع، فكذلك القسم الثاني، وهو الفنولوجي يتفرع إلى أربعة فروع أو أربعة مباحث، هي:

أ- الفنولوجيا الوصفية. ب- الفنولوجيا التاريخية.

ج- الفنولوجيا المقارنة. د- الفنولوجيا العامة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن مباحث الفوناتيكا، والفنولوجيا متداخلة تداخلاً شديداً، بحيث يصعب على المرء في بعض الأحيان الفصل بينهما أو التمييز بين بعضها. أهمية الدراسة الصوتية:

السيطرة على اللغة لا تتم دون دراسة أصواتها، شأنها في ذلك شأن الدراسة النحوية والصرفية؛ إذ أن الاختلاف في النطق كالاختلاف في قواعد النحو والصرف، فإن عُدَّ الاختلاف في قواعد النحو والصرف خروجاً على المعيار السليم، والمقياس الصحيح، حكم بالمثل على الاختلاف في النطق وكما يجب التنبيه على الخطأ النحوي والصرفي، يجب أيضاً التنبيه على الخطأ في النطق.

ومن هنا يجب علينا أن ندرس الأصوات اللغوية كدراستنا للنحو والصرف؛ إذ السيطرة على اللغة لا تتم دون دراسة أصواتها وقواعدها النحوية والصرفية، والدراسة الصوتية تخدم القرآن الكريم، وذلك يقتضينا أن نُعنى بها أشد عناية، وأن نتمتع في أصولها ودقائقها، وأن نوسع ميادينها، بحيث تشمل كل العلوم اللسانية، حتى تظل لغة الضاد لغة كتاب الله ﷻ سليمة خصبة، إذ في

صحتها صحة أداء القرآن الكريم وسلامته.

وتظهر أهمية الدراسات الصوتية في كونها وسيلة من وسائل تعليم اللغة الفصحى تعليمًا سليمًا، فالتعلمون في المراحل الأولى معرضون للخطأ في نطق اللغة نظرًا لاختلاف البيئات التي تربوا في أحضانها، ولكل عادات نطقية تخالف الأخرى من جهة، والفصحى من جهة ثانية.

فإذا ما أرشد هؤلاء المتعلمون إلى أصوات اللغة، ونطقها النطق السليم سهل عليهم إجادتها ونطقها وأداؤها؛ وبالتالي تخلصوا بالتدرج من العادات النطقية التي نشأوا عليها، ومن هنا تظهر لنا أهمية الدراسة الصوتية في المحافظة على اللغة، والعمل على إجادتها، والتمكن منها، فتعليم أصوات اللغة المشتركة أمر ضروري للغاية للتخلص من الخلاف في المخارج أو الخلاف في صفات الحروف، ويظهر لنا الفرق جليًا في اختلاف القاف في العامية عنها في الفصحى، وكذلك الجيم والضاد... إلخ.<sup>(١)</sup>

ومن هنا يظهر لنا -بجلاء- أن الدراسة الصوتية لا تقل أهمية عن الدراسة النحوية والصرفية.

ونظرة فاحصة للخطباء والمدرسين والقضاة والمذيعين وغيرهم -يتبين لنا أن هؤلاء جميعًا لا يستطيعون القيام بعملهم على الوجه الأكمل واللائق بهم، دون أن يلموا بصورة أو بأخرى بخصائص النطق، وقواعد الأداء السليم.

وفوق هذا وذاك فإن الأصوات هي المظهر الأول للأحداث اللغوية، وهي بمنزلة اللبنة الأساسية التي يتكون منها البناء الكبير.

وتظهر أهمية دراسة الأصوات في المباحث الصرفية، إذ أن القواعد الصرفية منبثقة -أساسًا- على ما تقرره الدراسة الصوتية من حقائق، وما ترسمه من حدود،

(١) علم اللغة العام (القسم الثاني: الأصوات) أ. د. بشر (ص ٢٤٠) بتصرف.

وكل دراسة صرفية لا تراعي الدرس الصوتي مصيرها الفشل والضياع، وهذه الحقيقة تظهر جلية لمن يعالج المسائل الصرفية، ولديه قدر كافٍ من الدرس الصوتي، وهناك أهمية أخرى للدراسة الصوتية تظهر جلية واضحة في القواعد النحوية.

فالمادة النحوية تتألف من عناصر صوتية، وأخرى صرفية، وهذا يعني بالضرورة ربط النحو بالدراسة الصوتية والصرفية، ومن الخطأ الواضح أن تُعالج القواعد النحوية بمنأى عن المباحث الصوتية، والمباحث الصرفية.

الدراسة الصوتية عند قدماء العربية:

من أحسن ما عرض له العرب في دراسة الأصوات ما تجده عند الخليل من وصف الجهاز الصوتي، وهو احلق والقم إلى الشفتين، وتقسيمة إياه إلى مناطق ومدارج يختص كل منها بحرف أو مجموعة حروف، وما أشار إليه الخليل أيضاً من "ذوق الحروف" لبيان حقيقة المخرج، فقد هوى بذكائه المتفوق في ذلك إلى مقاييس صحيحة، أقر كثيرٌ منها علماء الأصوات المحدثون، وكذلك قوله في الحركات إنما أبعاض حروف المد، واختراعه علامات الضبط التي لا نزال نستعملها حتى اليوم؛ من فتحة وضممة وكسرة<sup>(١)</sup>.

وفي كتاب "العين" أول معجم في العربية سار على الترتيب الصوتي.

والحق أن هذا المبدأ كان المنطلق الحقيقي للدراسات الصوتية في اللغة

العربية، فلقد نجح علماء العربية بعد الخليل نجاحاً يستحق الثناء والإكبار، وما إن وضع الخليل بن أحمد فكرة الترتيب الصوتي حتى أخذته عنه تلميذه وحامل علمه "سيبويه" وأدخل على هذا الترتيب تطوراً وتبدلاً، ومن هنا خالف سيبويه

(١) انظر: كتابنا علم اللغة، الطبعة الأولى (ص ١١٢)، وما بعدها.

أستاذه في الكثير من جزئيات هذا الترتيب<sup>(١)</sup> وأدخل عليه تطويراً وتعديلاً. ومن أهم ما خالفه فيه موقفه من الهمزة، حيث جعلها أول الأصوات العربية وأبعدها مخرجاً، وسيبويه بصنيعه هذا يوافق البحث الصوتي الحديث الذي أثبت أن الهمزة هي أول الأصوات العربية مخرجاً، فهي من فتحة المزمار، والوتران الصوتيان عند النطق بالهمزة لا يوصفان بالاهتزاز ولا بعدهم.

واستطاع سيبويه أن يغير كذلك من تصنيف الخليل للأصوات إلى مجموعات، بحسب قربها أو بعدها في المخارج، ونقل عنه كذلك الكثير من المصطلحات والعبارات الصوتية. وكان تطوير سيبويه لعمل أستاذه هو الأساس لعلماء العربية في مجال الأصوات، وفي جميع المجالات.

(١) ترتيب الحروف قديماً كان يسير على الأبجدية الفينيقية بالإضافة إلى الحروف الروادف: أبجد هوز حطي كلمن، سعفص، قرشت، شخذ ضظغ. ثم دعت الحاجة إلى الإعحام؛ لأن الحروف لم تكن معجمة (أي منقوطة نقطاً يميز بعضها من بعض، كنقطة الجيم التي تميزها من الحاء المهملة، ونقطة الدال التي تميزها من الدال المهملة) فطلب الحجاج من نصر بن عاصم الليثي أن يقوم بهذه المهمة مع زميله يحيى بن يعمر العدواني، تلميذي أبي الأسود الدؤلي، فرتبا الحروف المحاذية للترتيب العادي: أ ب ت ث حيث جمعت الحروف المشابهة، ولقد تأخر انتشار ترتيب نصر بن عاصم وزميله، ولم يكتب له الذبوع والانتشار إلا في أواخر القرن الثاني الهجري، وظل الأمر على هذا الترتيب إلى أن جاء الخليل بن أحمد، ورتب الحروف بحسب مخرجها حين شرع في عمل معجم العين، وبدأ بحروف الحلق، ثم الحنك، ثم الأضراس ثم الشفة، وأخر في العلة، ولم يجعل الهمزة أولاً، وإنما جعلها في آخر حروف الهجاء حيث جاء ترتيبه هكذا: ع ح خ غ - ق ك - ج ش ض - ص س ذ - ط د ت، ظ ث ذ - ر ل ن، ف ب م - و ا ي، ثم الهمزة. انظر كتاب العين (٤٨/١)، تحقيق الدكتور مهدي المخرومي، وإبراهيم السمراي (ص ٤٨) وخالف سيبويه أستاذه فكان ترتيبه على الوجه الآتي: الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والحاء، والكاف والقاف والضاد والجيم والشين، والباء واللام والراء، والنون والطاء والدال والتاء، والصاد والزاي والسين، والطاء والذال والتاء والفاء والباء والميم والواو. انظر: الكتاب (٤٣١/٤)، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، وعدد حروف الهجاء عند الخليل وسيبويه: تسعة وعشرون حرفاً كما ترى.

ثم كان ابن جني والذي برر في هذا المجال من الدراسات، فلقد فاق الخليل وسيبويه؛ بما قدم من تفريعات وتفصيلات ووضع مناهج وتحليلات للأصوات، ويظهر هذا جلياً في كتابه: "سر صناعة الإعراب" والذي يدل على نضج واكتمال الدراسات الصوتية عند العرب في القرن الرابع الهجري، ويكفي أن نجعل الدراسات الصوتية في "سر صناعة الإعراب" فيما يبي، حتى نعرف مدى ما وصلت إليه هذه الدراسة:

- ١- عدد حروف المعجم وترتيبها وذوقها.
- ٢- وصف مخارج الحروف- وهي الأصوات- وصفاً تشریحياً دقيقاً.
- ٣- بيان الصفات العامة للحروف، وتقسيمها إلى أقسام مختلفة.
- ٤- ما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف.

٥- نظرية الفصاحة في اللفظ المفرد، وأنها راجعة إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج. ولم يبذل ابن جني كما يقول محققو الكتاب في شرح هذه النظرية الأخيرة ما بذله من جهد في سائر مباحثه الصوتية، وإنما تركها في إجمالها لمن يأتي بعده من الدارسين، ليُعملوا فيها رأيهم، ويقرروا الحكم عليها صحة وخطأ، ومصيرها من حياة أو موت<sup>(١)</sup>.

من هنا يتبين لنا أن بذور الدراسات الصوتية، وصفها الخليل بن أحمد، وتعهدها بالرعاية والعناية تلميذه سيبويه، ثم نضجت وحن قطافها عند ابن جني من علماء القرن الرابع الهجري، والحق أنه لم يخف على علمائنا الأقدمين أن اللغات "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"<sup>(٢)</sup> وقد أفاضوا في دراسة هذه المواد

(١) سر صناعة الإعراب لابن جني (١٤/١).

(٢) الخصائص لابن جني (١٤/١).

اللغوية الصوتية، ونتيجة لذلك عرفوا لكل حرف صوته صفة ومخرجًا، مثلما عرفوا له إيماءة دلالة ومعنى.

### أثر الدراسة الصوتية في فروع الثقافة العربية:

لقد شاعت آثار الدراسة الصوتية التي قام بها الخليل بن أحمد ومن بعده تلميذه سيويه، ثم ابن جني في القرن الرابع الهجري - في نواح مختلفة من الدراسات العربية، يحملها فيما يلي:

#### ١- في المعاجم اللغوية:

لم يترك أصحاب المعاجم اللغوية شيئاً من كلام ابن جني أو من قبله في ظواهر الإعلال والإبدال والإدغام والحذف والزيادة، ونحو ذلك، إلا نقلوه عنه، وسلموا له القول فيه، واعتقدوه القول النهائي فيما هم بصدده، والشاهد على ذلك ما نراه في المحكم والمختص لابن سيده الأندلسي، ولسان العرب لابن منظور المصري من ذكر لاسم ابن جني في كل مسألة تصريفية صوتية.

#### ٢- علماء التجويد وأصحاب الأداء القرآني:

فقد نظم أصحاب الأداء القرآني قواعد ودراسات اشتقوها من دراسات الخليل بن أحمد وتلاميذه، ومن دراسات الكوفيين، وألفوا الكثير من الكتب، منها المطول، ومنها المختصر منها يتعلم الناس كيف يتلون القرآن الكريم تلاوة صحيحة، ولم يزدوا على أصول قواعد الأصوات شيئاً، وإنما زادوا الشيء الكثير في التفاصيل<sup>(١)</sup> ومن يرجع إلى كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري (المتوفى سنة ٨٣٣ هـ) تتضح له هذه الحقيقة كاملة.

(١) أضاف علماء الأداء القرآني (فن التجويد) زيادات وتفصيلات كثيرة وأحكاماً تطبيقية في كتبهم الخاصة، مما كان له الأثر البين في الحفاظ على سلامة اللغة، وبعدها عن الانحراف في النطق، وقد سعى إلى وصف "تلاوة القرآن الكريم" حسب القراءات القرآنية المختلفة، فسجلوا خصائص صوتية تفرد بها التلاوة القرآنية، ووصفوا رموزاً كتابية تمثل هذه الخصائص.

### ٣- علماء البلاغة والنقد:

استفاد علماء البلاغة والنقد من الدراسات الصوتية، وخاصة فيما أسموه فصاحة اللفظ المفرد، وجميع ما قالوه راجعاً إلى ما قاله الخليل وسيبويه وابن جني في هذا المضمار. منهم على سبيل المثال علي بن عيسى الرماني، أشهر من عرض لذلك في أسلوب علمي بعد الجاحظ في كتابه "النكت في إعجاز القرآن الكريم"<sup>(١)</sup>، وابن سنان الخفاجي (المتوفى سنة ٤٦٦ هـ) في كتابه "سر الفصاحة" وهو يعد بحق التلميذ الحقيقي لابن جني؛ لأنه سار على منهجه في سر صناعة الإعراب حيث أخذ كلامه بنصه، ومزجه بكلام الفلاسفة في الأصوات، وبني على ذلك كتابه "سر الفصاحة" من أوله إلى آخره.

ونجد أن السكاكي في كتابه "مفتاح العلوم" يذُكر أن عدد الحروف المحائية تسعة وعشرون كما هي عدتها عند الخليل وسيبويه، ونظر في تقسيمات الحروف من حيث الجهر والهمس والشدة والرخاوة... إلخ.

ومجمل القول أن علماء البلاغة قد أفادوا كثيراً من الدراسة الصوتية التي وضع أساسها الخليل، ونمّاها تلميذه سيبويه، وأينعت وحن قطاقها عن ابن جني من علماء القرن الرابع الهجري، كما أشرنا آنفاً.

الدراسة الصوتية:

نشأتها وتطورها، لحة تاريخية:

تكلّمنا عن الدراسة الصوتية عند قدماء العربية، وقد يتساءل المرء قائلاً:

(١) يقول بعد أن قسم الكلام إلى متنافر ومتلازم في الطبقة الوسطى ومتلازم في الطبقة العليا: "والتلازم في الطبقة"

العليا القرآن كله، والسبب في التلازم تعديل الحروف في التأليف، فكلما كان أعدل، كان أشد تلاؤماً، وأمّ

التأخر: فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد كان بمنزلة مشي المقيد؛ لأ

منزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه، وكلاهما صعب على اللسان. . . ومخارج الحروف مختلفة، فمنها ما هـ

أقصى الحلق، ومنها ما هو من أدق لقم. انظر: النكت في إعجاز القرآن (ص ٨٧-٨٩).

وأين موقع العرب من الدراسة الصوتية عند بني البشر؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول: إن اللغويين منذ القدم شغلوا أنفسهم بالنظر في الأصوات اللغوية، ولكن ما أوصلهم إليه نظرهم لا يبلغ من الدقة والإتقان ما وصل إليه المحدثون.

فلقد قيل إن أقدم ما أثر من ذلك كان لعلماء مجهولين، فأقدم صور الكتابة يتضمن كل منها إدراكاً كالأصوات لغة من اللغات؛ إذ تحاول أن تمثلها بعلامات كتابية متطورة.<sup>(١)</sup>

وأثر عن اليونان وعن تلامذتهم الرومان وعن الهنود ملاحظات صوتية كثيرة. والمادة المأثورة عن اليونان نجدها في أقوال متناثرة في محاورات أفلاطون، وفي الشعر والخطابة لأرسطو، وتوجد أكثرها في كتابات نحاهم. أما الرومان فهم مقلدو اليونانيين في هذا المجال، كما قلدهم في كثير من المسائل الفكرية والثقافية، ونجد المادة الصوتية عند نحويهم<sup>(٢)</sup>.

والآراء الصوتية عند القدماء اليونانيين والرومانيين تُقدّم في جملتها على الآثار السمعية التي تتركها الأصوات في الأذن.

وهي -بهذا- تختلف عن الآراء الصوتية لقدماء الهنود والعرب الذين أدركوا الأسس الفسيولوجية في تكوين الأصوات المختلفة<sup>(٣)</sup>.

ولم يفتن اليونانيون عند تقسيمهم أصوات لغتهم إلى القسمين الرئيسيين: الأصوات المهموسة، والأصوات المجردة<sup>(٤)</sup> كما فطن لذلك الهنود والعرب.

(١) علم اللغة للدكتور محمود السمران (ص ٩١).

(٢) علم اللغة للدكتور محمود السمران (ص ٩٢).

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) سوف نتكلم بعد عن الأصوات المجهورة والمهموسة بشيء من التفصيل بإذن الله.

وكذلك تصنيف الأصوات بحسب المخارج، فطن له كل من اليونان والرومان والعرب، ولكن تصنيف اليونان والرومان يُقومان على ملاحظة الآثار السمعية للأصوات عند العرب والهنود، فيقومان على فحص وظائف أعضاء النطق، وعلى تحديد مواضعها بالنسبة لكل صوت، وعلى درجة اتصالها، وما إلى ذلك.

ويوجد تشابه كبير بين تصنيف الهنود لأصوات العربية على هذا الأساس، وهناك تشابه آخر بينهما، وهو أن الهنود يرتبون الأصوات ابتداءً من أقصاها في الحلق إلى الشفتين، ثم يذكرون الأصوات الأفقية، وهذا الترتيب نجده عند الخليل وسيبويه وهذا التشابه لا يعني أن العرب قلدوا الهنود في ذلك، أو اقتبسوا منهم هذا الترتيب وقد أبطلنا أن الخليل بن أحمد قلد الهنود في هذا الترتيب في كتابنا المعاجم العربية<sup>(١)</sup> وقد بذلت محاولات في عصرنا لالتقدم بعلم الأصوات اللغوية، وهذه المحاولات كان لها أكبر الأثر في إيصال هذا العلم على ما هو عليه الآن.

فمنذ القرن السابع عشر أخذت الدراسات اللغوية في أوروبا في النهوض، ومن بين فروع الدراسات اللغوية الدراسة الصوتية، فقد نالها الكثير من التقدم خلال القرن الثامن عشر فازدياد معرفة اللغويين بالتقدم الذي أصاب علم الطبيعة، وعلم وظائف الأعضاء وازدياد اتصالهم بلغات مختلفة، واشتغالهم بوصفها وبالمقارنة بين أنظمتها الصوتية، كل ذلك وغيره كان عاملاً له أكبر الأثر من بين العوامل التي أدت إلى تقدم الدراسة الصوتية؛ وبإعطائها درجة أكبر من الدقة والضبط.

وصار واضحاً لدى علماء الصوتيات أنه من الممكن وصف الأصوات اللغوية أو بعضها على الأقل، وتحليلها بالاستعانة بوسائل آلية داخل المعامل الصوتية التي أنشئت خصيصاً لذلك، واستعان علماء الأصوات في الفترات الأخيرة من الزمن بالمعونة من العلوم الأخرى لتوثيق مادتهم، وتأكيد نتائج بحوثهم، فاستعانوا

(١) انظر: المعاجم العربية مدارسها ومناهجها (ص ٣٠) وما بعدها ط أولى.

بعلم التشريح، وعلم وظائف الأعضاء (الفسولوجيا)، وقد كانت لهذا العلم آثار واضحة في الكشف عن عملية النطق، وحقيقة ما يجري عند إصدار الأصوات الإنسانية، ومن ثم ظهر الاسم الحديث "علم الأصوات الفسيولوجي" وأصبح يطلق الآن مرادفاً للاسم التقليدي القديم "علم الأصوات النطقي".<sup>(١)</sup>

ومجمل القول أن الدراسات الصوتية في القديم كانت مبنية في أساسها على الجانب النطقي، بوصفه الوسيلة المتاحة التي يمكن الاعتماد عليها في زمن لم تكن فيه الآلات والأجهزة العلمية الفنية التي تساعد على الكشف عن الجوانب الأخرى للصوت اللغوي، يظهر هذا واضحاً في الدراسات الصوتية عند العرب، كما تشهد بذلك آثارهم العلمية، والمصطلحات والتصنيفات الصوتية التي خلفوها وراءهم.

وكذلك سار على هذا المنهج غيرهم من الأمم في أوروبا وغيرها عندما أتيت لهم التعرف على هذا العلم فيما بعد<sup>(٢)</sup>.

وفي وقتنا هذا استخدمت الآلات والأجهزة العلمية المتطورة في الدراسات الصوتية الحديثة، والتي تطورت بشكل ملحوظ، وتنوعت تنوعاً ملموساً. وعلم الأصوات الأكوستيكي أو الفيزيائي حديث العهد بالوجود نسبياً، حيث يمثل المرحلة الوسطى بين النطقي وعلم الأصوات السمعي، وكان هذا العلم نتيجة تقدم العلوم الطبيعية بفروعها المختلفة وبواسطة هذا العلم تستطيع دراسة التركيب الطبيعي للأصوات، حيث يجلب الذبذبات والموجات الصوتية المنفصلة في الهواء، بوصفها مكونة من ذات الهواء الخارج من أعضاء النطق، ومعنى هذا أن وظيفة علم الأصوات الفيزيائي المرحلة الواقعة بين فم المتكلم وأذن السامع.

(١) انظر: علم اللغة العام، القسم الثاني "الأصوات"، د. كمال محمد بشر (ص ١٩).

(٢) انظر: علم اللغة العام (ص ١٨-١٩).

وبعض العلماء يجعله شاملاً للجانب الأول من جانبي علم الأصوات السمعي، وهو الجانب الذي يُعنى بميكانيكية الجهاز السمعي، وكيفية تأثره بالأصوات.

وهذا الفريق من العلماء يقصرون علم الأصوات السمعي على الجانب النفسي وحده إذ الجانب الأول هو الذي يدخل اختصاص اللغوي، أما الجانب النفسي فلا يعنيه بطريق مباشر.

### أهمية علم الأصوات الفيزيائي في الدرس الصوتي:

هذا العلم أحدث ثورة هائلة في الدراسة الصوتية، حيث قدم وسائل جديدة لدراسة الأصوات وتحليلها ووصفها، وهذه الوسائل قربت العون للدارسين - كما يقول الأستاذ الدكتور كمال بشر - في ثلاث صور، هي:

١- الكشف عن حقائق صوتية لم تكن معروفة لهم من قبل.  
٢- تعديل مناهج الدرس وطرقه، وتقييد ملحوظ في آرائهم وانطباعاتهم السابقة عن الأصوات.

٣- تأييد بعض الحقائق التي توصلوا إليها بالطرق التقليدية، وتأكيد الآراء المتعلقة بهذه الحقائق<sup>(١)</sup>.

وهذه الثورة جاءت نتيجة تطبيق الوسائل الفنية، والمبادئ العلمية المتبعة في علم الفيزياء على الصوت الإنساني<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: علم اللغة العام (ص ٢١).

(٢) استغل هذا التطبيق وما يزال بحماس واهتمام بالغين إلى الحد الذي جعل هذا العلم يقدم أعظم الخدمات في ميادين أخرى ذات أهمية بالغة في حياة الإنسان والبشرية عامة، من هذه الخدمات الجلية: أ- هندسة الصوت وما يتصل بها من الوقوف على طبائع الصوت الإنساني في صورته الثانوية المثبوتة في الهواء بطريق المذياع أو وسائل الاتصال السلكية واللاسلكية المختلفة.

ب- التحليل الفيزيائي للأصوات يقف خلف الطرائق المختلفة بعلاج أنواع معينة من الصمم وعيوب النطق. هذا ولم تقتصر أهمية هذا العلم عند هذا الحد، بل تجاوزتها إلى مجالات أخرى لا تقل أهمية عنها، منها على سبيل المثال ميدان البحث التاريخي في الأصوات، أو النظر في تغير الأصوات وتطورها، إذا كان-

ولا ننسى في غمار هذا التقدم أن نذكر أن علماء العربية لم يقصروا، بل على العكس من ذلك - فكمما ذكرنا سابقاً - أفاضوا في دراسة هذه المادة اللغوية الصوتية، ونتيجة لذلك عرفوا لكل حرف صوته صفة ومخرجاً، مثلما عرفوا له إيجاءه دلالة ومعنى.

وكانت الدراسة الصوتية عند العرب أجود العمل اللغوي من حيث منهج التفكير وطرق الدراسة، فلقد كان أسلوبهم في هذا المجال أسلوباً صحيحاً يتمشى مع طبيعة المادة، فلقد اتبعوا الملاحظة الذاتية، وابتعدوا عن التأويلات والافتراضات التي ملأت النحو والصرف وغيرهما، ونعني بالملاحظة الذاتية التي انتهجوها في الدراسة الصوتية استخلاص الحقائق وتصنيفها، ووضع القواعد الخاصة بها عن طريق التجربة الشخصية، أو الانطباع الذهني الناتج عن هذه التجربة، ففي هذه الحالة التي معنا، وهي حالة الأصوات، تكون الملاحظة الذاتية بتذوق الأصوات، ومحاولة نطقها فعلياً وواقعياً.

وهذا المنهج في دراسة الأصوات منهج سليم وصحيح، ولم تزل الدراسة الصوتية الحديثة، مع ما جدّد من معامل وآلات للأصوات تعدّ الملاحظة الذاتية بطريق النطق الفعلي، والاستماع إلى هذا النطق الأداة الأساسية في البحث الصوتي على كل مراحلها وجميع مستوياته.

ولقد كان معظم ما قام به علماء العربية من ذلك النوع الذي يدخل في

---

=البحث في هذا الميدان يعتمد على فنولوجية؛ لأن اللغات القديمة لا يوجد فيها عنصر النطق وليس في الإمكان إعادة الحياة لأناس سبقونا منذ آلاف السنين ونستطعهم كيف نطقوا، من هنا لجأ العلماء والباحثون إلى القوانين الصوتية للغة معينة، والتي تستمد من مصادر عديدة، كتاريخ اللغة المدرسة، واللغات الوثيقة الصلة بها، من حيث القرابة في الحلقة أو التكوين، أو في البيئة الجغرافية، والاختلاط الثقافي، ونظام الكتابة، ومنها افتراض نوع من التطبيق؛ بالإضافة إلى عوامل أخرى، والآن وبعد أن أمكن الاستفادة من التحليل الفيزيائي للأصوات في تفسير بعض أنواع التطور التي تلحقها، فالأمر أصبح مخالفاً لما كان عليه في الماضي، وذلك يرجع لهذا العلم.

إطار الفنولوجيا أو علم وظائف الأصوات، ولقد جاء هذا العمل مركزاً على الوحدات الصوتية المادية، وليس معنى هذا أنهم أهملوا المادة الحقيقية للأصوات، إذ من الطبيعي أنه يستحيل الوصول إلى الدرجة الثانية هذه وهي مرحلة الفنولوجيا دون تلك الخطوة الأولى، وهي النظر في المادة.

وخير دليل تقدمه للتدليل على هذا هو نظام الكتابة العربية، وطريقة التشكيل فيها، والذي يبين لنا مقدار ما وصلوا إليه من تفوق في هذا المضمار، وحسبنا ما نبهه في الكتب اللغوية، وكتب التجويد والقراءات من الدراسة الصوتية التي تدل على براعتهم، وتفوقهم في هذا النوع من الدراسة، وشهد لهم بذلك علماء الغرب أنفسهم، فلقد هالهم، ونال إعجابهم براعة العرب، وتفوقهم في هذا المجال. يقول فيرث: "لقد نشأت الدراسات الصوتية، وتمت في أحضان لغتين مقدستين: العربية، والسنسكريتية".

ويقول برجشتراسر: "لم يسبق الأوروبيين في هذا العلم إلا قومان: العرب، والهنود".

### مناهج البحث في الأصوات:

يراد بالمناهج الطرق التي يسلكها لعلماء في تناولهم الأصوات اللغوية، للكشف عن الحقائق الصوتية وتقريرها وتجديد مخارج الأصوات وصفاتها، وهيئة أعضاء النطق عند النطق بالحرف، وتأثر الأصوات ويختلف منهج البحث في القديم عنه في الحديث.

### ١- فالمنهج القديم هو منهج الملاحظة الذاتية:

وهو كما أشرنا إليه آنفاً يتلخص في استخلاص الحقائق وتصنيفها، ووضع القواعد الخاصة بما عن طريق التجربة الشخصية، والانطباع الذهني الناتج عن هذه التجربة ففي هذه الحالة التي معنا، وهي حالة الأصوات تكون الملاحظ الذاتية بتذوق الأصوات، ومحاولة نطقها فعلياً وواقعياً، ولكي تكون الملاحظ

سليمة النتائج، تكون كثيرة التنوع بالغة الدقة ما أمكن ذلك، وهذا المنهج ليس خاصاً بالأصوات، بل يُستخدم في جميع فروع اللغة، ويستخدم هذا المنهج في عدد كبير من العلوم الأخرى، وخاصة العلوم الطبيعية.

وهذا المنهج - كما قلنا - سليم وصحيح، ولم يزل يستخدم في الدراسة الصوتية مع ما جدَّ من آلات ويؤخذ على هذا المنهج أن آلة الملاحظة الوحيدة هي الأذن، وهي لا تملك من الدقة ما تملكه الأجهزة الدقيقة الحساسة في هذا المجال، ومن السهل خداع الأذن كما أنها (أي الأذن) تتأثر بالحالة النفسية للملاحظة، ويكثر أن تخدعه فتسمعه ما يريد سماعه، لا ما هو واقع وحادث بالفعل وفي واقع الأمر.

## ٢- وفي الحديث كان المنهج الآلي:

وهذا المنهج يقوم على استخدام الأجهزة الدقيقة في دراسة الأصوات، بدلاً من الاعتماد على الإحساس الشخصي والملاحظة الذاتية، والأصوات كما نعرف عنصر فيزيائي يمكن للآلة أن تتدخل فيه قياساً وتسجيلاً، والذي حمل العلماء على استخدام هذا المنهج في الصوتيات هو الدقة؛ لأن الأذن المجردة لا تستطيع التمييز بين أنواع الصوت المختلفة وخصائصه وإدراك مميزاته، وقياس شدته ومدته، والعوامل الكثيرة المحيطة بها، والتي تجعل مدركاتها عرضة للزلل.

ولا يغيب عن بالنا أن البحث في هذه الوسائل الآلية، وطرق استخدامها موضوعه: "الدراسة الصوتية التجريبية" أو الدراسة الصوتية الآلية، كما يؤثر بعض العلماء أن يسموا هذا الفرع من فروع علم الأصوات اللغوية، والباحث والدارس يستطيع الآن أن يلاحظ كل عضو من أعضاء النطق وهو يؤدي وظيفته عن طريق المجاهر أو عن طريق التصوير بأشعة إكس أو غيرها، ويستطيع أن يحدد تحديداً مضبوطاً موضع كل عضو من الأعضاء التي تشترك في إحداث صوت ما عن طريق ما يسمى بالحنك الصناعي، وعن التصوير بأشعة إكس، كما

يستطيع الباحث أن يسجل الصوت تسجيلاً آلياً، وأن يفسر هذا التسجيل من الناحية الصوتية تفسيراً دقيقاً<sup>(١)</sup>.

وتنقسم الآلات التي تستخدم في هذا المنهج إلى نوعين:

أ- النوع الأول هدفه أن يبين لنا الأعضاء التي تدخل في إحداث صوت لغوي ما: كما يبين لنا هيئة الأعضاء التي تدخل في عملية التصويت في أثناء النطق، كما يبين لنا كذلك مخرج الصوت الملفوظ.

ب- النوع الثاني هدفه أن يبين لنا صفات الصوت من حيث الشدة والحدة، والمدة... إلخ.<sup>(٢)</sup>

فمن النوع الأول:

### ١- الحنك الصناعي:

وهو آلة شديدة البساطة، يستطيع أي طبيب أسنان أن يصنعها من مادة بلاستيك، وبعد صبها في الشكل المناسب كحنك الإنسان الأعلى تخطط خطوطاً طولية وأخرى عرضية، وحين استخدامها ينثر فوقها، الدقيق المطحون الناعم، ثم تجعل في فم الإنسان ملتصقة بحنكه الأعلى؛ فإذا لفظ الإنسان صوتاً ما كالجيم—مثلاً—التصق لسانه في نقطة معينة بهذا الحنك الصناعي، فأزال من هذه النقطة ما كان قد علق بها من الحنك المنثور، فإذا أخرجنا الحنك من فم الإنسان، ونظرنا إلى الأثر الذي تركه اللسان فيه في أثناء النطق بالجيم عرفنا بدقة بالغة مخرج هذا الحرف.

ومن للملاحظ أن الأحنك الصناعية هذه لا يتأتى استخدامها عند النطق ببعض الأصوات؛ إذ هناك أصوات في الحنجرة—كهمزة القطع—وهناك أصوات حلقية—كالعين والحاء، والماء والحاء— هذه الأصوات لا يكون للسان عند نطقها أثر يذكر.

(١) انظر: علم اللغة العام (ص ٢١) وما بعدها.

(٢) انظر: علم اللغة د. محمود السمران (ص ١٠٩-١١٠).

فهذه الأحناء الصناعية، وإن كانت وسيلة صالحة ومهمة إلا أن استخدامها مقصور على بعض الأصوات دون بعضها الآخر، إذن لابد من وسيلة أخرى تعاونها.

ومن هنا لجأ علماء الأصوات إلى وسيلة أخرى، وهي الاستعانة بأشعة إكس.

## ٢- التصوير بأشعة إكس:

بالاستعانة بهذه الأشعة أمكن رؤية شكل الفراغ الحلقي عند نطق أصوات الحلق المختلفة، كما أن التصوير بأشعة إكس يستعان به لتصوير موطن اللسان عند نطق أصوات اللين خاصة ويمكن ذلك بوضع شريط معدني رقيق على ظاهر اللسان، ومع ذلك لا يميل العلماء إلى تصديق دلالتها إلا إذا أيدتها وسائل أخرى.

أما النوع الثاني فآلاته على كثرتها تتألف جميعاً من ثلاثة أجزاء أساسية، هي:  
أ- بوق يتلقى الهواء الخارج من فم المتكلم، ويوصله على طبلة تتأثر بضغط الهواء وذبذبه.  
ب- ثم قلم متصل بهذه الطبلة يتحرك بحركتها.

ج- ثم أسطوانة مغلقة بورق تدور أثناء العمل ليرسم عليها القلم الذبذبات المنتقلة من الطبلة إليه.

ويؤخذ على هذا المنهج الآلي أنه رغم دقة النتائج التي أمكن للعلماء التوصل إليها عن طريقه، إلا أنه عاجز عن فحص الظواهر الصوتية في حالتها الطبيعية؛ فالناس لا يتكلمون وفي أفواههم أحناء صناعية، ولا يتفاهمون وهم يضعون في أفواههم أبواق أو تحت آلات تصوير، وهذا الوضع غير الطبيعي في هذا المنهج حمل كثيراً من العلماء على الشك في قيم النتائج التي وصلنا إليها.

## الفصل الثاني: ظاهرة الصوت

الصوت ظاهرة طبيعية يدرك أثرها قبل إدراك كنهها، وينشأ الصوت نتيجة اهتزاز مصدره، سواء أكان ذلك المصدر صلباً أم غازياً أم سائلاً.

وأثبت علماء الأصوات أن الهزات التي هي مصدر الصوت تنتقل في وسط غازي أو سائل أو صلب حتى تصل إلى أذن الإنسان.

والوسط الذي تنتقل خلاله في الغالب هو الهواء، فمن خلاله تنتقل الهزات من مصدر الصوت على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن، وسرعة الصوت كما قدرها العلماء ٣٣٢ مترًا في الثانية تقريبًا.

ومن الملاحظ ومن الممكن إدراكه بالأذن المجردة؛ لأن الأصوات اللغوية لا تنطق كلها على درجة واحدة من الشدة والقوة، فبعضها أشد من بعض، فالصوت الساكن أشد من الصوت المتحرك، والمضعف أشد من المخفف.

هذا وتتوقف شدة الصوت وارتفاعه على:

أ- قرب الأذن من مصدر الصوت، فكلما كانت الأذن قريبة من مصدر الصوت كان شديدًا ومرتفعًا.

ب- سعة الاهتزاز، ونعني بسعة الاهتزاز المسافة المحصورة بين الوضع الأصلي للجسم المهتز، وهو في حالة السكون، وأقصى نقطة يصل إليها الجسم في هذه الاهتزازة.

فعلى قدر سعة الاهتزازة يكون علو الصوت ووضوحه، ويساعد على علو الصوت اتصال مصدره بأجسام رناته، فهذه الأجسام الرنانة المتصلة بمصدر الصوت تساعد على شدة الصوت ووضوحه.

ج- وتتوقف شدة الصوت على كمية الهواء المندفع من الرئتين في أثناء النطق به، وهناك أمور يجدر بنا أن نعرفها، وهي:

١- درجة الصوت تتوقف على عدد الاهتزازات في الثانية الواحدة فكلما زادت الاهتزازات على قدر خاص ازداد الصوت حدة، وبذلك تختلف درجة الصوت.

٢- عدد الاهتزازات في الثانية الواحدة يسمّى في الاصطلاح الصوتي التردد.

٣- الصوت العميق، والصوت الحاد:

الصوت العميق عدد اهتزازاته في الثانية أقل من الصوت الحاد، ومن السهل التفرقة بين شدة الصوت ودرجته، فشدة الصوت ارتفاعه، ودرجة الصوت هي عدد الاهتزازات في الثانية.

٤- نوع الصوت، هو تلك الصفة الخاصة التي تميز الأصوات بعضها من بعض، حتى وإن اختلفت في الدرجة والشدة، فمن السهل أن تميز بين صوت إنسان وآخر، وصوت الرجل من صوت المرأة.

الصوت الإنساني:

الصوت الإنساني كأى صوت آخر ينشأ من ذبذبات، ولكن هذه الذبذبات في الغالب مصدرها حنجرة الإنسان عند مرور الهواء المندفِع من الرتتين، والذي يؤثر في الوترين الصوتيين الموجودين في الحنجرة أو عند مرور الهواء في الحنجرة تحدث اهتزازات، ثم يمرُّ الهواء في الفم، ثم ينتقل في الهواء على شكل موجات حتى تصل إلى أذن السامع.

وبعبارة أوضح أن الهواء حين يندفع من الرتتين، ويدخل الحنجرة، يجد نفسه أمام إحدى حالتين: فإما أن يجد الوترين الصوتيين مشدودين، وفتحة المزمار شديدة الضيق، أي منقبضة، وإما أن يجد الوترين غير مشدودين، وفتحة المزمار غير منقبضة، أي: منفتحة.

ففي الحالة الأولى يؤثر الهواء في الوترين فيهتزان اهتزازات مناسبة، يكثر أو يقل عددها في الثانية بحسب شدة توتُّرهما أو ضعفه، وينتج عن هذه الاهتزازات

صوت تقوم الحنجرة والفراغات الرنانة الأخرى بتقويته وتقويمه، وفي الحالة الثانية يمر الهواء من فتحة المزمار دون أن يؤثر في الوترين بالامتزاز.

وفي الحالتين يخرج الهواء من الحنجرة ماراً في الحلق أقصاه، ووسطه، وأدناه ثم في الفم، وفي خلال مروره في الحلق وفي الفم يجد نفسه مرة أخرى أمام الحالتين، فإما أن يجد طريقه مفتوحاً ولا يعترضه عائق من الحنجرة حتى خارج الشفتين، وإما أن يجد هذا الطريق قد انسد في نقطة ما انسداداً تاماً أو جزئياً.

ففي الحالة الأولى يمر حتى يخرج من الشفتين من غير أن يحدث صوتاً، وفي الحالة الثانية يمتك بأعضاء النطق عند نقطة الانسداد فتحدث صوتاً مرة أخرى. وبالتأمل في عمليات النطق السابقة، نجد أن كل صوت لا يخرج عن أن يكون أحد أمور ثلاثة:

أ- إما أن يعتمد في التصويت على الوزن فقط.

ب- وإما أن يعتمد في التصويت على نقطة الانسداد الكلي أو الجزئي فقط.

ج- وإما أن يعتمد على الأمرين معاً.

وسوف نوضح ذلك في أثناء كلامنا على الأصوات في موضعه - بإذن الله تعالى.

والصوت اللغوي معقد؛ إذ يتركب من أنواع مختلفة الشدة والدرجة من إنسان

لآخر، حتى إن الإنسان نفسه تتغير درجات صوته عند كل مقطع وكل كلمة.

كما أن لكل إنسان صفة صوتية تميز صوته من غيره، حتى إن الأخ وأخاه،

يوجد بينهما اختلاف في الصفة التي تميز بينهما.

فالصفة الصوتية للإنسان كالبصمة التي تميزه من غيره من بني الإنسان،

وتلك معجزة من معجزات الخالق جلت قدرته ومصدر الصوت الإنساني في

معظم الأحيان هو الحنجرة أو بعبارة أدق الوتران الصوتيان فيها، فاهتزازهما

ينطلق ماراً بالحلق ثم بالفم، ثم ينتقل خلال الهواء على شكل موجات حتى يصل

إلى أذن السامع.

والوتران الصوتيان في الأطفال والنساء أقصر وأقل ضخامة عنهما في الرجال، وهذا يؤدي إلى زيادة سرعتهما، وزيادة عدد الذبذبات عندهما، ومن هنا كانت أصوات الأطفال والنساء أهدأ، أي: مرتفعة الدرجة عنها في الرجال؛ لأن الوترين الصوتيين عند الرجال أطول وأضخم، فسرعة الوترين أقل، ومن هنا كان صوت الرجال أعمق، وأقل درجة من النساء والأطفال.

العوامل التي تؤثر في درجة الصوت الإنساني:

١- القدرة على تنظيم الهواء المندفع من الرئتين.

٢- مرونة عضلات الحنجرة، فكلما كانت عضلاتها أكثر مرونة، كانت ذبذباتها أكثر.

٣- اختلاف طول الرئتين الصوتيين يؤثران تأثيرات عكسية، فالطويلان تقلُّ ذبذباتهما عن القصيرين.

٤- اختلاف نسبة شد الوترين، فالصوت الناتج من ذبذبة وترين مشدودين شدياً محكماً يكون صوتاً حاداً، في حين أن غلظ الوترين في الرجال يقلل من نسبة هذا، مما يجعل درجة الصوت عند الرجال عميقة؛ لأن عدد الذبذبات أقل.

هذا وتتوقف شدة الصوت الإنساني إلى حد كبير على سعة الرئتين، ونسبة ضغط الهواء المندفع منهما.

وتتوقف أيضاً على تلك الفراغات الضخمة للصوت التي يمر خلالها الهواء بعد الحنجرة فالحلق والقم والأنف، كل هذه تستغل في تضخيم الصوت، ومنها يكتسب السمة والصفة التي تميزه من غيره من الأصوات الأخرى؛ لأن فراغ الحلق والقم والأنف بمنزلة الصناديق المحوفة التي تقوي الأوتار المشدودة عليها؛ لأن أصوات الحنجرة وحدها ضعيفة، ولكنها عند المرور في الفراغات الرتانة تقوى وتكتسب السمة والصفة المميزة لها؛ لأنها تختلف من شخص لآخر.

من هنا نستطيع التمييز بين أصوات الإخوة والأصدقاء، والأهل والعشيرة بمجرد سماع أصواتهم، ولو من خلف جدر، نتيجة الصعات الصوتية المختلفة، نتيجة اختلاف هذه الفراغات الرنانة.

لذا نرى أنه من الواجب علينا أن نلقي بعض الضوء على أعضاء النطق لدى الإنسان، حتى يستطيع القارئ أن يقف على دور كل عضو من الأعضاء التي تقوم بعملية الأصوات اللغوية، والتي يمتاز بها الإنسان دون المخلوقات وعن طريقها تحققت ناطقية الإنسان، وكرّمه الله تعالى على سائر الخلق فتبارك الله أحسن الخالقين.

الجهاز النطقي عند الإنسان:

يشمل الجهاز النطقي عند الإنسان الأعضاء التي لها أثر مباشر في عملية إصدار الأصوات اللغوية، ومما هو معروف أن الصوت اللغوي عند الإنسان يتكون عند مرور الهواء المندفع من الرئتين في أثناء عملية الزفير ماراً بالقصبة الهوائية، فالحنجرة فالحنق، فالحنق الأقصى، فالأوسط فالأدنى، ثم بالشفيتين.

ولما كان لكل عضو من هذه الأعضاء أثر واضح في الأصوات اللغوية، وطريقة تكوينها، سميت بأعضاء النطق، وهذه التسمية في نظر علم الأصوات اللغوية.<sup>(١)</sup>

ولا يغيب عن بالنا أن هذه الأعضاء لها وظائف أساسية أخرى عليها تتوقف حياة الإنسان السوية، وأما وظيفتها في إحداث الأصوات فهي وظيفة ثانوية تؤديها بعد القيام بواجبها الأصلي.

وسوف نلقي الضوء على هذه الأعضاء فيما يلي:

## ١ - الرئتان:

والرئتان هما الأساس في عملية النطق عند الإنسان، فلولا الهواء المندفع منهما إلى القصبة الهوائية في حالة الزفير ما كانت هناك أصوات لغوية على الإطلاق؛ ب

(١) علم اللغة د. محمود السمران (ص ١٤٠).

ولا كانت هناك حياة للإنسان، فالرئتان لا تقل في الأهمية عن أهمية أي عضو آخر من أعضاء النطق، وهي امتداد من أسفل لفراغ القصبة الهوائية الرئتان.

#### ٢- القصبة الهوائية:

يمر الهواء المندفع من الرئتين بالقصبة الهوائية، وتتكون من حلقات غير كاملة الاستدارة من الجانب الخلفي المجاور للمريء، وتعتبر غرفة رنين ذي أثر بين في درجات الصوت، خاصة إذا كان عميقاً.

#### ٣- الحنجرة:

مرتفع أعلى القصبة الهوائية، وهي عبارة عن غرفة تتكون من عدد من الغضاريف التي ترتبط ببعضها بواسطة أربطة وأغشية وعضلات، وتغطي من الداخل بغشاء مخاطي، ومجموع الغضاريف التي تتكون منها الحنجرة تسعة غضاريف، منها ثلاثة غضاريف فردية، وثلاثة غضاريف زوجية.

وقد اعتبرها القدماء والمحدثون على حد سواء الإدارة الأساسية للصوت عند الإنسان؛ لأن بها الوترين الصوتيين اللذين يهتزتان مع معظم الأصوات هزات منتظمة.

#### ٤- الوتران الصوتيان:

الوتران الصوتيان هما وتران حادان، يمتدان من الغشاء المخاطي الذي يبطن الحنجرة من الداخل، يمتدان أفقياً كل واحد منهما على جانب، ثم يلتقيان بالغشاء الداخلي بالبروز الحنجري من الأمام، وهو ما يسمى بتفاحة آدم والفراغ الموجود بين الوترين الصوتيين يسمى بالمزمار، وفتحة المزمار تنقبض وتنبسط بنسب مختلفة مع الأصوات، ويترتب على هذا الاختلاف نسبة شد الوترين واستعدادهما للاهتزاز، ولا يخفى علينا أنه كلما زاد توترهما زادت نسبة اهتزازهما في الثانية، ومن هنا تختلف -نتيجة لذلك- درجة الصوت.

والوتران الصوتيان لهما القدرة على اتخاذ أوضاع متعددة تؤثر في الأصوات

اللغوية، وهذه الأوضاع هي:

- أ- الوضع الخاص بالتنفس. ب- الوضع حالة تكوين نغمة صوتية.  
ج- الوضع حالة الوشوشة. د- الوضع حال تكوين "همزة القطع".

وإليك كلمة موجزة عن هذه الحالات:

أ- في هذه الحالة ينفجر الوتران الصوتيان بحيث يمر خلالهما دون أي اعتراض، بحيث لا يؤثر فيها بالاهتزاز، وتسمى الأصوات التي تنطلق في هذه الحالة بالأصوات المهموسة، وسوف نعرض ذلك بالتفصيل - إن شاء الله تعالى.

ب- في هذه الحالة يقرب الوتران الصوتيان بحيث يؤثر فيهما الهواء المندفِع من الرئتين بالاهتزاز، فيحدث - نتيجة لذلك - ذبذبات؛ هذه الذبذبات تُحدث نغمة صوتية، هذه النغمة الصوتية هي التي يطلق عليها في اصطلاح العلماء "الجهر"، كما تسمى الأصوات التي تحدث في هذه الحالة بالأصوات المجهورة.

ج- أما وضع الوترين في حالة الوشوشة فهو لا يعنينا في دراسة الأصوات اللغوية.

د- وضع الوترين الصوتيين عند تكوين همزة القطع: في هذه الحالة ينطبق الوتران انطباقاً تاماً، بحيث لا يسمحان للهواء بالمرور إلى الفراغ الحلقي لحظة انطباقهما، وهذا هو حال وصفهما حالة "قطع النفس" بعد انفراج الوترين يسمع صوت انفجاري نتيجة لانفجار الهواء واندفاعه بعد أن كان محبوساً ومحجوزاً خلفهما، وهذا الصوت هو ما يسمى بـ "همزة القطع" فمخرجها من فتحة المزمار نفسها وليس من الحلق.<sup>(١)</sup>

##### ٥- لسان المزمار:

لسان المزمار عبارة عن غطاء (تشبه ورقة الشجرة) للمزمار، وظيفته الأصلية أن يكون بمنزلة حاجز يحمي طريق التنفس عند بلع الطعام أو الشراب.

(١) انظر علم اللغة د. محمود السمران (ص ١٤٥-١٤٧)، وعلم اللغة (الأصوات) د/ كمال بشر (ص ٨٥-٨٦)

وهو يجذب إلى الخلف عند تضخيم الصوت، وإلى الأمام عند ترقيقه.

#### ٦- الحلق:

وهو عبارة عن تجويف على شكل القناة، ويقع بين الحنجرة والفم، والحلق من مخرج للأصوات الحلقية، يستغل بصفة عامة كفراغ رنان يضخم الأصوات بعد صدورها من الحنجرة ومرورها به، وينقسم بحسب مخارج الحروف إلى: أقصى وهو ما يلي الحنجرة مباشرة، ووسط، ثم أدنى وهو ما يلي الفم.<sup>(١)</sup>

#### ٧- اللهاة:

اللهاة نهاية الحنك اللين، لها دخل في نطق القاف الفصيحة.

#### ٨- الحنك الأعلى:

وقد يطلق عليه سقف الفم أو سقف الحنك، وهو العضو الذي يتصل به اللسان في أوضاعه المختلفة ومع كل وضع من أوضاع اللسان بالنسبة للحنك يتكون عدد كبير من الحروف.

وينقسم الحنك عادة إلى:

أقصى الحنك، أو الجزء اللين منه، وهو اللهاة، وقد عرفتها آنفاً.

وسط الحنك أو الحنك الصلب أو ما يسمى بالغار.

ج- مقدم الحنك أو اللثة، ويشمل أيضاً أصول الثنايا العليا.

#### ٩- الفراغ الأنفي:

وهذا الفراغ يندفع منه الهواء الخارج من الرئتين مع بعض الأصوات،

وبجانب ذلك يستغل كفراغ رنان يضخم الأصوات.

(١) ويلاحظ أن كلمة الحلق عند القناني غيرها عند المحدثين، فهي تشمل عند أولئك موضع الوترين الصوتيين من الحنجرة أيضاً، ولا تقتصر على الفراغ الذي بين الحنجرة والفم. انظر اللسان (١٩٥/٥)، (٣٤٣/١١)، (٣٣٧/١٥) وعلى هذا ينبغي أن نفهم من كلمة الحلق عند القناني المنطقة المشتملة على أقصى الحنك والحنجرة والفراغ الذي بينهما. هذا الفراغ هو الذي اصطلح على تسميته عند المحدثين بالحلق، ومن هنا كان الاختلاف بين المحدثين والقديم في مخرج الهمزة، والتي عدّها القديم من الحلق، وعدّها المحدثون صوتاً يخرج من فتحة اللزمار في الحنجرة، والتي لا تدخل في الحلق في اصطلاحهم.

١٠ - اللسان:

اللسان عضو من أعضاء النطق، وله دخل كبير في نطق الأصوات، ويمتاز بالمرونة الشديدة، حتى إن كل جزء فيه يمكن أن يرتفع وينخفض، وينتقل من وضع لآخر فيكيف الصوت اللغوي حسب أوضاعه المختلفة، ولا غرابة أن نجد القدماء ينسبون النطق إلى هذا العضو المهم، ومن هنا كان إطلاق لفظ لسان على ما هو معروف باللغة، فيقال: هنا يتكلم بلسان عربي، وهذا يتكلم بلسان أعجمي.

وقد قسمه علماء الأصوات إلى ثلاثة أقسام، هي:  
أقصى اللسان أو مؤخره، وهو ما يقابل أقصى الحنك أو الحنك اللين.  
وسط اللسان، وهو ما يقابل الصلب، وهو وسط الحنك في الأحوال العادية.  
ج - طرف اللسان، وهو ما يقابل اللثة، وقد يقال أول اللسان أيضاً أما ذلك اللسان أو نهايته فتدخل في طرف اللسان.

١١ - الأسنان:

من أعضاء النطق الثابتة الأسنان، وهي نوعان: أسنان عليا وأسنان سفلى، والأسنان عليها يعتمد اللسان في إحداث أصوات كثيرة.

١٢ - الشفتان:

الشفتان من أعضاء النطق المهمة، ولهما وظيفة ملحوظة مع بعض الأصوات: والشفتان تأخذ أوضاعاً متباينة حال النطق، ويترتب على ذلك اختلاف نوع الصوت وصفته، فهما تنفرجان وقد تستديران أو تنطبقان، فتفرجان عند انطق بالكسرة وتستديران عند النطق بالضممة وهما في حالة انطباق تام عند النطق بالياء... هذا على سبيل المثال، وسوف يتضح لنا ذلك فيما بعد بمشيئة الله تعالى.

هذه هي أعضاء النطق لدى الإنسان، وليست هذه الأعضاء جميعها متحركة، أي: قابلة لأن تتحرك، بل معظمها ثابت، والقليل منها هو القابل للحركة كاللسان والشفتين والوترين الصوتيين.

## خلاصة الوحدة الأولى

لقد تأكد للباحثين والدارسين في المجال اللغوي وبخاصة الصوتي منه أن الدراسة الصوتية شهدت تقدماً غير مسبوق يواكب النهضة العلمية في مختلف المجالات. وتعد الدراسة الصوتية فرعاً من فروع "فقه اللغة" وغُصْنَا من دوحته الباسقة وقد عُرفت هذه الدراسة لدى علماء اللغة المحدثين باسم "علم الأصوات"، ولدى علمائنا الأقدمين بـ "بعلم التجويد القرآني".

وعلم الأصوات يدرس اللغة من جهات مختلفة، يدرسها من ناحية نطقها بغية الوقوف على سماتها الصوتية، ولهذا الدراسة على هذا النحو صور مختلفات فمنها "علم الأصوات الوصفي" وهو علم مُعنى بدراسة أصوات لغة ما من اللغات للوقوف على مخارج أصواتها وصفاتها، والكيفية التي تتم بها عميلة التصويت والنطق، وأثر أصواتها بعضها في بعض، وبيان ما يطرأ عليها من تبدلات، مع دراسة لأعضاء الجهاز الصوتي للإنسان.

ومنها "علم الأصوات التاريخي".

ومنها "علم الأصوات المقارن".

ومنها "علم الأصوات العام".

وترتبط هذه الدراسات ببعضها ارتباطاً وثيقاً؛ حيث لا يستغني علم الأصوات التاريخي والمقارن والعام عن علم الأصوات الوصفي؛ حيث يعد الأداة الأولى لكل منها.

ودراسة الفوناتييك والفتنولوجيا دراسات متداخلة بعضها في بعض تداخلاً شديداً، يصعب معه الفصل بينها أو التمييز بين بعضها.

وتؤكد الدراسة الصوتية لأصوات اللغة أنها الوسيلة المثلى للسيطرة على اللغة مثلها في ذلك مثل الدراسة النحوية والصرفية والأخطاء الصوتية كالأخطاء

في مقاييس النحو والصرف.

وتتجلى دراسة الأصوات وأهميتها في مجالات البنية، وكل دراسة للبنية، مغفلة دراستها لأصواتها هي دراسة غير صحيحة، كما تتجلى أهمية الدراسة الصوتية في الدراسات التركيبية (النحوية).

وتعد الدراسة الصوتية أحسن ما عرض له القدامى بالمعالجة، وتمثلت هذه الدراسة في جهود الخليل بن أحمد.

وقد توصل الخليل إلى القول بأن الحركات أبعاض حروف المد، كما اخترع - رحمه الله تعالى - علامات الضبط المستعملة إلى يومنا هذا.

ولقد كان من أهم ما خالف فيه التلميذ (سيبويه) شيخه الخليل موقفه من الهمزة، حيث عدّها أول الأصوات العربية، وأبعدها محرّجاً.

ويعدُّ تطوير سيبويه لفكر أستاذه الخليل هو الأساس الأول لعلماء العربية في مجال الأصوات وفي جميع المجالات.

وجاء الإمام ابن جني على قدر فتسلم الراية، وكان بتسلمها جديراً ولها أهلاً، ففاق الخليل وسيبويه، وبزّهما بما قدم من تفرّيعات وتفصيلات وتحليلات شهد بدقتها وعمقها علماً اللغة المحدثون.

ولقد كان لدراسات الخليل الصوتية وتلميذه سيبويه وابن جني من بعدهما أثرهما البين في فروع الثقافة العربية، ورأى ذلك الباحثون والدارسون في المعاجم اللغوية على مختلف مدارسهم.

كما كان لعلماء البلاغة دراسات صوتية دارت جملتها حول فصاحة اللفظ المفرد، وجميع ما قالوه مردّه إلى الخليل وسيبويه وابن جني.

ويقرر واقع الدراسات الصوتية أن ما وصل إليه القدامى لا يبلغ من الدق والإتقان ما بلغه اللغويون المحدثون.

وسجلت دراسات اليونان الصوتية والرومان والهنود ملاحظات صوتية كثيرة مهمة

ولاحظ العلماء أن الرومانيين قد حاكوا في دراساتهم الصوتية شيوخهم اليونانيين الذين تأثروا بهم في كثير من قضايا الفكر والثقافة، ويتجلى للناظر في الآراء الصوتية لكل من قدامى اليونان والرومان أنها في جملتها قائمة على الآثار السمعية التي تركها الأصوات في الأذن.

ويؤكد هذا الملمح خلوّ تقسيم اليونان والرومان لأصوات لغتهم من التقسيمين الرئيسيين وهما: الأصوات المهموسة، والأصوات المجهورة، وقد فطن لهذا التقسيم المنود والعرب.

وقد نمّضت الدراسات اللغوية في أوروبا في القرنين: السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، حيث تأثر اللغويون بالتقدم الذي شهده علم الطبيعة وعلم وظائف الأعضاء، وكثرة اتصالحهم بلغات مختلفة وعنايتهم الشديدة بوصفها، والمقارنة بين أنظمتها اللغوية، وقد مكن هذا كله اللغويين من وصف الأصوات اللغوية أو بعضها وتحليلها، مستعينين بوسائل آلية داخل المعامل الصوتية التي أنشئت خصيصاً لذلك.

كما استعان اللغويون بعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء الفسيولوجي، وكان لهذا أثره في الكشف عن عملية النطق، وحقيقة ما يجري عند إصدار الأصوات الإنسانية.

وسار غيرهم على منحاهم ومنهجهم، حتى ظهر علم الأصوات الكوستيكي (الفيزيائي) لأسباب كثيرة، منها تقدم العلوم الطبيعية بفروعها المختلفة، وتنحصر وظيفة هذا العلم (علم الأصوات الأكوستيكي) أو الفيزيائي بين فم المتحدث وأذن المستمع. وقد أحدث هذا العلم الجليل القدر ثورة هائلة في الدراسات الصوتية، تمثلت في تقديمه لها وسائل جديدة لدراسة الأصوات وتحليلها ووصفها وصفاً دقيقاً.

كما أحدث تعديلاً في مناهج الدرس وطرقه، وأيد العديد من الحقائق التي توصلوا إليها من قبل بالطرق التقليدية.

وتمثل الدراسات الصوتية لدى العرب أجود صور الدراسات اللغوية عندهم منهجاً وطرق دراسة، فقد اتبعوا منهج الملاحظة الذاتية، وابتعدوا عن التأويلات والافتراضات التي حفلت بها الدراسات النحوية والصرفية، وسواهما من صور الدراسات النحوية والصرفية، وسواهما من صور الدراسات اللغوية.

وهذه المناهج البحثية تنحصر فيما يلي:

### ١- منهج الملاحظة الذاتية:

يعدّ هذا المنهج منهجاً بحثياً قديماً، عالج القدامى من خلاله اللغة وقضاياها المختلفة، ويقوم على التجربة الشخصية، والانطباع الذهني الناتج عنها، وتحتاج سلامة نتائجها إلى كثرة تنوعها، وأن تكون بالغة الدقة ما يمكن ذلك.

وقد أخذ اللغويون المحدثون على هذا المنهج أن آلة ملاحظته الوحيدة، وهي الأذن لا تملك من الدقة ما تملكه الأجهزة الدقيقة في هذا المجال حيث يسهل خداعها؛ بالإضافة إلى هذا تأثرها بالحالة النفسية للملاحظة.

### ٢- المنهج الآلي:

هو منهج بحثي حديث، يقوم على اتخاذ الأجهزة الدقيقة في دراسة الأصوات، وذلك بدلاً من الانطباع الشخصي والملاحظة الذاتية، وهو مناسب لدراساتها حيث إن الأصوات عنصر فيزيائي تتدخل فيه الآلة قياساً وتسجيلاً.

وأخذ العلماء على هذا المنهج الآلي عجزه عن فحص الظواهر الصوتية في حالتها الطبيعية. وقد تشكك كثير من العلماء في نتائج هذا المنهج؛ نظراً لما يعتمد عليه من آلات غير طبيعية.

والصوت الإنساني مثله في نشأته كأبي صوت آخر، ومصدر ذبذباته غالباً الإنسان، والنظر في عمليات النطق وتأملها يؤكد أن كل صوت لا يخرج عن أن يكون أحد أمور ثلاثة:

١- اعتماده في التصويت على الوترين فقط.

- ٢- اعتماده على نقطة الانسداد الكلي أو الجزئي فقط.
- ٣- اعتماده على الأمرين معًا.
- ويعد الصوت اللغوي صوتًا معقدًا لتركيبه من أنواع مختلفة الشدة والدرجة من إنسان لآخر.
- ويتكون الجهاز الصوتي للإنسان من مجموعة من الأعضاء، لكل منها وظيفته الأساسية التي تتوقف عليها حياة الإنسان، بالإضافة إلى وظيفتها الثانوية التي تتمثل في عملية التصويت والنطق، وهذه الأعضاء يمكن حصرها على النحو التالي:
- ١- الرئتان، وتعدّان الأساس في عملة التصويت والنطق لدى الإنسان، ولولا الهواء المندفع منهما ما كانت هناك أصوات لغوية.
  - ٢- القصبة الهوائية: وتعد غرفة رنين ذات أثر بيّن في درجات الصوت.
  - ٣- الحنجرة: وهي لدى القدامى والمحدثين الإدارة الأساسية للصوت عند الإنسان حيث يوجد بها الوتران الصوتيان اللذان يهتران مع معظم الأصوات حركات منتظمة.
  - ٤- الوتران الصوتيان: هما وتران حادّان، يسمى الفراغ الموجود بينهما بالمزمارة، وللمزمارة فتحة تنقبض وتنبسط بنسب مختلفة مع الأصوات، ويترتب على اختلافهما نسبة شد الوترين واستعدادهما للاهتزاز وللوترين الصوتيين القدرة الفائقة على اتخاذ أوضاع متعددة تؤثر في الأصوات اللغوية.
  - ٥- لسان المزمار: ووظيفته جذب به إلى الخلف عند تفخيم الصوت وإلى الإمام عند ترقيقه.
  - ٦- الحلق: يقع بين الحنجرة والفم، وهو مخرج للأصوات الحلقية، ويستغل كفراغ رنان يضخم الأصوات بعد صدورها من الحنجرة، ومرورها به. وينقسم الحلق بحسب مخارجه إلى أقصى الحلق، وهو ما يلي الحنجرة مباشرة ووسط، ثم الأذن، وهو ما يلي الفم.
- وكلمة الحلق عند قدامى اللغويين تنتظم موضع الوترين الصوتيين من الحنجرة أيضًا، ولا تقتصر على الفراغ الذي بين الحنجرة والفم.

وكلمة الحلق لدى القدامى في ضوء هذا المنطقة المشتمة على أقصى الحنك والحنجرة، والفراغ الذي بينهما.

وهو عند المحدثين: الفراغ الذي بين أقصى الحنك والحنجرة.

٧- اللهاة: تقع في نهاية الحنك اللين، ولها دور مهم في نطق القاف الفصيحة.

٨- الحنك الأعلى: ويطلق عليه سقف الحنك أو سقف الفم، ويتصل به اللسان في أوضاعه المختلفة، ويعدُّ مسئولاً عن تكوين عدد كبير من الحروف، وينقسم عادة إلى أقصى الحنك أو الجزء اللين منه، وهو المسمى باللهاة، وسط الحنك أو الحنك الصلب، أو ما يسمى بالغار، مقدم الحنك أو اللثة، ويشمل أصول الثنايا العليا.

٩- الفراغ الأنفي: ومنه يندفع الهواء من الرئتين مع بعض الأصوات، ويستغل كفراغ رنان يضحّم الأصوات.

١٠- اللسان: وهو أحد الأعضاء المهمة، وله دور كبير في نطق الأصوات، وهو عضو يمتاز بالمرونة الشديدة، ولأهميته الشديدة نُسب النطق إليه، وقد قسمه علماء الأصوات إلى ثلاثة أقسام هي: أقصى اللسان أو مؤخرته، وهو المقابل لأقصى الحنك أو الحنك اللين، ووسط اللسان، وطرف اللسان، وهو المقابل للثة، وقد يقال أول اللسان يُضًا.

١١- الأسنان، وهي من أعضاء النطق الثابتة، وهي نوعان: عليا وسفلى، ويعتمد عليها اللسان في إحداث أصوات كثيرة.

١٢- الشفتان: ولهما مع بعض الأصوات وظيفة ملحوظة حيث تأخذان أوضاعاً

متباينة حال النطق، فتفرجان عند النطق بالكسرة، وتستديران عند النطق

بالضمة، وتنطبقان انطباقاً تاماً عند النطق بالباء.

## إختبار الوحدة الأولى

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- لم تتقدم الدراسة الصوتية في عصرنا هذا تقدماً يواكب النهضة العلمية في مختلف المجالات.
- ٢- تعرف دراسة الأصوات العربية لدى المحدثين باسم " علم التحويد" بينما كانت تعرف لدى القدامى باسم " علم الأصوات".
- ٣- يدرس علم الأصوات (الفوناتيكس) الخواص العامة للأصوات دون تعرضه لمميزاتها الخاصة التي ترتبط بمعانيها في اللغة اللفظية.
- ٤- علم الأصوات التنظيمي هو الفوناتيكس عينه.
- ٥- بين الدراسة الفنولوجية التاريخية للأصوات والدراسة الفنولوجية الوصفية للأصوات علاقة وثيقة.
- ٦- لا صلة بين الدراسة الفنولوجية المقارنة للأصوات، والدراسة الفنولوجية الوصفية للأصوات.
- ٧- السيطرة على اللغة تتم بدراسة قواعدها النحوية والصرفية.
- ٨- صحة اللغة وسلامتها مرهونة بدراسة صوتية صحيحة، وفي صحة اللغة وسلامتها سلامة للأداء القرآني الكريم.
- ٩- يستطيع الدعاة والمدرسون والقضاة والمذيعون وغيرهم القيام بدورهم في بناء الفرد والأمة على الوجه الأكمل، دون إلمامهم بصورة أو بأخرى بخصائص النطق وقواعد الأداء السليم.
- ١٠- من الخطأ الواضح معالجة القواعد النحوية بمنأى عن المباحث الصوتية والمباحث الصرفية.

- ١١- تمكن الخليل بن أحمد من تحديد مخارج الحروف عن طريق ذوقها.
- ١٢- رأى الخليل بن أحمد أن الحركات أبعاض حروف المد.
- ١٣- لم يُقِم الخليل بن أحمد كتابه العين على أساس صوتي.
- ١٤- من أهم ما خالف فيه سيبويه شيخه الخليل جعله الممزة أول الأصوات العربية، وأبعدها مخرجاً، وبرأيه هذا يوافق البحث الصوتي الحديث الذي يراها أول الأصوات مخرجاً، فهي من فتحة المزمار، والوتران الصوتيان عند النطق بما لا يوصفان بالاهتزاز ولا بعدهم.
- ١٥- قدم علم الأصوات الفيزيائي للدرس الصوتي وسائل جديدة لدراسة الأصوات وتحليلها ووصفها.
- ١٦- منهج الملاحظة الذاتية منهج خاص بالأصوات لا يتعداها إلى سواها.
- ١٧- يقوم المنهج الآلي باستخدام الأجهزة الدقيقة في دراسة الأصوات بدلاً من الاعتماد على الملاحظة الذاتية.
- ١٨- يستطيع الباحث أن يسجل الصوت تسجيلاً آلياً، وأن يفسر هذا التسجيل من الناحية الصوتية تفسيراً دقيقاً.
- ١٩- يميل علماء الأصوات إلى تصديق دلالات أشعة إكس دون قيد أو شرط.
- ٢٠- يشك قلة من العلماء في نتائج المنهج الآلي.
- ٢١- الأصوات اللغوية لا تُنطق كلها على درجة واحدة من الشدة والقوة فبعضها أشد من بعض.
- ٢٢- الصوت المخفف أشد من الصوت المضعف.
- ٢٣- على قدر سعة الاهتزازة يكون علو الصوت ووضوحه.
- ٢٤- لا تتوقف شدة الصوت على كمية الهواء المندفع من الرئتين أثناء النطق به.
- ٢٥- عدد هتزازات الصوت العميق في الثانية أكثر من الصوت الحاد.

٢٦- الصوت الإنساني كأى صوت آخر ينشأ من ذبذبات، مصدرها فى الغالب حنجرة الإنسان.

٢٧- الصوت اللغوى صوت بسيط.

٢٨- الرئتان هما الأساس فى عملية النطق لدى الإنسان.

٢٩- يرى القدماء والمحدثون الحنجرة الأداة الأساسية للصوت لدى الإنسان.

٣٠- الأصوات اللغوية التى ينفرج معها الوتران الصوتيان ليمر خلالهما الهواء دون أى اعتراض لا يؤثر فيها بالاهتزاز تسمى بالأصوات المهموسة.

٣١- تأخذ الشفتان أوضاعاً متباينة حال النطق، يترتب عليها اختلاف نوع الصوت وصفته.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- الدراسة الصوتية:

أ- لم تتقدم تقدماً يواكب النهضة العلمية.

ب- تقدمت تقدماً مذهباً.

ج- كان تقدمها دون الأمل المنشود.

٢- الفوناتيكن علم:

أ- ليس له فروع.

ب- متعدد الفروع.

ج- له فرعان فحسب.

٣- يدرس علم الفوناتيكن:

أ- الخواص العامة للأصوات.

ب- المميزات الخاصة للأصوات.

ج- الخواص والمميزات، كليهما معاً.

٤- مباحث الفوناتيكنس والفنولوجي:

- أ- سهل لفصل والتمييز بينهما؛ لعدم تداخلها.
- ب- يصعب التمييز بينها، لتداخلها بشكل تام.
- ج- يمكن التمييز بينها، لتداخلها بعض التداخل.

٥- الدراسة الفنولوجية العامة للأصوات والدراسة الفنولوجية الوصفية للأصوات:

- أ- لا ارتباط بينهما مطلقاً.
  - ب- بينهما ارتباط بشكل تام.
  - ج- بينهما بعض الارتباط.
- ٦- أقام الخليل بن أحمد كتابه العين على:

- أ- أساس صوتي محض.
- ب- بعض الأسس الصوتية.
- ج- عدم استخدام الأسس الصوتية.

٧- سر صناعة الإعراب:

- أ- كتاب لابن فارس.
- ب- كتاب للخليل بن أحمد.
- ج- كتاب لابن جني.

٨- جاء ترتيب سيبويه للأصوات:

- أ- موافقاً بشكل تام لترتيب شيخه الخليل.
- ب- موافقاً للخليل بشكل جزئي.
- ج- مخالفاً للخليل بشكل تام.

٩- يرى المحدثون أن مخرج همزة القطع:

- أ- من الحلق نفسه.

ب- من فتحة المزمار.

ج- من طرف اللسان مع الأسنان العلوية.

١٠- الصوت الرخيم الأغن يصدر من:

أ- الحلق.

ب- الشفين.

ج- أقصى الحنك.

د- الفراغ الأنفي.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

- ١- تعد دراسة الأصوات فرعاً من دراسة فقه اللغة بينه ووضحه وعلل له.
- ٢- لعلم الأصوات الوصفي علاقة وثيقة بفروع "علم الأصوات" اشرح هذه الحقيقة، ووضحها بالأمثلة.
- ٣- إذا أردنا تنشئة لغوية صحيحة لبني العروبة على مختلف شرائحهم فإن علينا أن نُنشئَ مدرسي اللغة العربية تنشئة صوتية قوية تستقيم بها ألسنتهم، ويصح بها منطقتهم. ناقش هذا القول مناقشة موضوعية تثبت بها سلامته وصحته.
- ٤- لا يستغني النحو عن الدرس الصرفي والصوتي. بين ذلك ووضحه.
- ٥- رتبت الأبيجدية العربية في مهدها ترتيباً فينيقياً. وضح ذلك وبينه.
- ٦- اذكر مجمل ما بحثه ابن جني من قضايا صوتية مردفه برأي المحدثين فيها.
- ٧- عني ابن سنان الخفاجي بالدراسة الصوتية عناية عظيمة، وضح ذلك، ثم بين أثر ابن جني في دراساته الصوتية، ثم اعرض لأوجه الاتفاق بينه وبين ابن جني مع كشفك عن دلالة ذلك.
- ٨- فيم تشبه الدراسة الصوتية لقدامى اللغويين من الهنود والعرب الدراسة الصوتية لقدامى اللغويين من اليونان والرومان؟ وبم تعلق لذلك كله؟ وما

دلالاته؟ وكيف نفيده منه في مجال البحث والدرس؟

٩- يعد علم الأصوات الأكوستيكي أو الفيزيائي حديث عهد بالوجود نسبياً.

فما المراد منه؟ وما غرضه؟ وما المرحلة التي يمثلها؟ وما عوامل ولادته؟ وما

مجالاته؟ وما وظيفته؟ وكيف نفيده منه لغتنا العظيمة؟

١٠- يقول فيرث: "لقد نشأت الدراسات الصوتية وامت في أحضان لغتين

مقدستين: العربية والسنسكريتية".

اشرح هذا القول على هدي مما درسته ثم اكشف عن دلالاته وما يمكننا أن نفيده منه.

١١- لاشك في اختلاف منهج البحث في القديم عنه في العصر الحديث، ثم تفسر

ذلك وتعلل له؟ وما دلالاته؟ وكيف نفيده لغتنا منه؟

١٢- درست كلاً من المنهج الآلي ومنهج الملاحظة الذاتية، وازن بين المنهجين

من حيث التعريف، والغرض، والمجالات، والأدوات والنتائج، وهل آتت هذه

الدراسات أكلها؟ وماذا ترى للنهوض بها؟

١٣- الصوت ظاهرة طبيعية يدرك أثرها قبل إدراك كنهها.

فما مصدره؟ وكيف ينشأ الصوت؟ وما الوسط الناقل له؟ وما طبيعته؟ وما

كيفية انتقاله من مصدره إلى الأذن؟ وكيف ندرك الصوت اللغوي؟

١٤- مما درسته درجة الصوت.

فما حقيقة هذا المصطلح؟ وعلام يتوقف؟ اشفع إجابتك بما يوضحها من أمثلة.

١٥- يقال: الصفة الصوتية للإنسان كالبصمة التي تميزه عن غيره من بني الإنسان.

فما دلالة هذا القول؟ وعم يكشف؟

١٦- صف القصبه الهوائية وحدد مكانها من الجهاز الصوتي ثم أبرز دورها في عملية

التصويت والنطق.

١٧- الخلق أحد أعضاء الجهاز الصوتي للإنسان.

فما هو موقعه؟ وما صفته؟ وما دوره في عملية التصويت والنطق؟ وما أقسامه؟ وما موقع كل منها؟

١٨- الحنك بأقسامه المختلفة مخرج لمجموعة من الأصوات اللغوية.

اشرح هذه الحقيقة، وفصل القول فيها موضحاً بالأمثلة.

ثالثاً: بم تفسر ما يأتي؟

١- انقسام علم الأصوات إلى قسمين: الفوناتيكنس، الفنولوجي.

٢- تفرع الفنولوجي إلى أفرع مختلفة.

٣- التداخل الشديد بين أفرع الفوناتيكنس، وكذلك الفنولوجي.

٤- ظهور أهمية الفوناتيكنس والفنولوجي في المباحث الصرفية والنحوية.

٥- إدراك الصوت بالأذن المجردة.

٦- شدة الصوت وارتفاعه.

٧- وصف الصوت الإنساني بأنه صوت معقد.

٨- أهمية الحنك الأعلى في عملية التصويت والنطق لدى الجهاز الصوتي للإنسان.

٩- أهمية اللسان في التصويت والنطق.

١٠- الأهمية القصوى للإنسان في التصويت والنطق.

## النشاط التعليمي للوحدة الأولى

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات هذه الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

١- قم بإعداد بحث موضوعي في موضوع: فقه اللغة والأصوات للوقوف على علاقة كل منهما بالآخر.

٢- ناقش مع زملائك في الجامعة عبر شبكات الاتصال المختلفة الفروق الدقيقة بين كل من:

أ- علم الأصوات، وعلم التجويد.

ب- الفوناتيक्स، ولفنولوجي.

٣- اكتب بحثاً عن كل من:

- علم الأصوات الوصفي.

- علم الأصوات التاريخي.

- علم الأصوات المقارن.

- علم الأصوات العام.



## الوحدة الثانية

### تصنيف الأصوات اللغوية وصفاتها

مبررات دراسة الوحدة:

عزيزي الدارس: هذه هي الوحدة الثانية، وهي من الوحدات المهمة التي لا يستغني عنها دارسو اللغة والمتخصصون فيها.

وفيها نتعرف على دور أعضاء الجهاز الصوتي، وبخاصة الوتران الصوتيان عند تكوين الصفات لكي تكون دراستنا لمخارج الأصوات وصفاتها دراسة علمية صحيحة. ونتعرف على جميع الصفات المشتركة للأصوات اللغوية وفي مقدمتها صفتا الجهر والهمس كما نتعرف على مفهوم الجهر لدى القدامى وبخاصة سيبويه، ولدى المحدثين، ومعرفة وجه الاتفاق والاختلاف بين التعريفين وما اتفق القدامى والمحدثون على جهره وهمسه وما تباينت فيه أقوالهم.

ونتعرف كذلك على صفات الشدة والرخاوة والتوسط، ومفهوم كل منها لدى المحدثين والقدامى، وما اتفق عليه كل منهما من حيث الشدة والرخاوة والتوسط وما تباينت فيه أقوالهم، وفيها نتعرف كذلك على صفتي الإطباق والانفتاح، وما يمثل كلاً منهما من أصوات العربية.

وفي هذه الوحدة نتعرف على الصفات الخاصة وما يمثل كلاً منها من أصوات العربية، ففيها نعرف من صفات الأصوات الخاصة: الصفير - والقلقلة.

- والتكرير. - والتفشي. - الاستطالة.

- والخفاء. - والانحراف. - والغنة.

وفي هذه الوحدة نتعرف على تصنيف الأصوات اللغوية إلى أصوات لين وأصوات ساكنة، كما نتعرف على اعتبار تقسيمهما، وفيها نتعرف على طبيعة كل تصنيف وخصائصه، والأصوات التي تمثل التصنيفين.

وفي هذه الوحدة نتعرف على حقيقة مخارج الحروف وأحيازها وأدراجها، فتقف على ما يخرج من أقصى الحلق وأوسطه وأدناه، كما نتعرف على أصوات أقصى اللسان، وأصوات وسطه وطره وما يتفرع إليه طرفه كأصوات الذلاقة: اللام، الراء، النون.

وفيها نتعرف على أحكام الميم الساكنة، كما نتعرف على صوت الواو من حيث مخرجه، وصفاته، وطريقة تكوينه ونطقه، في ضوء ما قاله القدامى والمحدثون. لذا أدعوك -عزيزي الدارس- لدراسة هذه الوحدة بكل الجهد والاجتهاد والله يوفقك إلى سواء السبيل.

الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذه الوحدة أن تصبح قادرا على أن:

- ١- تفهم حقيقة الصفة الصوتية.
- ٢- تعرف ماهية الجهر والمهمس.
- ٣- تفهم مراد اللغويين من الذلاقة والإصمات.
- ٤- تقف على حقيقة ما يقوى به الصوت اللغوي ويضعف وتعرف صفات القوة، وصفات الضعف.
- ٥- تفهم الاستطالة، وتعلل لها، وتكشف عن طبيعتها وخاصيتها.
- ٦- تعرف الخفاء، وتعلل له، وتكشف عن طبيعته وخاصيته وتحدد أصوات الخفاء.
- ٧- تقف على حقيقة الانحراف وتكشف عن طبيعته وخاصيته.
- ٨- تقف على نوعي أصوات اللين في العربية.
- ٩- تقف على مخرج الفتحة القصيرة المفتحة وتعرف ما تفخم به الفتحة القصيرة.
- ١٠- تحدد موقع الضمة القصيرة، وتعلل لوصفها بالقصيرة.
- ١١- تفهم حقيقة الضمة الطويلة، وتكشف عن خاصيتها وما يميزها من القصيرة.
- ١٢- تفهم سر قول الأقدمين: الحركات أبعاض حروف اللين.
- ١٣- تحدد مخرج صوت الإمانة المسماة بالكبرى والمحضة، وتكشف عن طبيعتها وتذكر خاصيتها.
- ١٤- تفهم حقيقة الأصوات الساكنة.
- ١٥- تعرف أقسام الحلق وتحدد ما يخرج من كل قسم منها.

- ١٦- تعرف حقيقة موقع الهمزة لدى المحدثين.
- ١٧- تحدد أصوات وسط اللسان، وتعرف طريقة تكوينها ونطقها.
- ١٨- تذكر معالجة القدامى والمحدثين لصوت الياء، وتوازن بينهما وتفاضل وتعلل لكل ما تذكره.
- ١٩- تعلل لاختلاف القدامى والمحدثين في تحديد مخرج الضاد.
- ٢٠- تقف على طبيعة كل صوت مخرجه من وسط اللسان.
- ٢١- تحدد المراد من طرف اللسان.
- ٢٢- تعرف أحكام النون الساكنة والتنوين في جوارتها الصوتية المختلفة.
- ٢٣- تذكر الأصوات القطعية، وتعلل لتسميتها بذلك وتحيط بجميع صفتها وما يعترها من تبديل وتغيير.
- ٢٤- تذكر الأصوات الأصلية، وتحدد مخارجها، وتعلل لوصفها بالأصلية.
- ٢٥- تعرف أحكام الميم الساكنة.
- ٢٦- تقف على مخرج صوت الواو، وطريقة تكوينه ونطقه.

الفصل الأول: صفاء الأصواء اللغوية

- صفاء الأصواء اللغوية بين الجهر والهمس، الجهر والهمس عند سببويه.
- بين الشءة والرءاوة والءوسط.
- لشفءة والرءاوة عند سببويه بين الإءباق والانءءاء.
- الإءباق والانءءءاء عند سببويه بين الاسءلاء والاسءءال.
- بين الءلاقة والإصماء.

الفصل الءابف: ءصنيف الأصواء اللغوية

- مقابس أصواء اللبب المعبارفة.
- أنواء الأصواء المعبارفة.
- أصواء اللبب فف اللغة العربفة.

الفصل الءالء: الأصواء الساكنة فف اللغة

- العربفة (أنواءها، مءارءها، طرفة نءقها).
- أصواء الءلق: - أصواء أقصى اللسان.
- أصواء وسط اللسان. - أصواء طرف اللسان.
- أءكام النون الساكنة والءنوبن فف القراءاء القرآنة.
- أءكام المبب الساكنة.

الوءءة  
الءابفة  
ءصنيف  
الأصواء  
اللغوية  
وصفاءها

## الفصل الأول: صفات الأصوات اللغوية

حين يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبية الهوائية في حال الزفير ويدخل الحنجرة يجد نفسه أمام حالتين:

إما أن يجد الوترين الصوتيين مشدودين، وفتحة المزمار ضيقة، وإما أن يجد الوترين غير مشدودين، وفتحة المزمار واسعة.

ففي الحالة الأولى: يؤثر الهواء في الوترين الصوتيين فيهتزّان عددًا من الاهتزازات في الثانية، ويكثر أو يقل بحسب شدة توترهما أو ضعفهما، وينتج عن هذه الاهتزازات صوتٌ تقوم الحنجرة والفراغات الرنانة الأخرى في الإنسان بتقويته وتضخيمه.

وفي الحالة الثانية، وهي الحالة التي يكون فيها الوتران غير مشدودين، وبالتالي تكون فتحة المزمار واسعة يمر الهواء من فتحة المزمار من غير أن يؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز.

وفي كلتا الحالتين السابقتين يخرج الهواء من الحنجرة ماراً بالحلق، ثم يسلك طريقه في الفم، وهنا نجد أن الهواء نفسه أمام إحدى حالتين:

إما أن يجد طريقه مفتوحاً، لا تعترضه عقبة بدءاً من الحنجرة حتى خارج الشفتين، وإما أن يجد هذا الطريق قد انسدّ في نقطة منه انسداداً كلياً أو جزئياً.

وفيما يلي الصفات الصوتية للأصوات اللغوية من خلال كتب المحدثين، مع العرض لعلاجها عند القدماء، وبخاصة عند سيويه في كتابه "الكتاب"؛ إذ أنه الأساس لما جاء بعده.

### ١- بين الجهر والهمس:

عرفنا أن الصوت اللغوي يحدث عند اندفاع الهواء من الرئتين، ثم القصبية الهوائية، ثم يؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز، أو لا يؤثر.

ومن هنا: أجمع العلماء على تصنيف الأصوات اللغوية إلى صنفين:

١- مجهور. ٢- مهموس.

فحين تنقبض فتحة المزمار يقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر، فتضيق فتحة المزمار، ولكنها تظل تسمح بمرور الهواء المندفع من القصبة الهوائية خلالها، وعند مرور الهواء في هذه الحالة يؤثر في الوترين بالاهتزاز، فيهتزان اهتزازاً منتظماً يُسمع له صوت تختلف درجته حسب عدد الهزات في الثانية الواحدة، فكلما زادت الهزات في الثانية الواحدة كان الصوت حاداً، كما تختلف شدته بحسب سعة الاهتزازات كما بينا ذلك سابقاً.

والأصوات اللغوية التي تحدث في هذه الحالة تسمى أصواتاً مجهورة، فالصوت المجهور: هو الذي يهز معه الوتران الصوتيان.

وفي الحالة الثانية، والمقابلة لهذه: تبسط فتحة المزمار، ويتعد الوتران الصوتيان عن بعضهما وفي هذه الحالة لا يؤثر فيها الهواء بالاهتزاز.

والأصوات اللغوية التي تحدث بهذه الطريقة تسمى أصواتاً مهموسة، فالصوت المهموس هو الذي لا يهتز. معه الوتران الصوتيان، ولا يسمع لهما رنين حال النطق به.

وللتمييز بين الأصوات المجهورة والمهموسة، يمكن إجراء إحدى التجارب الآتية:

١- نضع الإصبع على تفاحة آدم، وننطق بالصوت دون أن نأتي قبله بجمزة وصل وننطق به ساكناً، فإذا نطقنا بالصوت وحده مجرداً، وكان من الأصوات المجهورة شعرنا باهتزاز الوترين الصوتيين شعوراً لا يحمل الشك.

وإذا كان الصوت من الأصوات المهموسة لا نشعر باهتزاز الوترين الصوتيين.

٢- نضع الكف على الجبهة: فإذا وضعنا الكف على الجبهة ونطقنا بالصوت، وكان من الأصوات المجهورة شعرنا برنين، وهو أثر الذبذبات التي تحدث نتيجة اهتزاز

الوترين أثناء نطق الصوت، ومن هنا كان الصوت مجهوراً، أما إذا لم نشعر برنين أثناء نطق الصوت كان هذا الصوت مهموساً.

٣- نضع الأصابع في الأذنين أثناء نطق الصوت مع وضع الاختبار، فإذا شعرنا برنين في الرأس كان هذا الصوت مجهوراً، وإذا لم نشعر برنين كان مهموساً. والأصوات في اللغة العربية تنقسم إلي قسمين:

الأول: الأصوات المجهورة، وهي: أب ج د ذ ر ز ض ط ظ ع غ ق ل ر ن، والحركات الثلاثة: الفتحة والضممة والكسرة، ثم ألف المد، وياء المد، وواو المد. الثاني: الأصوات المهموسة: ت ث ح خ س ش ص ف ك هـ، ويجمعها قولك: "سكت فحته شخص" هذا عند القدماء.

أما المحدثون فأخرجوا الهمزة والطاء والقاف من الأصوات المجهورة؛ حيث ثبت بالتجارب أن هذه الأصوات مهموسة، إلا أن بعضهم لا يصف الهمزة بالهمس أو بالجهر؛ لأن مخرجها من فتحة المزمار، فالوتران الصوتيان لا يوصفان بالاهتزاز ولا بعدم الاهتزاز.

وسوف نتحدث عن ذلك خلال تناول الأصوات السالفة في موضعه إن شاء الله تعالى.

الجهر والهمس عند سيبويه:

يجدر بنا أن نذكر معالجة سيبويه لهذه القضية من خلال كتابه: (الكتاب)، كتاب العربية الأول، وهو واضح أساس هذه الدراسة بعد أستاذه الخليل.

فالجهور عند سيبويه هو حرف<sup>(١)</sup> أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه، حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت، فهذه حال المجهورة في الحلق والقم، إلا أن النون والميم قد يعتمد لهما في القم والخياشيم فتصير لهما غنة، والدليل على ذلك لو أنك أمسكت

(١) الحرف هو رمز للصوت فعندما يقال حرف كذا يقال: أي صوت كذا. وقد شاع ذلك عند القدماء.

بأنفك ثم تكلمت بما لرأيت ذلك قد أحلّ بما<sup>(١)</sup>.

والحروف المجهورة عند سيبويه هي: الهمزة، والألف، والعين، والغين،  
والقاف، والجيم، الباء، والضاد، واللام، والنون والراء والطاء، والدال، والزاي،  
والظاء، والذال، والياء، والميم، والواو. فهذه تسعة عشر حرفاً. وأما المهموس  
عنده فهو: حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه.<sup>(٢)</sup>

والحروف المهموسة عنده: الباء، والحاء، والخاء، والكاف، والشين،  
والسين، والتاء، والصاد، والضاد، والتاء والفاء فتلك عشرة أحرف.<sup>(٣)</sup>

ويقول عن الحرف المهموس: وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت  
الحرف مع جرّي النفس.

ويقول عن المجهورة ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه.<sup>(٤)</sup>

ولا نوافق جان كانتينو في قوله: "وأما الأوتار الصوتية، فلا يبدو أن العرب  
قد عرفوها"<sup>(٥)</sup>؛ لأننا لو نظرنا لعلاج سيبويه للحروف المجهورة والمهموسة  
لوجدناه يتسم بالدقة والفهم، ويتفق مع ما أثبتته التجارب الحديثة، فلقد ذكر  
الحروف المجهورة، والمهموسة، ولم يختلف عنه المحدثون إلا في صوت الضاد والطاء  
وأرى أن هذين الصوتين أصابهما التغير عما كانا عليه في القدم، ولو ظلاً يُنطقان  
النطق الفصيح ما كان هناك خلافٌ بين علاج سيبويه وعلاج المحدثين، رغم ما  
جدد من آلات عن طريقها استطاعوا أن يصلوا لهذه الحقيقة التي وصل إليها سيبويه—  
نفسه، دون الاستعانة بأي آلات يومها.

(١) الكتاب (٤/٤٣٤).

(٢) الكتاب (٤/٤٣٤).

(٣) نفسه (٤/٤٣٤).

(٤) انظر: سر صناعة الإعراب، لابن حني (١/٦٨-٦٩)، النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (١/٢٠٢) —

(٥) دروس في علم الأصوات العربية (ص ١٨).

ولا غرابة - إذن - أن نجد علاج سيبويه يبقى بعده خلال القرون المتلاحقة، والأزمان المتباعدة ويردده القدماء على اختلاف يسير في بعض الألفاظ دون المساس بالجوهر والأساس.

## ٢- بين الشدة والرخاوة والتوسط:

وكما تنوّعت الأصوات بين الجهر والمهمس تنقسم الأصوات إلى:

### أ- الأصوات الشديدة (الانفجارية):

وهي التي ينحبس معها الهواء انحباساً تاماً لحظة من الزمن عند التقاء عضويّ النطق عند مخرج الصوت ثم ينطلق الهواء فجأة، فمثلاً عندما نطقنا بالبدال يلتقي طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا التقاءً محكمًا، فلا يسمح للهواء بالمرور لحظة من الزمن، بعدها ينفصل العضوان، فتكون باندفاع الهواء المحبوس فجأة، ويحدث ذلك الصوت الانفجاري؛ ولذلك أطلق المحدثون على هذه الصفة اسم "الانفجارية" فالأصوات الشديدة عند الفقهاء يطلق عليها في عرف المحدثين: الأصوات الانفجارية؛ نسبة لذلك الهواء الذي ينفجر عند نطقها.

والأصوات الشديدة عند القدماء هي: الهمزة - الجيم - الدال - الكاف -

القاف - الطاء - الباء - التاء - فتلک ثمانية أصوات، ويجمعها قولك: أجدك قطبت.

والمحدثون يرون أن الجيم الفصيحة ليست شدتها كالأصوات الشديدة الأخرى، بل أقلّ منها قليلاً؛ لأن انفصال العضوين حال النطق بما أيضاً قليل عنه في الأصوات الأخرى.

### ب- الأصوات الرخوة (الاحتكاكية):

وهي التي لا ينحبس الهواء انحباساً محكمًا عند النطق بها، وإنما يكون المجرى ضيقاً جداً بحيث يترتب عليه إحداث نوع من الصفير والحفيف، تختلف نسبته تبعاً لنسبة ضيق المجرى، وعلى قدر نسبة الصفير في الصوت تكون رخاوة وعلى

هذا فأكثر الأصوات رخاوة هي تلك الحروف التي تعرف عند القدماء بحروف الصفير، وهي الشين والزاي والصاد، وكل صوت لا ينحبس معه الهواء انحباساً محكماً، وإنما يكون المجرى ضعيفاً جداً، بحيث يُحدثُ نوعاً من الخفيف يسمّى عند القدماء بالحروف الرخوة، مقابلة بتلك الصفة السابقة، وهي الشدة.

فمثلاً عند نطقنا بالسين تكون باندفاع الهواء من الرتين ماراً بالقصبة الهوائية ثم بالحنجرة، فتنبسط فتحة المزمار ويعد الوتران الصوتيان؛ ولا يؤثر فيهما الهواء بالاهتزاز، ثم يمر بالحلقي، ثم بالفم، ثم تقترب الأسنان العليا من الأسنان السفلى، ولا يكون بين طرف اللسان والثنايا إلا مجرى ضيق جداً، فتكون باندفاع الهواء خلاله، فيحدث ذلك الصفير العالي المسموع عند نطقنا بهذا الصوت.

ويطلق المحدثون على هذه الصفة اسم الأصوات الاحتكاكية؛ لأنه يحدث احتكاك بين عضوي النطق في نقطة المخرج، كما وضع لنا ذلك عند نطق السين.

ج- الأصوات المتوسطة (المائعة):

هناك أصوات لا هي بالشديدة، ولا هي بالرخوة، وهي أصوات: اللام - النون - العين - الميم - الراء، يجمعها قولك: "لن عمر".

هذه الأصوات رغم التقاء العضوين حال النطق بها، إلا أن الهواء يجد له منفذاً يمرُّ منه إلى الخارج وحينئذ يمر دون أي نوع من الخفيف أو الصفير، ومن هنا سماها القدماء الحروف المتوسطة.

والمحدثون يطلقون عليها الأصوات المائعة، ويكتفون بالأصوات الأربعة: اللام - النون - الميم - الراء والعين لم يحددوا موقفهم منها، وذلك راجع إلى أن العين تمثل مشكلة حقيقية لغير العرب.

ومن النادر أن يستطيع واحد منهم نطقها<sup>(١)</sup> بصورة صحيحة<sup>(٢)</sup>

(١) انظر الأصوات اللغوية د. أنيس: (ص ٢٦).

(٢) الكتاب: (٤٣٤/٤).

الشدة والرخاوة عند سيويه:

الشديد عند سيويه هو: الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، والحروف الشديدة هي: الهمزة، والفاء، والقاف، والجيم، والطاء، والتاء، والذال، والياء. يقول: "ومن الحروف (الشديد)، والذي يمنع الصوت أن يجري فيه، وهو الهمزة والفاء"<sup>(١)</sup>

ويبين ما هو الشديد بقوله: "وذلك أنك لو قلت الحج، ومددت صوتك ثم مددت صوتك لم يجز ذلك"<sup>(٢)</sup>

وعن الأصوات الرخوة يقول: "ومنها الرخوة، وهي: الهاء، والحاء، والغين، والشين، والصاد، والضاد، والزاي، والسين، الظاء، والتاء، والذال، والفاء، وذلك إذا قلت: (الطس، وانقض) وأشبه ذلك، أجزيت فيه الصوت إن شئت"<sup>(٣)</sup>

وعن المتوسطة يقول: "أما العين فبين الرخوة والشديدة تصل إلى التردد فيها بشبهها بالحاء" ومنها "المنحرف" وهو حرف شديد جرى فيه الصوت، لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام، وإن شئت فيها الصوت، وليس كالرخوة؛ لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه، ولا يخرج الصوت من موضع اللام، ولكن من ناحية مستدق اللسان فويق ذلك.

ومنها "حرف شديد" يجري معه الصوت؛ لأن الصوت غنة من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك.

واللسان لازم لموضع الحرف؛ لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه

(١) انظر علم اللغة، القسم الثاني: علم الأصوات د. كمال بشر (ص ١٥٦).

(٢) علم الاصوات د. كمال بشر (ص ١٥٦).

(٣) نفسه.

الصوت، وهو النون، وكذلك الميم.

ومنها "المكرر" وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره، وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه، وهو الراء<sup>(١)</sup> فانظر إلى سيبويه، كيف يعالج الحروف الشديدة علاجًا يتسم بالدقة والبراعة التي بلغت حدًا يثير الدهشة والإعجاب.

### ٣- بين الإطباق والانفتاح:

الإطباق هو أن يرتفع مؤخر اللسان نحو أقصى الحنك الأعلى في شكل مقعر، فيصير كالطبق بالنسبة للحنك الأعلى، بينما يكون طرفه ملتحمًا مع جزء آخر من أجزاء الفم.

وهذه الحالة الخاصة للسان أثناء عملية النطق تعطي الصوت المنطوق طابعًا خاصًا من الضخامة والتفخيم، ويطلق على هذه الأصوات صفة الأصوات المطبقة: وهي: الصاد- الضاد- الطاء- الظاء.

وتسمى الأصوات الأخر الأصوات المفتحة، وهي ما عدا هذه الأصوات الأربعة.

### الإطباق والانفتاح عند سيبويه:

يقول: "المطبقة والمفتحة" فأما المطبقة: فالصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والمفتحة: كل ما سوى ذلك من الحروف؛ لأنك لا تُطبق لشيء منها لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى. ثم يبين لنا ما هو الإطباق فيقول: "وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصورٌ فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف"، ثم يبين الانفتاح فيقول: "وأما الدال والزاي

(١) الكتاب (٤/٤٣٤).

ونحوهما فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك في مواضعهم"<sup>(١)</sup> ثم يزيد الأمر وضوحاً بالنسبة للأصوات المطبقة فيقول: "فهذه الأصوات الأربعة (يعني الصاد...) لها موضعان من اللسان، وقد بين ذلك بمحصر الصوت، ولولا الانطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والطاء ذالاً، ولحُرَجَّتْ الضاد من الكلام؛ لأنه ليس شيء من موضعها غيرها"<sup>(٢)</sup>

#### ٤- بين الاستعلاء والاستفال:

الاستعلاء: هو ارتفاع أقصى اللسان إلى الحنك عند النطق بالحرف، ويقع ذلك عند الأصوات الآتية: الخاء، الصاد، والضاد، الغين، الطاء، القاف، والطاء، تجمعها عبارة "خص ضغط قط" وهي كما ترى أصوات الإطباق الأربعة، وهي: الصاد والضاد والطاء والطاء بالإضافة للقاف، والحاء، والغين، إذن مجموعها سبعة أصوات، وباقي الحروف مستقلة.

فالاستفال: عدم ارتفاع اللسان، أي انخفاضه عند النطق بالصوت، ولاشك أن صفة الاستفال أخف من صفة الاستعلاء"<sup>(٣)</sup>

#### ٥- بين الذلاقة والإصمات:

الذلاقة طلاقة اللسان وخفته عند النطق بالحرف، وحروف الذلاقة ستة، ثلاثة ذلق<sup>(٤)</sup> وهي:

الواو، واللام، والنون، وثلاثة شفوية، وهي: الفاء، والباء، والميم.

(١) يقصد سيويه بكلمة مواضعهن: المخارج، أي أن الأصوات المنفتحة تحجز الصوت لحظة في مخارجهن، بخلاف الأصوات المطبقة، فالصوت محصور فيما بين اللسان والمخرج؛ لأن اللسان حال نطقها يكون كالطبق للحنك الأعلى.

(٢) يقصد سيويه أن الضاد لا يوجد من مخرجها صوت آخر في اللغة العربية.

(٣) الكتاب (٤/٤٣٦)، وانظر: سر صناعة الإعراب (١/٧٠-٧١).

(٤) ذلق اللسان: أي طرفه؛ لأن هذه الحروف من طرف أسلة اللسان.

أما باقي الحروف فهي حروف مصممة، لا يكتفى بها في تركيب الكلمات الرباعية، والخماسية، فالإصمات ضد الذلاقة، وحروفه هي بقية الحروف الهجائية. يقول الخليل بن أحمد: "اعلم أن الحروف الذلقة، والشفوية ستة، هي: الراء، واللام، والنون، والفاء، والباء والميم، وإنما سميت هذه الحروف ذلقاً؛ لأن الذلاقة في المنطق إنما هي لطرف اللسان، أسلة اللسان والشفيتين، وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة..."<sup>(١)</sup>

ثم يقول: "لما ذلقت الحروف الستة، ومذل بمن اللسان، وسهلت عليه في المنطق، كثرت في أبنية الكلام، فليس شيء من أبنية الخماسي التام يعرى منها أو من بعضها"<sup>(٢)</sup>

ويقول: "فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معرفة من حروف الذلق أو الشفوية، فاعلم أن تلك محدثة مبتدعة"<sup>(٣)</sup>

ومن كلام الخليل نعرف أن الكلمات الرباعية، والخماسية لا بد وأن تضم بعض حروف الذلاقة، فإن جاءت خالية من أحد هذه الحروف كانت غير عربية، إلا ما نص على عربيته، وهو عبارة عن عشر كلمات، كالعسجد، والدهدقة. ومما سبق نعرف سر تسميتها بحروف مصممة، فكأنه صمت عنها أن تركيبها الكلمات الرباعية والخماسية دون حروف الذلاقة، هذه هي الصفات العامة للأصوات، ومما سبق يظهر لنا أن صفات القوة هي:

١- الجهر. ٢- الشدة. ٣- الإطباق. ٤- الاستعلاء. ٥- الإصمات.

وصفات الضعف هي ضد هذه الصفات، والمقابلة لها، وهي:

(١) العين للخليل: تحقيق مهدي المحزومي، والسمرائي (٥١/١).

(٢) نفسه (٥٢/١).

(٣) انظر الكتب لسيويه (٤٣٥/٤)، وصر صناعة الإعراب لابن جني (٧٢/١).

- ١- الهمس. ٢- الرخاوة والتوسيط. ٣- الانفتاح. ٤- الاستفال. ٥- الذلاقة.
  - فيذا غلب على الصوت صفات القوة فهو قوي وإذا غلبت عليه صفات الضعف كان ضعيفاً وهناك صفات خاصة تصنف بها بعض الأصوات، وهي:
    - ١- الصفير: وهو ذلك الصوت الذي يحدث أثناء نطق السين، والزاي، والصاد، ولذلك سميت بحروف الصفير، نسبة لتلك الصفة المصاحبة لنطق هذه الأصوات.
    - ٢- القلقله: هي التحرك والاضطراب، ويقصد بها تحريك أي حرف من الحروف الآتية: القاف، والطاء، والباء، والجيم، والدال، يجمعها قولهم: قطب جد.
    - ٣- التكرير: وهو إعادة الشيء أكثر من مرة، ويقصد به تلك الصفة التي توصف بها الراء لتكرار طرف اللسان عند نطق صوت الراء.
    - ٤- التفشي: وهو الانتشار، والمراد به تلك الصفة التي يوصف بها صوت الشين لانتشار النفس، وتفشيه عن النطق به.
    - ٥- الاستطالة: يوصف بها صوت الضاد لامتداد الصوت بها من أول حافة اللسان إلى آخرها.
    - ٦- الخفاء: وتوصف بهذه الصفة الهاء.
    - ٧- الانحراف: ويوصف بهذه الصفة صوت اللام، حيث يميل الصوت بعد خروجه إلى طرف اللسان.
    - ٨- الغنة: هي خروج الصوت من الخيشوم، ويوصف بها صوت النون والميم.
- وبعد أن وقفنا على صفات الأصوات اللغوية العامة والخاصة، يجدر بنا أن نعرض لقضية أخرى نعتبرها جوهر الدراسات الصوتية؛ إذ هي الأساس الذي يحتديه كل باحث في علم الأصوات اللغوية في القدم، والحديث، هذه القضية هي تقسيم الأصوات اللغوية إلى الأصوات الساكنة، والأصوات اللينة، وسوف نعرض للقسمين بشيء من التفصيل، مستعرضين آراء القدماء والمحدثين في النواحي التي تستدعي ذلك، وبخاصة في الأمور التي تم القارئ، والباحث، وباللّهُ التوفيق ومنه العون، والرشاد.

## الفصل الثاني: تصنيف الأصوات اللغوية

التقسيم الأساسي الذي سار عليه العلماء في تصنيف الأصوات اللغوية هو تقسيمها إلى:

١- أصوات اللين Vowels.

٢- أصوات ساكنة Consonants.

وأصوات اللين هي الأصوات التي تخرج مع الهواء المندفَع من الرتتين ماراً بالقصبه الهوائية ثم الحنجرة، فيؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز ثم تمر بالحلقة، ثم بالفم، ثم تغادر الشفتين دون أن يعترض طريقها أي عائق، من هنا كانت أصوات اللين واضحة في السمع عن الأصوات الساكنة؛ إذ إن لأصوات الساكنة يحدث معها انسداد جزئي أو كلي في نقطة معينة، ومن هنا كانت أقل وضوحاً من أصوات اللين وهذا لا يمنع أن يكون بعض الأصوات الساكنة كالميم والنون واللام واضحة، وتشارك أصوات اللين في الوضوح السمعي، إلا أن المجرى مع الحروف الساكنة الثلاثة هذه يحدث به ضيق، عكس أصوات اللين والتي تخرج حرة طليقة خلال الحلق والفم دون أن يقف في طريقها أي عائق أو حائل، ودون أن يضيق مجرى الهواء فيحدث احتكاكاً مسموعاً.

ومحور التقسيم هذا يمكن إجماله في أمرين:

١- وضع الوترين الصوتيين.

٢- طريقة مرور الهواء في الحلق وفي الفم حتى يخرج من الشفتين ومن هنا قدر العلماء أن أصوات اللين يمكن تعريفها بأنها هي: الأصوات المجهورة التي لا يحدث في أثناء النطق بما أي عائق أو حائل، بل تمر مع الهواء حرة طليقة حتى خارج الفم.

والأصوات الساكنة هي: الأصوات المجهورة أو المهموسة التي يحدث في

أثناء النطق بما اعتراض أو عائق في مجرى الهواء، سواء أكان هذا الاعتراض كاملاً

كنطق التاء، أو جزئياً بحيث يحدث في أثناء مرور الهواء كما الميم والنون.  
ونستخلص مما سبق أمرين:

الأول: أصوات اللين مجهورة، وأكثر وضوحاً من الأصوات الساكنة.  
الثاني: الأصوات الساكنة، منها المجهور، ومنها المهموس، ولكنها غير واضحة، إذ يعترض طريقها عائق كلياً كان ذلك العائق أم جزئياً.  
والأصوات الساكنة في العربية هي: همزة القطع، الباء، التاء، الجيم، الحاء، الخاء، الدال، الذال، الراء، الواو في نحو: [ولد، وعد، قوم، جرو] والياء في نحو: [بيت، يسع، يعد].

وأصوات اللين في العربية ستة، منها ثلاث قصار، وثلاث طوال.  
فالقصار ما أطلق عليها القدماء اسم الحركات، وهي: الضمة والكسرة والفتحة، فالواو في نحو: يصون ويهون والياء في نحو: إيمان وإيجاب، والألف في نحو: آمن، وقام.

فحروف المد ما هي إلا أصوات لين طويلة، وإن شئت قلت حركات طويلة، ولا فرق بينها وبين أصوات اللين القصيرة إلا في الزمن فقط، فالفتحة والكسرة والضمة تستغرق في النطق نصف الزمن الذي تستغرقه كل من الألف والياء والواو فقط، وسوف نعرف ذلك بالتفصيل إن شاء الله تعالى في المبحث التالي، والذي سوف نتكلم فيه عن مقاييس أصوات اللين المعيارية وعلاقة أصوات اللين في العربية بهذه المقاييس مع ذكر الأمثلة التي توضح أمام الدارس هذه القضية توضحاً يزيل اللبس، ويكشف الغامض، وبالله التوفيق.

مقاييس أصوات اللين المعيارية:

نعني بمقاييس أصوات اللين المعيارية التي وضعها العلماء لقياس أصوات اللين في جميع لغات العالم بما، ذلك أن أصوات اللين في اللغات بصفة عامة كبيرة، ولا

تكاد تشترك لغة من اللغات مع أخرى في كيفية النطق بأصوات اللين، أكثر من ذلك فأصوات اللين في اللغة الواحدة تختلف اختلافاً بيناً، هذا الاختلاف أدى إلى تباين لهجات اللغة الواحدة.

هذا بالإضافة إلى أن أصوات اللين واضحة في السمع؛ لأنها أصوات مجهورة، وتخرج مع الهواء المندفِع من الرئتين، بحيث لا يعوقها عائق، وهذا يجعل أي انحراف في نطقها أئين في السمع، ويبعد المتكلم عن الطق الصحيح.

وأيضاً هذه الأصوات يكثر ورودها في الكلام، مما يجسم الخطأ ويبرزه. لهذا كله عني العلماء المحدثون بهذه الأصوات، ووصفوا ما يسمى بالمقاييس المعيارية وهي مقاييس عامة لأصوات اللين، بما تقاس أصوات اللين في أي لغة، وتنسب إليها، ولم يتخذوا هذه المقاييس من عدد من اللغات، بحيث يندرج تحتها أي صوت لين في أي لغة.

وهذه المقاييس يمكن لأي إنسان ما في أي لغة أن يتقنها، وعن طريق هذا يسهل عليه أن ينسب إليها أي أصوات اللين في اللغة التي يريد أن يتعلمها.

وأول من عني بهذه المقاييس "دانيال جونز" الأستاذ في جامعة لندن، حيث وضع تلك المقاييس بعد تجارب وبحوث متواصلة لتكون مقاييس لجميع أصوات اللين في لغات العالم، وسجلها على أسطوانات خاصة يستطيع أي شخص أن يتعلم هذه المقاييس التي أخذت صفة العالمية في الدراسات الصوتية، ولا يمكن إغفالها في هذا المجال، بدأ جونز عمله بأن نظر إلى عضوين مهمين كل الأهمية في تكوين أصوات اللين، وهما الشفتان واللسان، إذ هما لرئيسيان في تعديل شكل مجرى الهواء الصاعد من الرئتين خلال الفم.

أولاً: بالنسبة للسان:

نظر إليه دانيال جونز باعتبارين اثنين، هما:

أ- وضعه بالنسبة للحنك الأعلى، من حيث الارتفاع والانخفاض.

ب- الجزء المعين الذي يرتفع من اللسان وينخفض.

ثانياً: بالنسبة إلى الشفتين:

أ- ضمهما. ب- انفراجهما. ج- وضعهما في وضع محايد.

وبهذه الطريقة استطاع "دانيال جونز" أن يصنع ثماني مقاييس، هي:

١- المقياس الأول: ورمز إليه بالرمز *i*، ويتمثل في الكلمة الفرنسية *si*، وهذا

المقياس للصوت الذي يرتفع عند النطق به مقدم اللسان تجاه الحنك الأعلى

إلى أقصى حد ممكن، بحيث لا يحدث حفيفاً، وهو ما يشبه الكسرة في اللغة

العربية حين يكون قصيراً، وباء المد حين يكون طويلاً<sup>(١)</sup> وهذا هو المقياس

الأول لأصوات اللين ليتحدد موضعه، إذ لو صعد مقدم اللسان تجاه الحنك

أكثر من ذلك سمع الحفيف الذي يخرج به صوت اللين إلى محيط الصوت

الساكن والذي يعرف بصوت الباء في كلمة "بيت".

فالفرق بين الصوتين أن صوت اللين لا يحدث معه حفيف، أما الصوت

الساكن فيحدث معه حفيف، حيث إن الفراغ أضيق منه في الحالة الأولى.

٢- المقياس الثاني: ويرمز له بالرمز *e*، ويتمثل في الكلمة الفرنسية *the*، وهذا

المقياس للصوت الذي يرتفع به مقدم اللسان تجاه الحنك الأعلى، بحيث يكون

في الارتفاع أقل من المقياس الأول، ويليه مباشرة، وهو ما يشبه الإمالة

الشديدة في اللغة العربية في بعض اللهجات التي كانت تقطن وسط وشرق

(١) يلاحظ أن صوت اللين في العربية هو ما يعرف بالكسرة إذا كان قصيراً، أو باء المد إذا كان طويلاً،

مثل المقياس المعياري رقم ١ مع وجود فرقين، الأول: أن مقدم اللسان مع الكسرة العربية أقل ارتفاعاً

منه مع المعياري رقم ١ فالكسرة صوت ضيق، ولكن بدرجة أقل من المعياري.

الثاني: أن أعلى نقطة في هذا الجزء من اللسان تكون خلف أعلى نقطة في هذا الجزء من اللسان عند

النطق بالمقياس المعياري. انظر: علم اللغة، د. بشر (ص ١٩٦).

الجزيرة العربية، أي البيئة البدوية.

٣- المقياس الثالث: ويرمز له بالرمز e، ويتمثل في الكلمة الفرنسية: mē me، وهذا المقياس للصوت الذي يرتفع به مقدم اللسان تجاه الحنك الأعلى، بحيث يكون في الارتفاع أقل من المرحلة الثانية. يليها مباشرة. ويشبه إلى حد ما في اللغة العربية الإمالة الخفيفة، أو ما يسمى بالإمالة الصغرى أو غير المحضة.

٤- المقياس الرابع: ويرمز له بالرمز a، ويتمثل في الكلمة الفرنسية Ia، وهذا المقياس للصوت الذي يكون مقدم اللسان عند النطق به مستويا في قاع الفم. ويشبه هذا الصوت في اللغة العربية الفتحة المرققة حين يكون قصيرا، وألف المد حين يكون طويلاً في قولنا "نام".

٥- المقياس الخامس: ويرمز له بالرمز a، ويتمثل في الكلمة الفرنسية Pas، وهو الصوت الذي ينخفض مؤخر اللسان حال النطق به إلى حد ممكن، مع رجوع هذا الجزء من اللسان إلى الخلف قدر الطاقة، ويشبه هذا الصوت في اللغة العربية الفتحة المنخفضة حين يكون قصيراً، وهي الفتحة التي تكون على حروف الإطباق الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، ويشبه الألف المنخفضة حين يكون طويلاً كالألف في الصلاة<sup>(١)</sup>.

٦- المقياس السادس: ويرمز له بالرمز o، ويتمثل في الكلمة الألمانية soene، وهو الصوت الذي يرتفع فوق اللسان عند النطق تجاه الحنك الأعلى، وهو

(١) الفتحة في اللغة العربية: ١- مرققة. ٢- متوسطة. ٣- مفحمة.

فالمفحمة التي تكون على حرف الإطباق، والمتوسطة التي تكون على الحاء والعين والقاف.

والمرققة التي تكون على باقي الحروف، وكما نعرف أن الفتحة صوت لين قصير، وحين تكون طويلاً

فهي ألف المد، وبذلك يكون لها ست صور من حيث الترقيق والتفخيم والتوسط.

المرحلة السابقة للصوت السابع.

٧- المقياس السابع: ويرمز له بالرمز o، ويتمثل في الكلمة الفرنسية Rose، وهو الصوت الذي يرتفع عند النطق به مؤخر اللسان نحو الحنك الأعلى، بحيث لا يصل لموضع المقياس الثامن.

٨- المقياس الثامن: ويرمز له بالرمز u، ويتمثل في الكلمة الألمانية qut، وهو الصوت الذي يرتفع عند النطق به مؤخر اللسان تجاه أقصى الحنك؛ ليكون الفراغ بينهما بحيث لا يحدث الهواء حال النطق به أي نوع من الحفيف. وهذا الصوت يشبه الضمة في اللغة العربية، حيث يكون قصيراً ويشبه ما يسمى بواو المد حين يكون طويلاً.

وإذا زاد صعود أقصى اللسان نحو أقصى الحنك أحدث نوعاً من الحفيف، وأنتج صوتاً ساكناً، وهو ما يسمى بالواو الساكنة من الكلمة "وعد"<sup>(١)</sup>.

فالفرق بين صوت اللين (واو المد) والصوت الساكن (الواو في وعد) أن الفراغ عند نطق الأولى لا يحدث نوعاً من الحفيف، أما في الثانية فيحدث حفيفاً، أي يكون الفراغ في هذه الحالة أضيق منه في الأولى.

وهناك صوت تاسع، ويرمز له بالرمز a، وهو ذلك الصوت الذي لا يرتفع عند النطق به اللسان من الخلف أو من الأمام ارتفاعاً ملحوظاً، كما لا ينخفض معه انخفاضاً كبيراً في قاع الضم، فهذا الصوت لا ينسب لا إلى المؤخرة، ولا إلى مقدم اللسان، وإنما ينتسب إلى وسط اللسان.

### أنواع الأصوات المعيارية:

يمكن تقسيم الأصوات المعيارية إلى ثلاثة أقسام على أساس الاعتبارات الآتية:

أ- بالنظر إلى الجزء الذي يفوق غيره في الارتفاع من اللسان.

(١) سوف نعرف الواو هذه عند الكلام على الأصوات الساكنة بعد إن شاء الله.

ب- بالنظر إلى درجة العلو التي يرتفع إليها اللسان.

ج- بالنظر إلى هيئة الشفتين حال النطق بأصوات اللين.

التقسيم الأول: على الأساس الأول، وهو الجزء الذي يرتفع من اللسان، نجد:

ثلاثة أنواع من الحركات:

١- أصوات لين أمامية، وهي أربعة أصوات: الأول، والثاني، والثالث والرابع.

٢- أصوات لين خلفية: الخامس والسادس والسابع والثامن.

٣- الصوت الأوسط، وهو التاسع.

التقسيم الثاني: على أساس الاعتبار الثاني، وهو درجة علو اللسان، نجد

أربعة أنواع:

١- أصوات لين ضيقة: الصوت الأول والثامن.

٢- أصوات لين نصف ضيقة: الثاني والسابع.

٣- أصوات لين واسعة: الرابع والخامس.

٤- أصوات لين نصف واسعة: الثالث والسادس.

التقسيم الثالث: على أساس وضع الشفتين حال النطق، نجد أربعة أنواع:

١- أصوات لين منفتحة: وهي التي تكون معها الشفتان منفرجتين في الحركة رقم

١ إلى الحركة رقم ٤ (ioEa).

٢- أصوات لين مضمومة ضمًا شديدًا: وهي الأصوات التي تكون حال النطق

وهي الصوت الثامن u.

٣- أصوات لين مضمومة ضمًا خفيفًا، وهي الأصوات التي تكون الشفتان حال

النطق بما مضمومتين ضمًا خفيفًا، وهو الصوت رقم ٦ (O).

٤- أصوات لين محايدة: وهي الأصوات التي تكون الشفتان حال النطق بما في

وضع محايد، وذلك حال النطق بالصوت رقم ٥ a.

## أصوات اللين في اللغة العربية:

سبق أن قلنا إن أصوات اللين تخرج مع الهواء المندفع من الرتتين ماراً بالقصبه الهوائية ثم بالحنجرة، فوجد الوترين الصوتين متقاربتين، وفتحة الزمار ضيقة، فتؤثر في الوترين الصوتين بالاهتزاز، ثم تخرج من الحنجرة، وتسلك طريقها في الحلق ثم الفم دون أن يعترض طريقها مانع أو حائل، ثم تخرج من الشفتين، ثم تنتقل خلال الهواء إلى الأذن، ومن هنا كانت أصوات اللين:

١- مجهورة؛ لأنها تؤثر في الوترين الصوتين بالاهتزاز.

٢- واضحة في السمع؛ لأنه لا يعوقها أي عائق.

وإليك أصوات اللين في لغتنا العربية، مع ملاحظة ما عرفناه في مقاييس أصوات اللين المعيارية حتى تكون الرؤيا لدينا واضحة.

### ١- الفتحة المرققة القصيرة:

وهي صوت لين أمامي منفرج، وعند نطق الفتحة المرققة يكون مقدم اللسان مستويًا في قاع الفم، والشفتان معها منفرجتان، فهي كما ترى صوت لين قصير أمامي؛ لأنها من مقدم اللسان حال استوائه في قاع الفم.

والفتحة المرققة تكون على جميع حروف الهجاء، عدا حروف الإطباق الأربعة، والقاف والخاء والغين.

### ٢- الفتحة المرققة الطويلة:

وهي في اصطلاح القدماء ألف المد، وهي صوت لين أمامي منفرج طويل، والفرق بينها وبين الفتحة القصيرة في كمية الزمن، فهي تستغرق في النطق ضعف زمن الفتحة القصيرة، وقد يزيد طولها حتى يبلغ الضعفين، وذلك إذا وليها الإدغام أو الهمزة، ولا تكون إلا بعد الأصوات المستقلة.

### ٣- الكسرة القصيرة:

هي صوت لين أمامي منفرج، وعند النطق بالكسرة يرتفع مقدم اللسان

تجاه الحنك الأعلى على أقصى حد ممكن، بحيث لا يحدث أي نوع من الحفيف.  
ولذلك سميت صوت لين أمامي؛ لأنها حال النطق بما يرتفع مقدم اللسان  
كما عرفت، والشفتان معها منفرجتان، ولذلك سميت منفرجة.

#### ٤- الكسرة الطويلة:

وتسمى في اصطلاح القدماء ياء المد، وهي صوت لين أمامي منفرج،  
وحال النطق بياء المد يكون مقدم للسان مرتفعاً إلى أقصى حد ممكن تجاه الحنك  
الأعلى، بحيث لا يحدث أي نوع من الحفيف، فهي كالكسرة تماماً إلا أنها  
تستغرق بما ضعف الزمن الذي تستغرقه الكسرة.

٥- الضمة القصيرة: وهي صوت لين خلفي مضمومة، وعند النطق  
بالضمة يكون أقصى اللسان مرتفعاً تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى درجة ممكنة  
بحيث لا يحدث نوعاً من الحفيف، والشفتان معها في حالة استدارة ومنضمتان؛  
ولذلك سميت صوت لين خلفي مضمومة؛ لأن خلف اللسان يرتفع حال النطق  
بها كما رأينا، ومضمومة لانضمام الشفتين معاً.

#### ٦- الضمة الطويلة:

وهي تسمى القدماء بواو المد، وهي صوت لين خلفي مضموم، واللسان  
والشفتان معها كما عرفنا في الضمة فهي مثلها تماماً في كل أحوالها، والفرق بينهما  
أن ألف المد تستغرق ضعف الزمن الذي تستغرقه الضمة، فالفرق في الكمية فقط<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: علم اللغة. الأصوات، د. بشر (ص١٨٢-١٨٣)، وقد أشار ابن جني في كتابه "سر صناعة الإعراب"

إلى هذه الأصوات، حيث يقول: "أعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين واللين، وهي: الألف والياء  
والواو، فكل من هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث، وهي: الفتحة والكسرة والضمة.

فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو وقد كان متقدمو النحويين يسمون

الفتحة: الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة: الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق

مستقيمة ألا ترى أن الألف والياء والواو واللواتي هن حروف توام كواول، وقد تجدهن في بعض

هذه هي أصوات اللين في اللغة العربية الفصحى، وهي ستة: ثلاثة قصار، وثلاث طوال وهي في الحقيقة ثلاثة فقط؛ لأن الفرق بين القصار والطوال هو فرق في الكمية فقط وهذه الأصوات هي الأصل، وهي الشائعة في الكلام، وتوجد أصوات لينة أخرى وهي في حقيقة الأمر أصوات لها أهميتها في الوقوف على سمات النطق عند بعض القبائل التي كانت تقطن مناطق شتى من شبه الجزيرة العربية، وشاعت في القراءات القرآنية المتواترة وهذه الأصوات من العناصر الأساسية في دراسة أصوات اللغة العربية، وسمات بعض القراءات القرآنية التي جاءت بها، بل إن بعضها لا يقل أهمية عن السابقة، وبخاصة الفتحة المفخمة والألف المعجمة.

وسوف نعرض لهذه الأصوات حتى نكون على بينة من الأمر فيما يأتي:

#### ١- الفتحة المفخمة القصيرة:

هي صوت لين خلفي منفتح، وفي حال النطق بهذا الصوت ينخفض أقصى اللسان إلى أقصى حد ممكن، مع رجوع هذا الجزء إلى الخلف قدر الطاقة، ولهذا سمي خلفياً ومنفتحاً، كما سبق أن عرفت في الأصوات المعيارية.

والفتحة المفخمة هي التي تكون على حروف الإطباق: الصاد، والضاد

=الأحوال أطول وأتم منهن في بعض، وذلك قولك: يخاف، وينام، ويسير، ويطير، ويقوم، ويسوم، فتجد فيهن امتداداً واستطالة ما، فإذا أوقعت بعدهن المهزة أو الحرف المدغم ازددن طولاً وامتداداً، وذلك نحو: يشاء، وبداء، ويسوء، ويجي، ويفيء وتقول في الإدغام: شابة، ودابة، ويطيب بكر، ويسير راشد.

أفلا ترى إلى زيادة المد فيهن بوقوع المهزة، والمدغم بعدهن، وهن في كل موضعهن يسمين حروفاً كوامل، فإذا جاز ذلك فليست تسمية الحركات حروفاً صغاراً بأبعد في القياس منه.

ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه، وذلك نجد فتحة عين عمر، فإنك إذا أشبعتها حدثت بعدها ألف فقلت: عامر، وكذلك كسرة عين عنب إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة نحو قولك: عيب وكذلك ضم عين عمر لو أشبعتها لأنشأت بعدها واو ساكنة، وذلك قولك: عومر، لولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف، وأوائل لها لما نشأت عنها، ولا كانت تابعة لها، انظر: سر صناعة الإعراب لابن جني (١٩/٢٠).

والطاء والظاء.

وهذه الفتحة يصيها من القصر في الروم ما يصيب كل الأصوات القصار، وهناك فتحة بين المرققة والمفخمة، وتسمى الفتحة المتوسطة، وهي التي تكون على حروف: القاف والغين والحاء.

ووضع اللسان حال النطق بها يكون بين نظريتهما: المرققة والمفخمة.

### ٢- الفتحة المفخمة الطويلة:

وهي ألف المد المفخمة عند القدماء، ونظمتها كالفتحة المفخمة، وأحكامها كأحكام الفتحة المفخمة، ولا تختلف عنها إلا في كمية النطق، فهي تستغرق ضعف الزمن الذي تستغرقه الفتحة، ويزداد طولها أكثر إذا وليها الإدغام أو الهمزة، وقد ذكر ذلك ابن جني في كتابه "سر صناعة الإعراب" ونقلنا عنه ذلك في الحاشية، فارجع إليه إن شئت.

### ٣- الإمالة الشديدة:

وتسمى الكبرى والمحضة: وهي صوت لين يكون مقدم السان معها- أي حال النطق بها- مرتفعاً تجاه الحنك الأعلى، ولكن يقل عنه في حال نطق الكسرة، فهي صوت لين أمامي نصف ضيق.

### ٤- الإمالة الحفيفة:

هي صوت لين أمامي نصف متسع، وعند النطق بها يكون مقدم اللسان— أقل ارتفاعاً من السابقة.

هذه هي أشهر أصوات اللين في العربية ولهجاتها، وهناك أصوات أخرى— لينة في بعض اللهجات العربية، وخاصة المتوغلة في البداوة، ولكنها ليست بالشيوخ والكثرة كهذه التي ذكرناها ومن أراد الرجوع إليها فعليه بكتب القراءات والنحو واللغة، كالإشمام الوارد في البيتين:

ليت وهل ينفع شيئاً ليت  
والبيت الآخر:

حوكت على نيرين إذ تحاك  
تحتبط الشوك ولا تشاك

فقد ورد الفعل الماضي الذي أعلنت عنه في الماضي عند بنائه على ثلاث لغات:

١- إخلاص كسر أوله.

٢- إخلاص ضم أوله.

٣- الإشمام، وهو ما نغنيه هنا.

فالإشمام هو: إمالة الكسرة نحو الضمة، وهو من الصعوبة بمكان، لأن الكسرة كما نعرف صوت لين أمامي أي أن مقدم اللسان عند النطق بها يرتفع إلى أقصى حد ممكن، بحيث لا يحدث أي نوع من الحفيف، والضمة كما تعرف يكون عند النطق بها أقصى اللسان مرتفعاً تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى حد بحيث لا يحدث أي نوع من الحفيف؛ فالكسرة صوت لين أمامي، والضمة صوت لين خلفي ومن هنا كانت إمالة الكسرة إلى الضمة أمراً صعباً على اللسان، يصعب النطق به.

وهذا رغم صعوبته أقل بكثير من بعض أنواع الإمالة الأخرى، فارجع إليها إن شئت.

وبعد أن وقفنا على حقيقة أصوات اللين في اللغة العربية، بل وذكرنا المقاييس المعيارية والمتفق عليها دولياً، بحيث يقاس بها أصوات اللين في أية لغة، وعرفنا علاقة أصوات اللين في العربية بهذه الأصوات المعيارية، حتى يستطيع القارئ والباحث أن يعرف حقيقة هذه العلاقة وطبيعتها، ودرجة الاختلاف، ومدى الاتفاق بين أصواتنا اللينة والأصوات المعيارية، ثم عرفنا أقسام أصوات

اللين وأنواعها من خلفية وضيقة... الخ.

علينا بعد هذا أن نعرض للنوع الآخر من الأصوات، وهو الأصوات الساكنة، والتي يطلق عليها القدماء الحروف، كما يطلق عليها بعض المحدثين اسم الأصوات الصامتة وقد أشرنا إلى ذلك من قبل في الهامش؛ فارجع إليه في موضعه. (١)

(١) اتفق العلماء على هذا التقسيم، ولكن اختلفت التسميات، فالدكتور إبراهيم أنيس أطلق عليها الأصوات اللينة والأصوات الساكنة والدكتور محمود السمران في كتابه "علم اللغة" أطلق عليها اسم الأصوات الصامتة، والأصوات الصامتة، والدكتور تمام حسان في كتابه "مناهج البحث" أطلق عليها الأصوات العليل والأصوات الصالح والدكتور كمال بشر في كتابه "علم اللغة العام.. الأصوات" أطلق عليها الحركات والأصوات الصامتة. والأستاذ الدواخلي والقصاص في "علم اللغة" لفندريس أطلقا عليها أصوات اللين، والأصوات الساكنة والدكتور الأنطاكي في كتابه "الوجيز في فقه اللغة" يقترح تسميتها بالأصوات الطليقة، والأصوات الحيسة. أما علماؤنا القدامى فأطلقوا على الأصوات الصامتة الحروف وعلى أصوات اللين القصيرة الحركات وهناك من أطلق عليها الأصوات اللينة (الحركات) مصطلح صائت وموصت.

و نحن نرى أنه لا مانع من استعمال أي مصطلح من هذه المصطلحات فالكل يؤدي الغاية المطلوبة، وداعمي لتفضيل هذا على ذلك فالتفضيل عملية نسبية من باحث لآخر، وسوف نطلق عليها أصوات اللين، والأصوات الساكنة، وبالله اتوفيق.

## الفصل الثالث: الأصوات الساكنة في اللغة العربية

### أنواعها، مخارجها، طريقة نطقها

الأصوات الساكنة هي: الأصوات المجهورة أو المهموسة التي يحدث أثناء النطق بما اعتراض أو عائق في مجرى الهواء، سواء أكان هذا الاعتراض كاملاً كنطقنا الباء، أم جزئياً بحيث يحدث احتكاك أثناء مرور الهواء كما في الراء والسين.

من هذا يتضح لنا أن هذه الأصوات منها المجهور، ومنها المهموس، كما أنها غير واضحة في السمع كما عرفنا ذلك أثناء كلامنا عن تصنيف الأصوات.

والأصوات الساكنة يطلق عليها القدماء "الحروف" ويطلق عليها بعض

المحدثين الأصوات الساكنة على أساس اعتبارات ثلاث:

١- بالنظر إلى وضع الأوتار الصوتية.

٢- بالنظر إلى المخرج.

٣- بالنظر إلى كيفية مرور الهواء أثناء نطقها.

وسوف نجعل الأساس الثاني، وهو المخرج أساساً لتقسيم هذه الأصوات وتصنيفها وسوف نبدأ بأبعد الحروف مخرجاً، ثم الأقرب حتى الشفتين، وما يجب التنويه به أثناء تناولنا هذه الأصوات على أساس الاعتبار الأول، ثم كيفية مرور الهواء أثناء نطقها، وهو الأساس الثالث، وتتميماً للفائدة سوف نتكلم على كل مجموعة آخذين في الاعتبار أفرادها، مع التعرض لصفات الصوت ومخرجه وطريقة تكوينه، والله ولي التوفيق، ومنه تعالى نستمد العون.

١- أصوات الحلق:

أصوات الحلق هي: الهمزة- الهاء- العين- الحاء- الغين- الخاء<sup>(١)</sup>

أولاً: الهمزة:

الهمزة: هي صوت حلقي حنجري شديد لا هو بالمجهور، ولا هو بالمهموس، مستقل منفتح.

ومخرج هذا الصوت من المزمار، فعند النطق بالهمزة ينطبق الوتران الصوتيان انطباقاً تاماً، فلا يسمحان بمرور الهواء إلى الفراغ الحلقي خلفهما مدة انطباقهما، ثم يفرجان فجأة؛ فيسمع صوت انفجاري نتيجة لانطلاق الهواء الذي كان محبوساً، وهذا الصوت هو صوت الهمزة.

والوتران الصوتيان حال النطق بالهمزة لا يوصفان بالاهتزاز، ولا بعدم الاهتزاز، ومن هنا لا يمكن عدّها من الأصوات المجهورة، ولا من الأصوات المهموسة.

فالهمزة إذن مخرجه من الحنجرة، أي من فتحة المزمار نفسه، وهي صوت شديد (انفجاري في اصطلاح المحدثين) وليست مجهورة ولا مهموسة.

ويرى بعض اللغويين عدّها من الأصوات المهموسة؛ لأن الوترين الصوتيين معها لا يهتزّان، ووجهة هذا الفريق أن الجهر والهمس كما عرفنا من الصفات المتقابلة أو التي بينها تضاد؛ لأنه إما أن يهتزّ الوتران الصوتيان، وإما أن لا يهتزّا.

فالوتران هنا غير مهتزّين؛ فالهمزة مهموسة إذن، وصوت الهمزة لم يكن له رمز قبل الخليل بن أحمد، والذي وضع له الرمز [ ء ] أي رأس عين أخذاً من كلمة قطع؛ لأن هذه الهمزة همزة قطع، تمييزاً لها من همزة الوصل<sup>(٢)</sup>.

(١) قسم القدماء الحلق ثلاثة مخارج، كما فعل المحدثون، ولكنهم أدخلوا الهمزة في حروف الحلق، فجعلوا

أقصى الحلق مما يلي الصدر للهمزة والهاء، وأوسط الحلق مما يلي الصدر للعين والحاء وأدنى الحلق مما

يلي الفم للعين والحاء. انظر: مقدمة الجهمرة (ص ٨).

(٢) الهمزة عند القدماء (وعلى رأسهم ابن جني) مجهورة.

والهمزة من الأصوات التي اختلفت فيها اللهجات العربية تحقياً وتسهيلاً، فتحقيق الهمزة ينسب لتميم ومن والاها من القبائل العربية التي كانت تقطن وسط شبه الجزيرة العربية، وأما قريش فمالت إلى تسهيل الهمزة. واللغة الفصحى أو اللغة الأدبية النموذجية أو اللغة المشتركة، وإن شئت قلت لغة قريش، أي بعد أن صارت للسان العام، أخذت صفة تحقيق الهمز من لهجة تميم. ولقد جاءت القراءات القرآنية بالهمز والتسهيل، ولو رجعنا إلى كتب التجويد والقراءات القرآنية لوجدنا من ذلك الكثير، فعلى سبيل المثال يعقد ابن الجزري في كتابه النشر عدة أبواب في أحكام الهمزة مفردة ومقرونة بغيرها، فيعقد باباً بعنوان: "باب في الهمزتين المجتمعتين من كلمة"، وباباً في "الهمزتين المجتمعتين من كلمتين" وباباً في "الهمز المفرد وباباً في "نقل حركة الهمز إلى الساكن قبلها"، وباباً في "السكت على الساكن قبل الهمز وغيره"، وباباً في "الوقف على الهمز"، وقد استغرقت هذه الأبواب من ص ٣٦٢ إلى ص ٤٩١، هذا مثال واحد من

- انظر: الكتاب لسبويه (٤/٤٣٤)، وسر صناعة الإعراب لابن جني (١/٧٨)، يقول ابن جني: واعلم أن الهمزة صوت مجهورة. . . . وعندهم موضع مخرجها أقصى الخلق من هنا يظهر لنا أن المحدثين يخالفون القدماء في نقطتين. ١- صفة الجهر. ٢- مخرج الهمزة.

انظر: علم اللغة . . الأصوات د. كمال بشر (ص١٤٢-١٤٦)، فلقد عالج هذا الصوت علاجاً يتسم بالدقة والواقعية، وانظر: الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس (ص٧١-٧٤). وأما موقف الخليل من الهمزة فموقف مضطرب من ناحية المخرج حيث يذكر في كتابه العين، (١/٥٢) تحقيق: مهدي المخزومي والسمرائي، قوله: "وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الخلق مهتوتة مضغوطة، فإذا رفه عنها لانت فصارت إلى الياء والواو والألف. . . . ثم بعد ذلك يذكر في (ص٥٨) قوله: "الياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد؛ لأنها لا تتعلق بما شيء، فنسب كل حرف إلى مدرجته، وموضعه الذي يبدأ فيه".

كلام يناقض بعضه من جهة المخرج، أما من جهة صفة الهمزة بقوله مهتوتة ففيه نظر، ولعله يقصد بكلمة "مهتوتة" في النص الأول "مهموسة".

كتاب واحد من كتب القراءات، ومنه يظهر لنا أن قضية هذا الصوت في اللغة العربية لغة القرآن الكريم تحتاج الكثير من الباحثين والدارسين، وبخاصة أن مادة البحث متوفرة لدينا عن أسلافنا، وبخاصة لدى علماء القراءات القرآنية.

أما كيف كانت تخفف الهمزة في القراءات القرآنية؟ فمثاله في الهمزة المقدره الساكنة، وقبله متحرك فتبدل صوت مد من جنس حركة ما قبلها، كقوله تعالى: "يؤمنون، ويؤتي، ورؤيا، ومؤتفكة" وكقوله تعالى: "بئس، وجئت، وشئت، ورثيا، والذي ائتمن"، وكقوله تعالى: "فأتوهن، فأذنوا، وأمر أهلك، ومأوى" فقرأ أبو جعفر جميع ذلك بإبدال الهمزة فيه حرف مد بحسب حركة ما قبله، إن كانت ضمة كما في الشواهد الأولى فتقلب واوا، وإن كانت فتحة كما في الشواهد الثانية فتقلب ألفا، وإن كانت كسرة كما في الشواهد الثالثة فتقلب ياء.

وإن كانت الهمزة مفتوحة وقبلها مضموم، فإن كانت فاء من الفعل فاتفق أبو جعفر وورش على إبدالها واوا نحو: "يوده، ويواخذ" وإن كانت لاماً من الفعل فإن حصصاً اختص بإبدالها في "هزوا" وهو في عشرة مواضع في القرآن الكريم.

وإما أن تكون الهمزة مفتوحة، وقبلها مكسور، فإن أبا جعفر يبدلها ياءاً في قوله تعالى: "رئاء الناس" وإذا كانت مضمومة بعد كسر، وبعدها واو، فإن أبا جعفر يحذف الهمزة ويضم ما قبلها من أجل الواو نحو قوله تعالى: "مستهزون"، و"متكون".

وإذا كانت مكسورة بعد كسر بعدها ياء؛ فإن أبا جعفر يحذف الهمزة في: "متكئين، واصباين والخطاين".

وإذا كانت الهمزة مفتوحة بعد فتح، فاتفق نافع وأبو جعفر على تسهيله بين بين في "رأيت" إذا وقع بعد همزة الاستفهام نحو قوله تعالى: "أرأيتمكم وأرأيت، وأفرأيتكم"<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: الشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/٣٩٠-٣٩٧).

ثانياً: الهاء:

الهاء: صوت حلقي، رخو مهموس، مستفل، منفتح مصمت، ومخرج هذا الصوت أقصى الحلق.

وطريقة تكوين هذا الصوت: تكون باندفاع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبه الهوائية ثم الحنجرة ويفترق الوتران الصوتيان عن بعضهما، وتتسع فتحة الزمار، فيمر الهواء دون أن يؤثر في الوترين بالاهتزاز، ثم يُحدثُ الهواءُ حفيفاً في أقصى الحلق حيث مخرج الهواء، ثم يتخذ الهواء طريقه بعد ذلك إلى الفم، ثم الشفتين، بحيث ينتقل الهواء إلى الأذن.

ومن الملاحظ عند نطق الهاء أن الفم تكون هيئته شبيهة بحاله عند نطق أصوات اللين ويرى بعض المحدثين عدَّ هذا الصوت من الأصوات المجهورة؛ لأن شيئاً من الذبذبة حدثت من الوترين حال نطق هذا الصوت؛ نظراً لتقاربهما عند مروره خلالهما<sup>(١)</sup>.

ويرى بعض العلماء أن الهاء صوت مهموس يجهر به في بعض المواطن الخاصة، إذ في هذه الحالة تكون باندفاع الهواء من الرئتين بشدة، فيؤثر في الوترين بالاهتزاز، ثم يحدث له نوع من الحفيف في أقصى الحلق، بحيث يتميز بهذا الحفيف من الأصوات اللينة<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: العين:

العين: صوت حلقي متوسط مجهور مستعل، منفتح ذلق، مخرج هذا الصوت من وسط الحلق.

وطريقة تكوين هذا الصوت: تكون باندفاع الهواء من الرئتين إلى القصبه

(١) مناهج البحث للدكتور تمام حسان (ص ١٠٣).

(٢) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس (ص ٧١).

الهوائية فالحنجرة، فيقترن الوتران الصوتيان، وتنقبض فتحة المزمار، فيؤثر الهواء في الوترين بالاهتزاز ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق، فيحدث احتكاك خفيف في وسط الحلق الضيق المجرى حيث مخرجه؛ ولذا كان هذا الصوت من الحروف المتوسطة عند القدماء، أو الهوائية في اصطلاح المحدثين، ثم يتخذ الهواء طريقه ماراً بالفم، ثم بالشففتين؛ فالهواء إلى الأذن.

رابعاً: الحاء:

الحاء: صوت حلقي رخو مهموس مستفل منفتح مصمت، مخرج هذا الصوت من وسط الحلق.

وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء من الرئتين ماراً بالقصب الهوائية فالحنجرة، فلا يؤثر في الوترين بالاهتزاز؛ نظراً لبعدهما وانسباط فتحة المزمار، وعند مرور الهواء بوسط الحلق يضيق المجرى حيث مخرج هذا الصوت، ثم يمر الهواء بالفم فالشففتين إلى الخارج.

ومخرج هذا الصوت من وسط الحلق كالعين تماماً، إلا أن العين مجهورة، والحاء مهموسة فالنظير المجهور للحاء العين.  
خامساً: الغين:

الغين: صوت حلقي رخو مجهور مستعل مصمت، مخرج هذا الصوت من أدنى الحلق.

وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء من الرئتين ماراً بالقصب الهوائية فالحنجرة، فيقترن الوتران الصوتيان من بعضهما وتنقبض فتحة المزمار، فيؤثر الهواء في الوترين بالاهتزاز، وعندما يصل الهواء حاملاً هذا الصوت إلى أدنى الحنجرة يضيق المخرج، فيحدث الهواء نوعاً من الحفيف مخرج هذا الصوت، ثم

يمر الهواء بالفم فالشفتين إلى الخارج خلال الهواء، حتى أذن السامع<sup>(١)</sup>.  
سادساً: الحاء:

الحاء: صوت حلقي مهموس مستعل مصمت، ومخرج هذا الصوت أدنى الحلق، وهو النظير المهموس للغين، وهو كالغين في كل شيء.  
وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء من الرتتين ماراً بالقصبة الهوائية ثم الحنجرة، فلا يؤثر في الوترين الصوتين بالاهتزاز؛ نظراً لبعدهما عن بعضهما، وانبساط فتحة المزمار، ثم يمر الهواء بالحلق وعند أدناه يضيق الجرى حيث مخرج هذا الصوت، ثم يمر الهواء بالفم فالشفتين فيغادرهما إلى الخارج خلال الهواء حتى أذن السامع<sup>(١)</sup>.

٢- أصوات أقصى اللسان:

هي: القاف والكاف.

أولاً: القاف:

القاف: صوت لهوى شديد مجهور مستعل مصمت.

وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء من الرتتين ماراً بالقصبة الهوائية ثم بالحنجرة فيقترب الوتران الصوتيان من بعضهما، وتنقبض فتحة المزمار؛ فيؤثر الهواء في الوترين بالاهتزاز، ثم يمر الهواء بالحلق ثم ينحبس الهواء انحباساً كلياً عندما يرتفع أقصى اللسان، ويلتقي بأدنى الحلق بما في ذلك اللهاة بحيث لا يسمح للهواء بالمرور، ثم ينطلق الهواء فجأة بعد انفصال عضوي النطق، ثم يتخذ الهواء طريقه في

(١) يرى بعض المحدثين أن هذا الصوت ليس من الحلق كما رأى القدماء والمحدثون على السواء، ويرى أنه من الطبق لا من الحلق، وهذا في نظرنا ليس صحيحاً؛ بل الأمر كما ذهب القدماء وغالب المحدثين.

انظر: الوجيز في فقه اللغة للأنطاكي (ص ١٨٣).

(٢) يرى الأستاذ الأنطاكي أيضاً أن هذا الصوت ليس حلقياً، وليس الأمر كما يقول، ولم تنف على مثله على

مبلغ علمنا. انظر: الوجيز في فقه اللغة (ص ١٨٣).

الفم فالشفتين إلى الخارج.

والقاف الصوت الوحيد في اللغة العربية الذي يخرج من هذه النقطة، ولذلك سميت لهوية؛ لأن اللهأة تتصل حال النطق به كما رأينا عندما يرتفع أقصى اللسان إلى أعلى.

اتفق بعض المحدثين - كالدكتور عبد الرحمن أيوب في كتابه: محاضرات في اللغة - مع ابن جني في جعل مخرج القاف فوق مخرج الغين والخاء، بمعنى أن هذين الصوتين أبعد مخرجًا من القاف، حيث مخرجهما من أدنى الحلق، ومخرج القاف من اللهأة، والحلق بقسامه عند ابن جني قبل اللهأة، وذهب بعض المحدثين<sup>(١)</sup> إلى القول بأن مخرج القاف والخاء والغين من اللهأة، فيقول: "الخاء والغين اللهويين"، وقبل ذلك بقليل يقول عن "القاف اللهوية" ثم يذكر في موضع آخر تحت عنوان: "الحروف الأقصى حنكية" يقول ما نصه: "والحرف المفخم من هذا الثالث - أي القاف - لهوي أكثر منه أقصى حنكيًا".

وهذا يظهر لنا ثبات رأي القدماء، ووضوحه تجاه هذا الصوت، عكس بعض المحدثين الذي وصل إلى حد الاضطراب، كما شاهدناه عند "جان كاتينو". وهذا الصوت من حروف القلقل.

والقاف من الأصوات التي عدها المحدثون صوتًا مهموسًا؛ لأن الوترين الصوتيين عند نطقها لا يهتران، وذلك لتغير نطقها عما كانت عليه في الفصحى. ويرى بعض المحدثين أن القدماء أخطأوا عندما وصفوا هذا الصوت بالجهر<sup>(٢)</sup> ولسنا مع هذا الظن؛ لأن الذي نرجحه أن نطق القاف الفصيحة يشبه إلى حد بعيد نطق القاف في جنوب العراق، وبعض مناطق السودان؛ إذ كما

(١) دروس في علم أصوات اللغة لجان كاتينو (ص ٣٢).

(٢) انظر: مناهج البحث في اللغة د. تمام حسان (ص ٩٦).

نسمع بعض الأخوة السودانيين ينطقون القاف قرية جداً من الغين، حتى إنه يذكر لنا البعض أن أطفال السودان في بداية تعلمهم يخطئون ويخلطون بين هذا الصوت، وصوت الغين مما يؤدي ما نذهب إليه.

من هنا نرى القدماء لم يخطئوا في وصف القاف بالجهر، والذي حدث هو تغير نطق هذا الصوت على الصورة التي لا يحدث عند النطق به اهتزاز الوترين الصوتيين.

ويرى بعض العلماء المحدثين أن صوت القاف قديماً كان شبيهاً بما يمكن تسميته بـ "الجاف" أو ما يشبه الكاف الفارسية، من هنا جاء وصف القدماء لها بـ "جوهرة"، فيقول: "... ليس من البعيد أنهم (يقصد القدماء) يقصدون القاف، ذلك الصوت الذي يمكن تسميته بـ "الجاف" أو ما يشبه القاف الفارسية، وهو ذلك الصوت الذي نسمعه في بعض جهات الصعيد، وريف الوجه البحري، وهو شبيه بالميم القاهرية، أو هو هي من حيث الأثر السمعي وإن اختلفا في التوزيع الصوتي في اللغة العربية"<sup>(١)</sup>.

والخلاصة أن هذا الصوت من الأصوات التي تغير نطقها<sup>(٢)</sup> فتنتطق في اللهجة القاهرية همزة، وكذلك في بعض أنحاء مصر، وتنتطق في أغلب قرى شمال البلاد، وكذلك في صعيد مصر "جا".

فمن هنا كان وصف المحدثين لهذا الصوت بالهمس، والقدماء جاء وصفهم له بالجهر نتيجة تغير نطق القاف في الحديث عنه في القلم.  
ثانياً: الكاف:

الكاف: صوت حنكي شديد مهموس مستقل مصمت مقلقل.

وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية ثم

(١) علم اللغة العام: الأصوات، د. كمال بشر (ص ١٤٠).

(٢) التعبير بالتغير أدق؛ لأن كلمة "تطور" لا تناسب ما نحن فيه؛ إذ أن تغير أصوات العربية لا تعتبر تطوراً

وإنما تدهوراً، فالمناسب التغير لا التطور.

بالخنجرة، فلا يؤثر في الوترين بالاهتزاز لابتعادهما عن بعضهما، وانبساط فتحة الزمار، ثم يمر بالحلقة، فإذا وصل إلى أقصى الفم بعد اللهاة مباشرة انحبس الهواء انحباساً محكمًا لاتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى، بحيث لا يسمح للهواء بالمرور وقت اتصاليهما، ثم يفصل العضوان فينفجر الهواء الذي كان محبوسًا خلفهما محدثًا صوتًا انفجاريًا؛ ولذا سمي عند المحدثين بالانفجاري وعند القدماء بالشديد، ثم يتخذ الهواء طريقه إلى الخارج حتى يصل إلى الأذن.

### ٣- أصوات وسط اللسان:

هي: الجيم - الشين - الياء - الضاد.

#### أولاً: الجيم:

صوت شجري<sup>(١)</sup> شديد مجهور مستفل مصمت مقلقل.

وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء من الرتين ماراً بالقصبة الهوائية، ثم يدخل الخنجرة فيؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز لالتقائهما ببعضهما وانقباض فتحة الزمار، ثم تكون باندفاع الهواء بعد ذلك ماراً بالحلقة والفم، ثم يرتفع وسط اللسان وبلتقي بالحنك الأعلى فينحبس الهواء خلفهما، ثم يفصل العضوان انفصلاً بطيئاً، فيحدث الهواء الذي كان محبوساً خلفهما صوتاً انفجاريًا، ولكنه ليس بالشدة التي تسمع مع الأصوات الشديدة الأخرى، ولذلك كانت الجيم الفصيحة قليلة الشدة.

والجيم من الأصوات التي أصابها التغيير في اللهجات العربية المعاصرة، فصارت رخوة في لبنان وسوريا، أما في مصر فصار نطقها شديداً، وتغير مخرجها،

(١) شجري أحدًا من تسمية القدماء الأصوات الأربعة: الجيم والشين والصاد، والياء الأصوات الشجرية:

وأول من أطلق عليها هذا الاسم هو الخليل بن أحمد، والشجر مفرح الفم.

انظر: مقدمة كتاب العين، والتهديب للأزهري (٤٨/١).

فصار أقصى اللسان أي: تأخر إلى الخلف عنه في الفصيحة والشامية.  
أما نطقنا الفصحى في الأساليب الأدبية وفي القرآن الكريم فهو النطق الفصيح  
الذي كان موجوداً منذ عصور الاحتجاج، فهي شديدة، فيها شيء من الرخاوة.  
ثانياً: الشين:

الصوت: صوت شجري رخو مهموس مستقل مصمت متفش.  
وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء من الرتين ماراً بالقصبة الهوائية  
فالحنجرة، فلا يؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز نظراً لبعدهما عن بعضهما،  
وانبساط فتحة المزمار، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق فالفم، ثم يضيق بجرى الهواء  
عند مخرج الصوت فيرتفع وسط اللسان مع جزء من مقدم اللسان إلى الفك الأعلى،  
بحيث يسمح للهواء بالمرور والتفشي ثم يخرج من الشفتين إلى خارج الفم ثم الأذن.  
ثالثاً: الياء:

الياء: صوت شجري رخو مجهور مستقل مصمت.  
وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء ماراً بالقصبة الهوائية، ثم بالحنجرة،  
فتؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز؛ نظراً لالتقائهما وانقباض فتحة المزمار، ثم  
يتخذ الهواء طريقه في الحلق فالفم فيرفع وسط اللسان نحو الفك الأعلى حيث مخرج  
هذا الصوت، بحيث يُحَدِّثُ الهواء عند النطق بهذا الصوت نوعاً ضعيفاً من الخفيف.  
وقد عرفنا من قبل عند كلامنا على مقاييس أصوات اللين وتطبيقها على  
أصوات اللين في العربية أن هذا الصوت وضع اللسان معه شبيه بوضع اللسان مع  
المقياس الأول، إلا أن وضعه يرتفع أعلى بحيث يُحَدِّثُ نوعاً من الخفيف، ولهذا  
كان من الأصوات الساكنة.

ونجد أن بعض علماء اللغة المحدثين<sup>(١)</sup> يعالجون هذا الصوت، وصوت الواو على أنهما أشباه أصوات اللين مثل الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه "الأصوات اللغوية" حيث يعالج هذين الصوتين تحت العنوان التالي: "أشباه أصوات اللين". ويقول تحت هذا العنوان: "ففي تكوين الياء نلاحظ أن اللسان يكون تقريباً في موضع النطق بصوت اللين (l) مما يترتب عليه أننا نسمع ذلك النوع الضعيف من الحفيف، ثم نصل للنتيجة التي يصورها لنا بقوله: "فالياء لأهما تشتمل في النطق بما على حفيف يمكن أن تعد صوتاً ساكناً، أما إذا نظر إلى موضع اللسان معها فهي أقرب شبهاً بالصوت اللين (l) لهذا اصطلاح المحدثون على تسمية الياء بشبه صوت اللين".

ونحن إذ نوافق الدكتور إبراهيم أنيس، والمحدثين في هذا إلا أننا نخالفه فيما أورده بعد هذا حيث يصف الياء بأن لها طبيعة مزدوجة، فلماذا هذه الطبيعة المزدوجة؟ فهي كما ترى لها مخرج معين واضح لا لبس فيه، إذن لها صفة ومخرج واحد كبقية الحروف والأصوات الساكنة، ولا ازدواجية فيها مطلقاً، فمخرجها معروف ومحدد، وأما ياء المد التي هي صوت لين طويل فمخرجها مخرج صوت اللين القصير والفرق بينهما في الكمية فقط، إذن لا ازدواجية في صوت الياء الساكنة التي هي أحد الأصوات الساكنة الأخرى، وتؤدي ما تؤديه الأصوات الساكنة في بناء الكلمات.

(١) يرى أستاذنا لكبير الدكتور كمال بشر: أن الياء والواو إما حركتان خالصتان، وإما صوتان صامتان، أو عبارة أدق - كما يقول - نصف حركتين... وفرق بين الحالتين على أساس الوظيفة اللغوية بكل من الياء والواو في حالة كونهما من الحروف الصامتة وفي حالة كونهما من أصوات اللين، ويرى أنه رغم أنهما من الأصوات الساكنة الصرفة، إلا أن الاحتكاك معهما يقل عن حاله مع الأصوات الساكنة، لذا آثر أن يطلق عليهما اصطلاح (أنصاف الحركات)، علم اللغة العام. . الأصوات (ص ١٧٣-١٧٤).

ولا نوافق بعض العلماء الذين أطلقوا عليها أنصاف حركات، وإن كنا نراه أوفق بكثير من وجهة الفريق الأول.  
 رابعاً: الضاد:

الضاد: صوت شجري جانبي رخو مجهور مطبق مستعمل مصمت منحرف. وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء ماراً بالقصبة الهوائية ثم بالحنجرة، فيؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز نتيجة لالتقائهما ببعضهما، وانقباض فتحة المزمار عند النطق بالضاد، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق فالفم، غير أن مجرى الهواء في الفم من جانبي اللسان كما هو عند سيويه<sup>(١)</sup>، ويرى بعض العلماء أنها من جهة اليمين، ويراها بعض آخر من جهة اليسار، وهو الأكثر<sup>(٢)</sup>.

وعند مرور الهواء على هذه الصفة من مخرج هذا الصوت يضيق الهواء، فيحدث حفيفاً، ولكن لا يحجز الهواء كمنا في الأصوات الشديدة، ثم يغادر الهواء الشفتين متخذاً طريقة في الهواء إلى الأذن، وصوت الضاد من الأصوات التي حدث له الكثير من التغير في اللهجات العربية بعد عصور الاحتجاج وما يزال هذا التغير إلى يومنا هذا.

ففي مصر صوت شديد مجهور، ومخرجه عند طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا انطلق الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً، حيث كان محبوباً خلف عضوي النطق، فهي في نطق اللهجة المصرية الآن

(١) يقول سيويه عن مخرج صوت الضاد: "ومن أول حافة اللسان، وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، الكتاب (٤/٤٣٣)، ويقول ابن جني: "ومن أول حافة اللسان، وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر"، سرّ صناعة الإعراب لابن جني (١/٥٢).

(٢) يقول ابن الجزري: "المخرج الثامن- للضاد المعجمة- من أول حافة اللسان، وما يليه الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر ومن الأيمن عند الأقل، وكلام سيويه يدل على أنها تكون من الجانبين"، انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/٢٠٠).

شديدة، وقد كانت في القدم في الفصحى رخوة، وهي الآن بهذه الصورة شبيهة بالذال، والفرق بينهما أن الضاد تأخذ صفة الإطباق، حيث يكون اللسان كالطبق بالنسبة للحنك الأعلى، عكس الذال المنفتحة، ولذلك يخلط الطفل عندنا في مصر عند الإملاء بين صوت الضاد والذال؛ نظراً لتغير نطق الذال وانحرافها عن النطق الفصيح لهذا الصوت، والذي يمتاز به لغتنا، وصرت تنسب إليه، فيقال لغة الضاد، وبعده.. فهذه الأصوات الأربعة هي الأصوات لشجرية عند الخليل، وعند غير الخليل الثلاثة الأولى فقط ولا يعدون منها الضاد.

#### ٤- أصوات طرف اللسان:

هناك مجموعة من الأصوات مخارجها من مقدم اللسان بما فيه طرفه عند التقائه بالثة العليا أو أصول الثنايا العليا أو طرفها، وسوف نجعلها في مجموعات حسب المخرج، وهذه الحروف هي:

اللام والراء والنون، والطاء والذال والتاء، والصاد والزاي والسين، والطاء والذال والتاء، فهذه الحروف مخارجها متقاربة، وسوف نذكر كل مجموعة فرعية على حدة، حتى يكون القارئ على بينة من أمرها، وبالله التوفيق، ومنه الرشاد.

#### ١- اللام، الراء، النون:

وتسمى هذه الأصوات عند القدماء بأصوات الذلاقة؛ لأن مخارجها من ذلق اللسان، أي صرفه<sup>(١)</sup>.

#### أولاً: اللام:

اللام: صوت لثوي متوسط مجهور مستقل ذلقي منحرف.

وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء من الرئتين - فبالقصبه الهوائية ثم

(١) انظر: القول المفيد في علم التحويد (ص ٣٦)، وما بعدها، وانظر: العين للخليل، وتهديب اللغ-

بالحنجرة، فيؤثر في الوترين الصوتين بالاهتزاز لالتقائهما وانقباض فتحة الزمار عند النطق بهذا الصوت، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق فالفم، وعند مروره في الفم يضيق مجراه على جانبي اللسان، بحيث يحدث الهواء حفيفا ضعيفا، وعند مرور الهواء من أحد جانبي اللسان أو من الجانبين يرتفع طرف اللسان ويتصل بأصول الثنايا العليا مع اللثة، ويمنع مرور الهواء من فوق، فيتسرب الهواء من حافتي اللسان أو من أحدهما ولذلك كان هذا الصوت متوسطاً؛ لأن عضوي المخرج على هذا النحو لا يمنعان الهواء ويحبسانه كلية، بل يتسرب على الصورة المذكورة، ثم يتخذ الهواء طريقه من الشفتين إلى الخارج<sup>(١)</sup>.

وصوت اللام هي أوسع الأصوات مخرجاً؛ إذ كما رأينا يمكن إخراجها من كلتا حافتي اللسان وبما يحاذيهما، فهي صوت لثوي أسناني حافي، أي من حافتي اللسان.

### أنواع اللام في العربية:

١- مرققة.

٢- مغلظة: بحيث يكون شكل اللسان معها مقعراً.

والمرققة بخلاف ذلك، ولكن الأصل في اللام الترقيق، ولا يخرج عن هذا الأصل إلا بشرطين:

١- أن يسبقها أحد أصوات الاستعلاء، ولا سيما الصاد والطاء والظاء، ساكنًا هذا الصوت أم مفتوحاً.

٢- أن تكون اللام نفسها مفتوحة، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مریم: ٣١] وقوله تعالى: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [السد: ٣]

(١) ويحدد ابن جني مخرج الراء بقوله: "ومن مخرج النون، غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء" سر صناعة الإعراب بن جني (٥٢/١)، ويقول عن صفة التكرير: "ومنها المكرر، وهو الراء، وذلك إذا وقفت عليه، رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير؛ ولذلك احتسب في الإمامة بحرّين، نفسه (٧٢/١).

وقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وجمهور القراء أجمعوا على تغليظ اللام في لفظ الجلالة إلا إذا كان يسبقها كسرة نحو: "بسم الله" فتغليظها مثل قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكُفَّةَ الْيُبَيْتِ الْحَرَامِ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧] وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [المائدة: ١٠٠]، ففي الآيتين الكريمتين اللام في لفظ الجلالة مغلظة؛ نظرا لألها مسبوقه لفتحة.

ومثال المسبوقه بضمة قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لِاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].  
ثانياً: الرءاء:

الرءاء: صوت لثوي متوسط بجمهور مستفل ذلعي مكرر.

وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية فالحنجرة، فيؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز نظراً لالتقائهما وانقباض فتحة المزمار، ثم يتخذ الهواء طريقه حاملاً هذه الذبذبات في الحلق ثم في الفم حتى يصل إلى مخرجه، وهو طرف اللسان عند التقائه بحافة الفك الأعلى مما يلي الأسنان، فيضيق مجرى الهواء، فيحدث نوعاً من الحفيف مع طرق طرف اللسان حافة الحنك مرتين أو ثلاثة حيث تتكون الرءاء، ولذلك سمي هذا الصوت مكرراً نظراً لتكرار طرق طرف اللسان للثة العليا.

والرءاء نوعان:

٢- مفخمة.

١- مرققة.

فالمرفقة هي:

- أ- إذا كانت مفتوحة مسبوقة بكسرة أو ياء مد مثل: "خسر"، "الكبيرة".  
 ب- الراء المكسورة مطلقاً، مثل: "رزق".  
 ج- الساكنة التي يسبقها كسر بشرط ألا يليها صوت استعلاء مثل "فرعون".  
 والمفخمة هي:

- أ- المفتوحة بشرط ألا يسبقها كسرة قصيرة أو ياء مد مثل: "صبروا".  
 ب- الراء الساكنة إذا كانت مسبوقة بفتح مثل: "يرجعون".  
 ج- الراء الساكنة التي يسبقها كسر ويليهما صوت استعلاء مثل "قرطاس".  
 ثالثاً: النون:

النون: صوت لثوي متوسط مجهور أنفي مستفل ذلكي.

وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء من الرتتين ماراً بالقصبة الهوائية فالحنجرة، فيؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز لاقتراجهما من بعضهما، وانقباض فتحة المزمار عند النطق بهذا الصوت، ثم يتخذ الهواء طريقة في الحلق، وهنا يهبط أقصى الحنك الأعلى فيسد فتحة الفم، فيتسرب الهواء من التجويف الأنفي محدثاً أثناء مروره نوعاً من الحفيف الضعيف والذي لا يكاد يسمع ومخرج النون عندما يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا مع اللثة.

والنون كالميم - كما سنعرف بعد- والفرق بينهما في المخرج، فالنون من طرف اللسان مع أصول الثنايا واللثة العليا، ومخرج الميم التقاء الشفتين، أي من الشفتين، أما الهواء معهما فيمر من الأنف كما عرفت.

أحكام النون الساكنة والتنوين<sup>(1)</sup> في القراءات القرآنية:

النون عندما تسكن تتأثر بما يجاورها من أصوات؛ لأنها في هذه الحالة تكون

(1) التنوين يعامل معاملة النون الساكنة؛ لأنه عبارة عن نون ساكنة كما هو معروف.

متصلة بما بعدها اتصالاً مباشراً، أما المتحركة فلا يتأتى لها هذا الاتصال؛ لأننا كما نعرف أن صوت اللين يأتي بعد الصوت الساكن؛ فيكون فاصلاً بين الصوت الساكن وبين الذي يأتي بعده<sup>(١)</sup>.

ويتوقف تأثر النون بما يجاورها من أصوات على مدى قرب المخرج، ولذلك نجدها أكثر تأثراً عندما يأتي بعدها صوت من أصوات طرف اللسان أو وسطه، ويقل تأثرها بما بعدها إذا كان المخرج بعيداً كأصوات أقصى اللسان، ويضاف إلى ذلك أمر آخر لا يقل عن عامل قرب المخرج وبعده، وهو صفة الصوت الذي يأتي بعدها فالنون- كما عرفنا- من الأصوات المتوسطة، ومن هنا نجد تأثرها بالأصوات المتوسطة أكثر من تأثرها بالأصوات الشديدة والرخوة.

فالنون يتوقف تأثرها بما بعدها من الأصوات على عاملين:

١- قرب المخرج واتحاده أو بعده. ٢- قرب الصفة واتحادها أو بعدها.

وفيما يلي أحكام النون الساكنة كما تناولها القراء بإيجاز:

أ- الإظهار: وهو الاحتفاظ لها بمخرجها، ويكون ذلك إذا وليها أحد الأصوات الحلقيّة الستة، وهي: الهمزة<sup>(٢)</sup>. والماء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والعلة في ذلك ما عرفناه سابقاً، وهو بعد مخرج النون عن مخرج الأصوات الحلقيّة، فمن هنا لم تتأثر النون بهذه الأصوات، وليس البعد في المخرج وحده كافياً، بل لابد من الصفة أيضاً، وهذا واضح.

(١) يقول ابن حني: "واعلم أن الحركة التي يتحملها الحرف لا تخلو أن تكون في المرتبة قبله أو معه أو

بعده" ويقول بعد هذا الافتراض: "فمحال أن تكون الحركة في المرتبة قبل الحروف، وذلك أن الحرف كالحلل للحركة، وهي كالعرض فيه، فذلك محتاجة إليه، ولا يجوز وجودها قبل وجوده... واستخلص بعد كلام كثير أن الحركة تأتي بعد الحرف، انظر: سر صناعة الإعراب (١/٣٢-٣٤).

(٢) لا يخفى عليك أن الهمزة مخرجها من فتحة الزمار، أي من الخنجره ولكن القدماء عدوها من أمة الحلق، مما يلي الخنجره مباشرة.

والأمثلة هي بالترتيب:

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦]، قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البقرة: ٨]، قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، قوله تعالى: ﴿فَسَيَنْغْضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥١]، قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَّةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُتَرَدِّدَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾ [المائدة: ١٣].

ولا يخفى علينا أن التنوين يأخذ نفس الحكم، وهو الإظهار مع أصوات الحلق؛ لأنه كما قلنا عبارة عن نون ساكنة ومعروف أنه لا يكون إلا في آخر الكلمة، فإذا وليه أحد الأصوات الحلقية الستة كان حكمه الإظهار أيضاً.

ب- الإدغام: هو فناؤها فناء تاماً في الحرف الذي يليها، وهذا هو الإدغام

الكامل، وقد يكون فناؤها في الصوت الذي يليها فناء جزئياً وهو بذلك يتنوع إلى:

١- الإدغام بغير غنة: فتدغم مع الراء واللام إدغاماً كاملاً، وعند إدغامها

في الراء تدغم بلا غنة، ولم يختلف في ذلك لقرب الراء من النون، مثاله قوله تعالى: ﴿مَنْ رِبْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥].

وكذلك تدغم في اللام والميم إدغاماً كاملاً، والغنة التي تسمع عند إدغامها

في الميم هي غنة الميم المشددة، وكان ابن عامر يذهب إلى الإدغام مع الغنة إذا كانت النون مع اللام، وكان أحمد بن صالح المصري يحكي عن ورش وقالون الإدغام الكامل مع ذهاب الغنة<sup>(١)</sup>.

٢- الإدغام بغنة: فتدغم النون في الباء والواو إدغاماً جزئياً، ويسمع عند

إدغام النون في هذين الصوتين شيء من غنة أنفية، وذلك لأن الباء والواو المسبوقين بنون ساكنة تنطقان مشدتين، ويتخذ الهواء معهما طريقين في جريانه: الألف والقم معاً، وهذه الظاهرة تسمى الإدغام بغنة، والغنة نغمة محببة إلى الأذن

(١) انظر: كتاب السبعة (ص ١٢٦).

العربية ومثاله قوله تعالى: ﴿مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١] وقوله تعالى: ﴿حَبًّا وَعَنْبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ [عبس: ٢٧-١٩]، ولكن خلف يروي عن سليم عن حمزة إدغام ذلك بغير غنة<sup>(١)</sup>.

وكان أبو عمرو والكسائي وأصحاب نافع يدغمون مع غنة<sup>(٢)</sup> وحجة الفريق الذي لا يبقى الغنة أن الإدغام يتطلب أن يغني الصوت الأول في الثاني فناء يترتب عليه ألا يبقى له أثر، بما في ذلك الصفات، ولكن العريق الذي يبقى الغنة يقول إن بقاء الغنة بمثابة دليل وأمانة على الصوت المدغم.

ج- الإقلاب: وهو قلب لنون الساكنة أو التنوين ميمًا إذا جاء بعدها باء، وفي هذه الحالة تكون النون قلت إلى صوت أنفي مثلها، ويتفق مع الباء في المخرج، مثاله قوله تعالى: ﴿فَأَلْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ [النمل: ٦٠] ويطلق على هذا القلب اسم الإقلاب.

د- الإخفاء: هو انتقال مخرج النون إلى مخرج<sup>(٣)</sup> الصوت الذي تخفى فيه، ويتحقق ذلك إذا وليها أحد الأصوات الخمسة عشر لآتية: القاف، والكاف، والجيم، والشين، والضاد، والطاء، والذال، والتاء، وإصا، والسين، والزاي، والظاء، والذال، والتاء، والفاء.

والفرق بينه وبين الإدغام أن الإدغام فيه إدخال الحرف الأول في الثاني المماثل له فيفنى فيه فناء كليًا أما هنا فليس فيه إدغام، بل هو إخفاء فقط بانتقال المخرج إلى الثاني مع بقاء الصفة.

(١) نفسه (ص ١٢٧).

(٢) نفسه (ص ١٢٩).

(٣) الإخفاء ما هو إلا محاولة الإبقاء على النون، وذلك بإطالتها وهو ما نسميه بالغنة، انظر: الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس (ص ٥٩).

## ٢- الطاء، الدال، التاء:

ويقال لهذه الأصوات الثلاثة "النطعية" عند القدماء؛ لأنها تخرج من نطق الغار الأعلى وهو سقفه<sup>(١)</sup>.

أولاً: الطاء:

الطاء: صوت أسناني لثوي شديد مجهور عند القدماء، مهموس عند المحدثين مطبق مصمت.

وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء من الرتين ماراً بالقصبة الهوائية فالحنجرة، فيؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز؛ نظراً لالتقائهما وانقباض فتحة المزمار، ثم يتخذ الهواء طريقة في الحلق فالقم حيث يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، فنحبس الهواء انحباساً تاماً، ثم يفصل العضوان فينفجر الهواء الذي كان محبوساً عند مخرج الصوت، ثم يغادر الصوت مع الهواء خارج الشفتين إلى الأذن، وهذا الصوت من الأصوات التي لحقها التغير في طريقة نطقها، حيث كان في القدم على الصورة التي ذكرناها من تحرك الأوتار الصوتية، حيث كان مجهوراً، ولهذا كان نظيره في القدم صوت الدال فهما متفقان في المخرج وفي الجهر، والفرق بينهما أن الطاء مطبقة، والدال مستقلة، فشكل اللسان مع الدال يأخذ شكلاً مقعراً، والدال لا يكون معها على هذه الصورة.

أما في الحديث، والذي دلت عليه التجارب في المعامل الصوتية، وآلات قياس الأصوات أن هذا الصوت مهموس، والوتران عند النطق به لا يتحركان ولا يحدثان ذبذبات؛ نظراً لبعدهما عن بعضهما وانبساط فتحة المزمار.

ومن هنا كان صوت الطاء كالتاء، فكلاهما مهموس، ومخرجهما واحد، والفرق بينهما أن الطاء مطبقة والتاء مستقلة، فاللسان مع الطاء يتخذ شكلاً

(١) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢٠٠/١).

مقعرًا بخلاف التاء.

والدال هي النظير للصوت المطبق المعروف بالضاد الحديثة، حيث كانت الضاد القديمة لا نظير لها في الفصحى يقول سيبويه: "ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والطاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام؛ لأنه ليس شيء من موضعها غيرها"<sup>(١)</sup>.

من هنا يظهر جلياً أن وصف القدماء لكل من الضاد والطاء سليم، وموفق كل التوفيق، ولا يمكن أن يكونوا أخطأوا مطلقاً، والذي حدث أن هذين الصوتين نالهما من التغير ما نالهما حتى صارا على الصورة التي وجدها المحدثون على الصفة التي عرفناها، هذا هو موطن الخلاف في الاختلاف في وجهات النظر، ولا داعي أبداً أن نرمي القدماء بعدم الدقة في وصف هذين الصوتين.

ثانياً: الدال:

الدال: صوت شديد أسناني ثنوي مجهور مستفل مصمت.

وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء من الرتين ماراً بالقصبة الهوائية فالحنجرة؛ فيؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز؛ نظراً لأنهما عند نطق هذا الصوت يلتقيان وتنقبض فتحة لمزمار، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق فالفم، وعند المخرج يلتقي طرفي اللسان بأصول الثنايا العليا، ويتصلان اتصالاً محكمًا، بحيث لا يسمح للهواء بالمرور، ثم بعد مدة من الزمن ينفصل العضوان، فينطلق الهواء الذي كان محجوزاً خلفهما محدثاً صوتاً انفجارياً؛ ولذا كان هذا الصوت شديداً عند القدماء أو انفجارياً في اصطلاح المحدثين، ثم يخرج الهواء من الشفتين إلى الخارج، والدال كما قلنا هي النظير المنفتح للضاد الحديثة، والنظير المنفتح للطاء التي وصفها القدماء، ولم يحدث لهذا الصوت أي تغير في اللسان المعاصر.

(١) الكتاب لسبويه (٤/٤٣٦).

ثالثاً: التاء:

التاء: صوت أسناني لثوي شديد مهموس مستقل مصمت.  
 وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء من الرتتين ماراً بالقصبة الهوائية  
 فالحنجرة، فلا يؤثر في الوترين بالاهتزاز؛ نظراً لبعدهما عن بعضهما عند النطق به،  
 وفتحة المزمار في وضع الانبساط، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق فالقم، وعند  
 مخرج هذا الصوت يرتفع طرف اللسان فيتصل بأصول الثنايا العليا اتصالاً محكمًا،  
 بحيث لا يسمح للهواء بالمرور، وبعد مدة ينفصل العضوان فينفجر الهواء محدثاً  
 صوتاً انفجاريًا، ولهذا أعد هذا الصوت صوتاً شديداً عند القدماء، وانفجاريًا عند  
 الحديثين، ولم يحدث لهذا الصوت أي تغيير في اللسان المعاصر كسابقه.

وهذا الصوت هو النظير المنفتح للطاء المطبقة، والنظير المهموس للدال المجهورة.

٣- الصاد، والزاي، والسين:

وهذه الأصوات أطلق عليها القدماء حروف الصفيير، وهذه الأصوات  
 الثلاثة هي الأسلية؛ لأنها تزج من أسلة اللسان، وهو مستدقه.  
 أولاً: الصاد:

الصاد: صوت أسناني رخو مهموس مطبق مصمت.  
 وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء من الرتتين ماراً بالقصبة الهوائية  
 فالحنجرة، فلا يؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز؛ نظراً لبعدهما عن بعضهما،  
 وانبساط فتحة المزمار، ثم يتخذ الهواء طريقة في الحلق ثم القم، وعند مخرج هذا  
 الصوت، وهو طرف اللسان فوق الثنايا العليا يلتقي طرف اللسان بالثنايا السفلى  
 وتقترب الثنايا السفلى من العليا، وفي هذه الحالة لا يحجز الهواء خلف عضوي  
 النطق، بل يتسرب الهواء من المنفذ الضيق بينهما محدثاً صفييراً مسموعاً، ومن هنا  
 كان هذا الصوت رخوًا لعدم حجز الهواء خلف عضوي النطق، وأحد أصوات

الصفير، حيث يصحبه صفير مسموع عند مرور الهواء من بين طرف اللسان والثنايا على الصورة السابقة.

ولم يحدث لهذا الصوت أي تغيير في اللسان المعاصر، بل ظل محافظاً عليه، كما هو في الفصحى.

ثانياً: الزاي:

الزاي: صوت أسناني رخو مجهور مستقل مصمت.

وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية فالحنجرة فيؤثر في الوترين الصوتين بالاهتزاز، نظراً لالتقائهما وانقباض فتحة المزمار عند نطق هذا الصوت؛ ولذا كان مجهوراً، ثم يتخذ الهواء طريقة ماراً بالحلقي فالنم، ثم يلتقي في مخرجه طرف اللسان بالثنايا السفلى، أو إن شئت قلت فوق الثنايا السفلى التي تقترب من الثنايا العليا، فيضيق المجرى بحيث يسمح للهواء، بالمرور محدثاً صوتاً مسموعاً، وهو ذلك الصفير الذي يحدث عند مرور الهواء من مخرج هذا الصوت؛ ولذا كان هذا الصوت أحد الأصوات المعروفة بأصوات الصفير.

والزاي هي النظير المجهور للسين المهموسة، وهي مثلها تماماً في المخرج والصفات ماعدا صفة الجهر هذا، ولقد احتفظ هذا الصوت بجميع صفاته في اللسان المعاصر.

ثالثاً: السين:

السين: صوت أسناني رخو مهموس مستقل مصمت.

وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية فالحنجرة، فلا يؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز لبعدهما عن بعضهما، وانبساط فتحة المزمار عند نطق هذا الصوت؛ ولذا كان مهموساً؛ لعدم اهتزاز الوترين

الصوتيين عند النطق به، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق والفم وعند مخرجه، وهو طرف اللسان فوق الثنايا السفلى كما في الضاد والزاي تماماً يضيق المجرى ولا يترك للهواء إلا منفذاً ضيقاً، فيُحَدِّثُ الهواء عند مروره صوتاً مسموعاً كما عرفنا ذلك من قبل.

وفي اللسان المعاصر ينطبق بهذا الصوت على الصورة التي كان عليها قديماً.  
٤- الظاء، والذال، والثاء:

هذه الأصوات أطلق عليها القدماء الأصوات اللثوية<sup>(١)</sup>

أولاً: الظاء:

الظاء: صوت من بين الأسنان رخو مجهور، مطبق مصمت.

وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء ماراً بالقصبة الهوائية فالحنجرة، فيؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز لالتقائهما، وانقباض فتحة المزمار عند النطق بهذا الصوت، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم، وعند المخرج يلتقي طرف اللسان بأطراف الثنايا العليا، وعندئذ يضيق مجرى الهواء، ويُحَدِّثُ حقيقاً قوياً مسموعاً، ومن الملاحظ أنه حال نطق هذا الصوت ينطبق اللسان على الحنك الأعلى، بحيث يكون مقعراً، ويكون بالنسبة للحنك الأعلى بما يشبه الطبق، ومن هنا كان هذا الصوت مطبقاً ومستعلياً لارتفاع اللسان حال النطق به وتغير هذا الصوت في بعض الكلمات في اللسان المعاصر؛ إذ ينطق في بعض الكلمات زائياً مفخمة، وفي بعضهما ضاداً، هذا في الكلام العادي، أما في تلاوة القرآن الكريم وفي المجالات التي تستعمل فيها الفصحى فلا تغير فيه.

(١) انظر: النشر (٢٠١/١) ويذكر ابن جني أن مخرج هذه الأصوات:

"ومما بين طرف اللسان، وأطراف الثنايا: مخرج الظاء والذال والثاء" انظر: سر صناعة الإعراب لابن جني (٥٣/١).

أما ابن الجزري فيذكر أن مخرج هذه الأصوات من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا.

ثانياً: الذال:

الذال: صوت من بين الأسنان رخو جهور مستقل مصمت.

وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية فالحنجرة، فتؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز لالتقائهما ببعضهما وانقباض فتحة الزمار، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق والفم، ثم يضيق المجرى عند مخرج هذا الصوت، ويتصل طرف اللسان بالثنايا العليا بحيث لا يحجز الهواء، وإنما يسمح له بالمرور فيحدث صوتاً قوياً من الحفيف يكون مسموعاً ولذلك سمي رخواً لعدم حجز الهواء خلف عضوي النطق حجراً تاماً، أو مما يعرف عند المحدثين بالاحتكاكي، نسبة لاحتكاك الهواء بعضوي النطق عند مروره، ومخرج الذال هو مخرج الظاء إلا أن هذا الصوت غير مطبق، فاللسان لا يأخذ الشكل المشار إليه عند نطق صوت الظاء كما سبق ذكره.

وهذا لصوت تغير نطقه في اللسان المعاصر في بعض الكلمات إلى الدال، وإلى الزاي المرققة في بعض الكلمات الأخرى، هذا في الكلام العادي، أما في تلاوة القرآن الكريم فلم يحدث أي تغيير في نطقه، وكذلك عند التحدث في المجالات الأدبية بالفصحى.

ثالثاً: الثاء:

الثاء: صوت من بين الأسنان، وهو مهموس مستقل مصمت.

وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية فالحنجرة، فلا يؤثر في الوترين بالاهتزاز لبعدهما عن بعضهما، وانبساط فتحة الزمـ أثناء مرور الهواء مع هذا الصوت، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق والفم، وعند مخرج هذا الصوت يلتقي طرف اللسان بالثنايا العليا، ويضيق المجرى بحيث لا يحجز الهواء حجراً كاملاً، بل يمر من خلال المخرج مع إحداث نوع قوي من الحفيف المسمو

وهذا الصوت هو النظير المهموس للذال، فهما متجانسان في المخرج وفي كل شيء ما عدا صفة الجهر، فالوتران مع الذال يهتران، ومع التاء لا يهتران، هذا هو الفرق.

وهذا الصوت في اللهجات المعاصرة تغير إلى التاء أو إلى السين، أما في القرآن الكريم فلم يحدث فيه أي تغيير، وكذلك في المجالات الأدبية، والتي تتخذ الفصحى لغة لها.

#### ٥- الفاء، والباء، والميم:

وأطلق القدماء على هذه الأصوات اسم الأصوات الشفوية وعدوا من بين هذه الأصوات صوت "الواو التي ليست مدًا؛ لأن هذه الأصوات تخرج من الشفة، وإليك تفصيل الكلام على هذه الأصوات:

أولاً: الفاء: (١) صوت شفوي أسناني رخو مهموس مستقل.

وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء من الرئتين ماراً بالقصب الهوائية فالخنجرة، فلا يؤثر في الوترين بالاهتزاز لبعدهما عن بعضهما، وانبساط فتحة المزمار، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق والقم، وعند مخرجه تلتقي أطراف الثنايا العليا بباطن الشفة السفلى التقاء غير محكم، فيمر الهواء محدثاً نوعاً من الحفيف العالي؛ نظراً لضيق المجرى.

ولذلك كان هذا الصوت رخوياً في اصطلاح القدماء، احتكاكياً في اصطلاح المحدثين، وفي اللسان المعاصر لم يحدث أي تغيير، واحتفظ هذا الصوت بجميع صفاته حتى في اللهجات الدارجة.

(١) جعل القدماء لهذا الصوت حيزاً معيناً لا يشاركه فيه غيره من الأصوات، وهو من باطن الشفة السفلى، وأطراف الثنايا العليا. انظر: سر صناعة الإعراب لابن جني (٥٣/١) والنشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢٠١/١)، والكتاب لسيبويه، (٤٣٣/٤).

ولا يوجد لهذا الصوت في العربية الفصحى نظير، فهو عكس ما نراه في أكثر اللغات الأوربية وهو يرمز له بـ "V".

ثانياً: الباء:

الباء: صوت شفوي شديد مجهور مستفل مقلقل.

وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبه الهوائية فالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين لالتقائهما وانقباض فتحة المزمار، ثم يتخذ طريقه في الحلق والقم، ثم تنطبق الشفتان انطباقاً تاماً بحيث لا يسمحان للهواء بالمرور ويحجز خلفهما فترة، ثم تنفجان فيحدث انفجاراً للهواء محدثاً ذلك الصوت الانفجاري المسموع، ولذلك سمي هذا الصوت شديداً لحجزه الهواء، وحبسه عند نقطة المخرج، وانفجارياً عند المحدثين؛ نظراً لانفجار الهواء عند النطق بهذا الصوت.

ثالثاً: الميم:

الميم صوت شفوي متوسط مجهور مستفل (أنفي).

وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبه الهوائية فالحنجرة، فيؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز لالتقائهما وانقباض فتحة المزمار، ثم يتخذ طريقه في الحلق، فإذا وصل إلى القم هبط أقصى الحنك، فيسد مجرى القم، فيتحول الهواء في التجويف الأنفي محدثاً أثناء مروره نوعاً من الحفيف الضعيف والذي لا يكاد يسمع، وفي أثناء مرور الهواء من التجويف الأنفي تنطبق الشفتان تماماً، ونظراً لأن الهواء مع هذا الصوت لا يحدث انفجاراً، وأيضاً يحدث ذلك النوع من الحفيف القوي كان متوسطاً.

أحكام الميم الساكنة:

إذا كانت الميم ساكنة فلها أحكام ثلاثة:

أ- الإدغام بغنة إذا وليها مثلها، مثل قوله تعالى: "دمر"، "ويُعمر"، و"حمالة" "أم من أسس".

ب- الإخفاء عند الباء على ما اختاره الحافظ أبو عمرو الداني وغيره من المحققين، وذلك مذهب أبي بكر بن مجاهد وغيره، وهو الذي عليه أهل الأداء بمصر والشام والأندلس وسائر البلاد العربية، وذلك نحو: "يعتصم بالله"، و"رهم بهم"، "يوم هم بارزون"، فنظر الغنة فيها<sup>(١)</sup>.

ج- إظهارها عند باقي الأصوات نحو: "أنعمت"، "الحمد لله"، "وهم يوقفون"، "ولهم عذاب أليم"، "أنهم هم...".

ويبالغ في إظهارها إذا وليها فاء أو واو، لثلا يسبق اللسان إلى الإخفاء وذلك لقرب المخرجين<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: الواو:

الواو: صوت رخو مجهور مستفل مصمت.

وطريقة تكوينه: تكون باندفاع الهواء من الرئتين ثم يمر بالقصبة الهوائية ثم بالحنجرة فيؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز، ثم يتخذ طريقه في الحلق، فإذا وصل الفم ارتفع أقصى اللسان إلى الحنك الأعلى بحيث يحدث نوعاً من الحفيف، وأقصى اللسان في هذه الحالة في وضع مرتفع عن القياس الثامن لما، هذا هو الفرق، وهو الذي جعل الصوت ساكناً وليس من أصوات اللين، وحال نطق

(١) النشر لابن الجزري (١/٢٢٢).

(٢) نفسه، وسنعرف ما في مخرج الواو بعد، إن شاء الله تعالى.

الواو تأخذ الشفتان وضع الاستدارة، وهذا ما جعل القدماء يقولون بأن مخرج هذا الصوت من الشفتين ولكن الصحيح أن مخرج هذا الصوت من أقصى اللسان كما عرفنا، ولا مانع من إطلاق صفة "شفوي" على هذا الصوت، وهذا في نظري رأي له وزنه ووجاهته؛ لأن الشفتين تأخذ شكلاً ووضعاً مميزاً وفريداً.

ولقد سبق أن تكلمنا على الواو عند مقارنتها بالمقياس الثامن المعياري، ولست مع الرأي الذي نظر للواو والياء على أساس أنهما أشباه أصوات اللين ولا مع وصفها بأنها أنصاف حركات<sup>(١)</sup> لأن هذين الصوتين لهما حيز ومخرج وما يحدث عند نطقهما من حفيف لا يحدث مثله مع أصوات اللين فهما صوتان ساكنان؛ لأن الأصوات إما ساكنة وإما لينة، ولا ثالث لهما على أساس ضيق مجرى الهواء من عدمه، وقد سبق لنا الكلام على تصنيف الأصوات إلى القسمين الرئيسيين:

١- أصوات اللين.

٢- الأصوات الساكنة.

وفصلنا القول على الصنفين بما فيه الكفاية، وبالله التوفيق.

وبعد أن تكلمنا على الأصوات مع بيان مخرجها وصفاتها وأحوالها ومـ

تعرض لبعضها من أحكام، يحسن بنا أن نعرض لبعض القضايا التي تم القارى

والباحث كالمقاطع الصوتية، وقضية النبر... الخ.

(١) انظر: علم اللغة للدكتور كمال بشر (ص ١٧١).

## خلاصة الوحدة الثانية

- ضرورة تعلم العربية فهي وسيلة المسلم الأولى، وأداته إلى فهم صحيح للكتاب والسنة.
- تقتضي دراسة اللغة دراسة علمية صحيحة دراسة أصواتها من حيث مخارجها وصفاتها وتغيراتها وتبدلاتها.
- الصوت اللغوي يتكون بناؤه من عنصرين اثنين هما: مخرجه وصفاته، فبهما تتحدد ذاتية الصوت ويتميز من غيره.
- للحنجرة والوترين الصوتيين وفتحة المزمار، وغيرها أدوار مختلفة ومهمة في عملية تكوين ملامح الصوت وهيبته.
- صفات الأصوات منها ما يسمى بالصفات المشتركة (العامة) ومنها ما يسمى بالصفات الخاصة.
- من الصفات المشتركة (العادية) الصفات الآتية:
  - ١- الجهر والهمس، والجهر صفة قوة، ومفهومه لدى المحدثين هو اهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق بالصوت.
  - لذا كان الصوت المجهور هو الصوت الذي يهتز معه الوتران الصوتيان.
  - ٢- الهمس صفة ضعف، وهو عند المحدثين عدم اهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق بالصوت.
  - والصوت المهموس هو الصوت الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان ولا يسمع لهما رنين حال النطق به.
  - للتمييز بين الأصوات المجهورة والمهموسة تجارب يمكنك اتباع إحداها.
  - الأصوات المجهورة لدى القدامى هي: أ، ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ط،

ظ، ع، غ، ق، ل، م، ن، والحركات الثلاثة: الفتحة والضمة والكسرة، ثم ألف المد، وياء المد، وواو المد.

ويراها المحدثون مجهورة عدا المهمزة، والطاء، والقاف، فهي مهموسة حيث لا يوصف الوتران الصوتيان معها بالاهتزاز وعدمه.

والأصوات المهموسة هي المجموعة في قولهم: "سكت فحثة شخص".

- والمجهور لدى سيبويه هو حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه، حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت.

والحروف المجهورة لديه تسعة عشر حرفاً هي: المهمزة، الألف، العين، الغين والقاف، الجيم، الباء، اللام، النون، الراء، الطاء، الدال، والذال، والياء والميم، والواو.

- والمهموس لدى سيبويه هو حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه.

وهي المجموعة في قولهم: "سكت فحثة شخص" وهي عشرة أصوات.

٣- الشدة والرخاوة والتوسط.

والشدة صفة قوة وهي انقباس الهواء انقباساً تاماً لحظة ما عند التقاء عضوي النطق عند مخرج الصوت ثم انطلاقة فجأة، والشدة هي الانفجار، ولذلك توصف الأصوات الشديدة لديهم بالأصوات الانفجارية، حيث تكون باندفاع الهواء المجهوس فجأة فيحدث ذلك الصوت الانفجاري.

والأصوات الشديدة (الانفجارية) حصرها القدامى في: أجدك قطبت".

ويرى المحدثون أن صوت الجيم الفصيحة ليست شدتها كالأصوات الشديدة الأخرى، بل أقل منها قليلاً.

والرخاوة هي عدم انقباس الهواء انقباساً محكمًا عند النطق بالصوت

ويكون المجرى معها ضيقاً جداً، بحيث يترتب عليه إحداث نوع من الصفير أو الحفيف، تختلف نسبته تبعاً لنسبة ضيق المجرى، وأكثر الأصوات رخاوة هي المعروفة بحروف الصفير.

وصفة الرخاوة تقابل صفة الشدة، وتوصف هذه الأصوات المسماة بالرخوة بالأصوات الاحتكاكية نظراً لحدوث احتكاك بين عضوي النطق في نقطة المخرج. والتوسط هو كون الصوت بين الشدة والرخاوة، وهي أصوات خمسة مجموعة في "الن عمر"، ويطلق المحدثون عليها الأصوات المائعة.

أما الصوت الخامس وهو "العين" فلم يحددوا موقعهم منها، ومرد ذلك إلى ما تمثله العين من مشكلة حقيقية لغير العرب عند نطقهم بما نطقاً غير صحيح. والحرف الشديد لدى سيبويه هو: الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وحروف البشدة لديه ثمانية أحرف مجموعة في "أجدك قطبت".

والأصوات الرخوة لديه هي: الهاء، الحاء، والغين، والشين، والصاد، والضاد، والزاي والسين، والطاء والتاء والذال والفاء.

ومنها حصر المتوسطة في خمسة أصوات هي: العين، واللام، والنون والميم، والراء.

٤- الإطباق والانفتاح، وهما من الصفات المشتركة، وهما صفتان كل منهما تقابل الأخرى.

والأصوات المطبقة أربعة هي: الصاد، والضاد، والطاء، والفاء.

والأصوات الأخر تقابل هذه الأصوات الأربعة، وتسمى بالأصوات المنفتحة.

وقد عالج سيبويه كلاً من الإطباق والانفتاح معالجة موضوعية تسم بالدقة والبراعة.

٥- الاستعلاء والاستفال، وهما صفتان كلتاهما تقابل الأخرى وهما من

الصفات المشتركة (العامة).

وحروفه سبعة مجموعة في "خص ضغط قط" وما عداها حروف مستقلة.

٦- الذلاقة والإصمات، وهما صفتان كل منهما تقابل الأخرى، وهما من الصفات المشتركة (العامة) والأولى وهي الذلاقة صفة ضعف والأخرى وهي الإصمات صفة قوة.

ولأصوات الذلاقة أهميتها في التأصيل، ومعرفة الدخيل.

- وفي هذه الوحدة عرفت أن الصوت اللغوي منه ما هو قوي ومنه ما هو ضعيف. والصوت القوي لا يتحقق قوته إلا بتغلب صفات القوة على صفات الضعف فيه.

ويضعف الصوت بتغلب صفات الضعف على صفات القوة فيه وصفات القوة صفات عامة (مشتركة) وتحصّر في:

الجهر، والشدة، والإطباق، والاستعلاء، والإصمات.

وصفات الضعف محصورة في: الهمس، الرخاوة والتوسط والانفتاح والذلاقة.

- من الصفات ما يسمى بالصفات الخاصة وهي على النحو التالي:

الصفير، والتكرير، والتنفسي، والاستطالة، والخفاء، والانحراف.

الغنة: هي خروج الصوت من الخيشوم.

ويوصف بما صوتا: النون والميم، وما عداهما فصوت غير أغنّ.

- الأصوات اللغوية منها ما يسمى بأصوات اللين، ومنها ما يسمى بالأصوات الساكنة،

ولكل منهما طبيعته وخصائصه، وطريقة تكوين وكيفية تصويت ونطق.

وأصوات اللين عرّفها العلماء بأنها: الأصوات المجهورة التي لا يحدث في أثناء

النطق بها أي عائق أو حائل، حيث تمر مع الهواء حرة طليقة حتى خارج الفم.

والأصوات الساكنة هي: الأصوات المجهورة أو المهموسة التي يحدث في أثناء

النطق بها اعتراض أو عائق في مجرى الهواء، سواء كان في الاعتراض كاملاً أو جزئياً.

## وأصوات العربية الساكنة تمثلها الأصوات الآتية:

همزة القطع، الباء، التاء، الجيم، الحاء، الخاء، الدال، الذال، الراء، الزاي، السين، الشين، الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، العين، الغين، القاف، اللام، الميم، النون، الهاء، الواو [في نحو: ولد، وعد، قوم]، الياء [في نحو: بيت، يسع، يعد].

وعدد أصوات اللين في العربية ستة: ثلاثة منها قصار، وثلاثة طوال.

وقد حدد "دانيال جونز" دور كل من اللسان والشفيتين في تكوين أصوات اللين.

وقد نظر "دانيال جونز" إلى اللسان من زاويتين اثنتين، هما:

وضع اللسان بالنسبة للحنك الأعلى من حيث الارتفاع والانخفاض وتحديد

الجزء الذي يرتفع من اللسان وينخفض.

ونظر إلى الشفتين من ثلاث زوايا: ضمهما، انفراجهما، وضعهما في وضع محايد.

وبهذه الطريقة تمكن "دانيال جونز" من وضع مقاييسه.

وقد أمكن تقسيم أصوات اللين المعيارية إلى ثلاثة أقسام على أسس اعتبارات مختلفة.

فهي تنقسم باعتبار الجزء الذي يرتفع من اللسان إلى ثلاثة أنواع:

١- أصوات لين أمامية.

٢- أصوات لين خلفية.

٣- صوت لين أوسط.

وتنقسم باعتبار درجة علو اللسان إلى أربعة أنواع، هي:

١- أصوات لين ضيقة.

٢- أصوات لين نصف ضيقة.

٣- أصوات لين واسعة.

٤- أصوات لين نصف واسعة.

ولهذه الأصوات تقسيم ثالث قائم على أساس وضع الشفتين حال النطق

ينقسم باعتباره إلى أربعة أنواع، هي:

١- أصوات لين منفتحة.

٢- أصوات لين مضمومة ضمًّا شديدًا.

٣- أصوات لين مضمومة ضمًّا خفيفًا.

٤- أصوات لين محايدة.

- أصوات اللين في العربية أصوات مجهورة لتأثيرها في الوترين الصوتيين

بالاهتزاز، وواضحة في السمع؛ لأنه لا يعوقها أي عائق.

وتنحصر هذه الأصوات فيما يلي:

١- الفتحة المرققة القصيرة.

٢- الفتحة المفخمة القصيرة.

٣- الفتحة المتوسطة.

٤- الفتحة المرققة الطويلة.

٥- الفتحة المفخمة الطويلة.

٦- الكسرة القصيرة.

٧- الكسرة الطويلة.

٨- الضمة القصيرة.

٩- الضمة الطويلة.

وتوجد أصوات لين أخرى في بعض لهجات العربية وبخاصة المتوغلة في

البادواة، ذكرتها كتب اللغويين والنحاة وعلماء القراءات، فالفعل الماضي المعتل

العين عند بنائه للمجهول يجوز فيه ثلاث لغات:

أ- إخلاص كسر أوله.

ب- إخلاص ضم أوله.

ج- الإشمام، وهو ما نعينه هنا.

والإشمام هو: إمالة الكسرة نحو الضمة، وتحقيقه من الصعوبة بمكان؛ لأن

الكسرة صوت لين أمامي، والضمة صوت لين خلفي.

- الأصوات الساكنة هي: الأصوات المجهورة أو المهموسة، وهي غير

واضحة في السمع، ويطلق القدماء عليها: "الحروف" وبعض المحدثين يسمونها بالأصوات الساكنة لاعتبارات ثلاثة، هي:

أ- النظر إليها من حيث وضع الأوتار الصوتية.

ب- النظر إليها من حيث المخرج.

ج- النظر إليها من حيث كيفية مرور الهواء في أثناء نطقها.

وتعد الهمزة من الأصوات التي اختلفت فيها اللهجات العربية تحقيقاً وتسهيلاً، وأخذت الفصحى تحقيقها من تميم، وجاءت القراءات القرآنية بالهمز والتسهيل معاً.

وصوت الماء وهو أحد أصوات الحلق ويراه بعض المحدثين صوتاً مجهوراً؛ لحدوث شيء من الذبذبة حال نطق هذا الصوت؛ وذلك نظراً لتقارب الوترين الصوتيين عند مرور الهواء خلالهما.

وبعض آخر يراه مهموساً من حيث الأصل، لكنه يجهر به في بعض المواضع الخاصة. ويرى بعض المحدثين أن صوت الغين ليس صوتاً حلقياً - كما رآه القدماء وغالب المحدثين - بل صوتاً طبيعياً، وما رآه ليس بصحيح، والصحيح ما قاله القدامى وجمهرة المحدثين.

- من مخارج الحروف أقصى اللسان، وهو مخرج لصوتين اثنين هما: القاف، والكاف. وصوت القاف هو الصوت الوحيد في لغة العرب الذي يخرج من هذه النقطة؛ ولذلك سميت لهوية لاتصال اللهاة حال النطق به.

- من مخارج الأصوات العربية: وسط اللسان، وهو مخرج لأربعة أصوات هي: الجيم، والشين، والياء، والضاد.

وهذه الأصوات الأربعة التي تخرج من وسط اللسان هي المسماة لدى الخليل بالشجرية ولدى غيره ما عدا الضاد.

- من مخارج الأصوات اللسانية طرف اللسان، ومنه تخرج مجموعات من الأصوات المتقاربة، يمكن إجمالها على النحو التالي:

أ- أصوات الذلاقة، وهي: اللام، والراء، والنون، وسميت لدى القدامى بالذلقية لخروجها من ذلق اللسان، وهو طرفه.

وللام صورتان، هما:

١- اللام المرققة، وهي الأصلية.

٢- اللام المغلظة.

وقد أجمع القراء على تغليظ اللام في لفظ الجلالة بشرط ألا تسبقها كسرة.

وللراء نوعان هما: الراء المرققة، والراء المفخمة.

وللنون الساكنة والتنوين مع الأصوات الساكنة التالية لها أربعة أحكام، هي:

١- الإظهار، إذا وليها صوت من أصوات الحلق لُبعد ما بينها وبينهم.

٢- الإدغام بغير غنة، إذا وليها صوتا: الراء واللام، ويسمى إدغامهما: النون

والتنوين في صوتي الراء واللام بالإدغام الكامل، كما يدغمان في الباء والنون

والميم والواو إدغامًا بغنة، وهو المسمى بالإدغام الجزئي.

٣- القلب، وذلك إذا جاء عقبها صوت الباء.

٤- الإخفاء، وذلك إذا وليها خمسة عشر صوتًا هي: القاف، والكاف والجيم

والشين، والضاد، والطاء، والدال، والتاء، والصاد والسين والزاي، والطاء،

والذال، والباء والفاء.

ويفرق بينه وبين الإدغام أن الإدغام فيه إدخال الحرف الأول في الثاني لإفنائهما

فيه، والإخفاء هو انتقال مخرج الصوت الأول إلى الصوت الثاني مع بقاء الصفة.

ب- الأصوات القطعية، وهي ثلاثة أصوات: الطاء، الدال، التاء، وسميت

بالقطعية لدى القدماء لخروجها من قطع الغار الأعلى، وهو سقفه.

ج- الأصوات الأسلية، وعددها ثلاثة هي: الصاد، والزاي، والسين؛ وسميت بالأسلية لخروجها من أسلة اللسان، وهو مستدقة وأطلق عليها القدامى حروف الصفير.

د- الأصوات اللثوية من الأصوات التي أصابها التغيير في اللهجات المعاصرة، وبقيت محتفظة بمخارجها وصفاتها التي كانت عليها في تلاوة القرآن الكريم، والمجالات التي تستعمل فيها اللغة الفصحى.

هـ- أصوات شفوية لخروجها من الشفة، وهي: الفاء، والباء، والميم، وعدوا منها الواو التي ليست مدأ.

وللميم الساكنة مع الأصوات الساكنة أحكام ثلاثة، هي:

١- إدغامها بغنة إذا وليها مثلها.

٢- إخفاؤها عند الباء.

٣- إظهارها عند باقي الأصوات.

وقد اختلفت كلمة القدامى والمحدثين في تحديد مخرج الواو الساكنة، فهي

لدى المحدثين من أقصى اللسان لا من الشفتين كما قال القدامى، وليس هناك

مانع من إطلاق صفة شفوي عليها، لما للشفتين من دور مهم في نطقها.

## اختبار الوحدة الثانية

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓): أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- يخرج الهواء من الحنجرة ماراً بالحنق، ثم يسلك طريقه في الفم وحينئذ يجد طريقه مسدوداً في نقطة منه انسداداً كلياً أو جزئياً.
- ٢- الوتران الصوتيان لا يكونان إلا مهترين في أثناء عملية التصويت والنطق.
- ٣- الوتران الصوتيان في أثناء عملية التصويت والنطق يكونان مهترين، كما يكونان غير مهترين.
- ٤- الأصوات اللغوية كلها مهموسة.
- ٥- الصوت المجهور في مفهوم سيويه هو الذي يهتزّ معه الوتران الصوتيان.
- ٦- الصوت المنحرف هو التاء.
- ٧- صوتا الغنة هو النون والميم.
- ٨- الإطباق هو ألا يرتفع مؤخر اللسان نحو أقصى الحنك الأعلى في شكل مقعر.
- ٩- الاستعلاء هو: ارتفاع أقصى اللسان إلى الحنك عند النطق بالحرف.
- ١٠- اتفق المحدثون على تسمية أصوات اللين بمسمّى واحد.
- ١١- أطلق المحدثون على الأصوات الساكنة الحروف.
- ١٢- تختلف أصوات اللين في اللغة الواحدة اختلافاً بيناً.
- ١٣- المقاييس المعيارية لأصوات اللين، مقاييس عامة، بد تقاس أصوات اللين في أية لغة، وتنسب إليها.
- ١٤- أول من عني بمقاييس أصوات اللين المعيارية "كانتينو".
- ١٥- الفتحة المرقمة القصيرة صوت لين أمامي منفرج.

- ١٦- لا يكون مقدم اللسان عند النطق بالفتحة المرققة مستويًا في قاع الفم، كما لا تكون الشفتان معها منفرجتين.
- ١٧- لا تكون الفتحة المرققة الطويلة إلا بعد الأصوات المستفلة.
- ١٨- صوت الضمة القصيرة صوت لين أمامي منفرج.
- ١٩- الضمة الطويلة صوت لين خلفي مضموم.
- ٢٠- تعد الفتحة المفخمة القصيرة صوت لين أمامي منفرج.
- ٢١- أخذت اللغة الفصحى من لهجة تميم تسهيل الهمز.
- ٢٢- لتخفيف الهمزة صور مختلفات حفلت بها كتب اللغة والنحو والتفسير والقراءات، والتجويد القرآني.
- ٢٤- تكون هيئة الفم عند نطق الهاء شبيهة بحاله عند نطق أصوات اللين.
- ٢٥- أجمع المحدثون على القول بلمس صوت الهاء.
- ٢٦- صوت العين صوت لهوي شديد، مهموس، مستفل، مطبق، مصمت.
- ٢٧- النظر الجمهور لصوت الحاء العين.
- ٢٨- يرى كل المحدثين أن صوت الغين صوت طبقي لا حلقي.
- ٢٩- صوت الحاء هو النظر المهموس لصوت الغين.
- ٣٠- الراء من "صبروا" مرققة.
- ٣١- ترفيق الراء وتفخيمها تحكمه شروط وضعها اللغويون.
- ٣٢- النون كالميم لا فرق بينهما إلا في المخرج.
- ٣٣- لا تتأثر النون بما يجاورها من أصوات.
- ٣٤- لا تحتفظ النون المظهرة بمخرجها وصفاتها.
- ٣٥- صوت الطاء لدى المحدثين صوت مهموس؛ لأن الوترين الصوتيين عند النطق به لا يتحركان، ولا يحدثان ذبذبات نظرًا لبعدهما عن بعضهما،

وانبساط فتحة المزمار.

- ٣٦- تعد الدال النظير للضاد الحديثة؛ وذلك لأن الضاد القديمة لا نضير لها في الفصحى.  
 ٣٧- تحطئة القدامى فيما قالوه عن صوتي: الضاد، والطاء تحطئة في غير موضعها.  
 ٣٨- تعد الواو الساكنة من الأصوات الشفوية.  
 ٣٩- احتفظ صوت الفاء بمخرجه وجميع صفاته حتى في اللهجات الدارجة.  
 ٤٠- الباء صوت لهوي رخو، مهموس مستعل، غير مقلقل.  
 ٤١- للميم الساكنة مع ما يجاورها من أصوات العربية الواقعة بعدها -أحكام أربعة.  
 ٤٢- يبالغ في إظهار الميم إذا وليها فاء أو واو.  
 ٤٣- معالجة أ.د إبراهيم أنيس لصوت الواو معالجة تحتاج إلى مراجعة.  
 ٤٤- الرأي القائل بأن مخرج صوت الواو الساكنة من أقصى اللسان رأي شديد.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

- ١- الأصوات اللغوية:  
 أ- كلها مجهورة.  
 ب- كلها مهموسة.  
 ج- بعضها مجهور وبعضها مهموس.  
 ٢- الأصوات اللغوية:  
 أ- كلها شديدة.  
 ب- كلها متوسطة.  
 ج- بعضها شديد وبعضها متوسط.  
 ٣- خص ضغط قط:  
 أ- حروف تسمى: حروف الاستفال.  
 ب- حروف متوسطة.

ج- حروف تسمى: حروف التفخيم.

٤- البنية الرباعية:

أ- تخلو من حروف الذلاقة.

ب- تكثر فيها حروف الذلاقة.

ج- أحياناً تكون بها حروف الذلاقة.

٥- معالجة الخليل لصوت الهمزة:

أ- معالجة تتسم بالدقة.

ب- معالجة لا تتسم بالدقة.

٦- ذهب إبراهيم أنيس مذهباً بشأن الياء الساكنة:

أ- وافقه فيه كل المحدثين.

ب- خالفه فيه كل المحدثين.

ج- وافقه فيه بعض المحدثين وخالفه بعضهم الآخر.

٧- اللام في لفظ الجلالة:

أ- ترفق مطلقاً.

ب- تفخم مطلقاً.

ج- تفخم مطلقاً إلا إذا سبقت بكسرة.

٨- من أحكام النون الساكنة والتنوين:

أ- الأظهار.

ب- الإدغام.

ج- الإقلاب.

د- الإخفاء.

هـ- جميع ما سبق.

٩- من أحكام الميم الساكنة:

أ- وجوب الإظهار.

ب- وجوب الإخفاء.

ج- وجوب الإدغام.

د- جميع ما سبق.

١٠- إذا جاءت الياء بعد النون الساكنة في كلمة واحدة كان حكم النون الساكنة:

- أ- وجوب الإدغام.
- ب- وجوب الإظهار.
- ج- وجوب الإقلاب.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- تناولت دراسات القدامى والمحدثين صفات الأصوات اللغوية بالشرح والتحليل ولتقعيد.

اذكر هذه الصفات بصورة مجملية، ثم أتبع كلاً منها بما يقابله، في ضوء ما تمت دراسته لك.

٢- لا شك في أن الهواء في حال الزفير تَكُونُ باندفاع من الرئتين ماراً بالقنطرة الهوائية ليدخل الحنجرة، وحينئذ يجد نفسه أمام حالتين اثنتين.

اذكر هاتين الحالتين ثم صف كلاً منهما وصفاً دقيقاً مبرزاً فيه أوجه الاختلاف بينهما، وأثر ذلك في عملية التصويت.

٣- أجرى علماء الأصوات اللغوية تجارب كثيرة يميزون بها بين الأصوات المجهورة ومقابلها الأصوات المهموسة.

فصل القول في هذه التجارب، وبين رأيك فيها.

٤- ما الأصوات اللغوية المثلة لمهمس لدى قدامى اللغويين ومحدثيهم؟

٥- قارن بين الأصوات الشديدة والرخوة والمتوسطة لبرز من خلال المقارنة أوجه الاتفاق والاختلاف فيما بينهما.

٦- ذكر القدامى من صفات الأصوات: الانحراف، التكرير. فبم عرف القدامى

هاتين الصفتين؟ ما الممثل لكل منهما من الأصوات؟

٧- الإطباق والانفتاح صفتان صوتيتان درستهما.

اذكر تعريفهما والأصوات الممثلة لكل منهما، والأثر المترتب عليهما، مع بيان أهمية الإطباق وقيمه.

٨- ما مصدر القوة في الأصوات المطبقة؟ وما مصدر الضعف في مقابلها؟

٩- الصفير صفة صوتية خاصة درستها. فما معنى الصفير؟ وما الأصوات الصفيرية؟ ولم سميت بذلك؟ ولم كانت صفة الصفير صفة خاصة؟ وهل هي صفة قوة أم صفة ضعف؟

١٠- القلقله إحدى الصفات الصوتية الخاصة.

فما تعريفها؟ وما غرضها. وما أصواتها؟ ولم كانت صفة خاصة؟

وهل هي صفة قوة أم ضعف؟ وبم تعلق قلة أصواتها وكثرة سواها؟

١١- من الصفات الصوتية الخاصة التي درستها: صفة التفشي.

أ- عرف التفشي لغة واصطلاحاً ثم اكشف عن علاقة المعنى الاصطلاحي بالمعنى اللغوي.

ب- ما الغرض من التفشي؟ وما الممثل له من أصوات اللغة؟ وهل هي صفة ضعف أم قوة؟ علل لإجابتك.

١٢- للأصوات الساكنة ( الحروف ) في العربية الكريمة أسماؤها المعلومة لك. اذكرها مرتبة ترتيبها المعروف لديك.

١٣- لأصوات اللين في العربية قسمان رئيسان درستهما.

اذكرهما مشفوعين بما يمثلهما من أصوات وأساس تقسيمهما.

١٤- للفتحة ثلاث صور نطقية مختلفة درستها، اذكر هذه الصور متبعة بضابط كل

منها وما يمثلها من كلمات قرآنية مع ذكر أوجه الاتفاق والاختلاف بينها، وبيان قيمة هذه الدراسة في مجال البحث والتعليم والأداء.

١٥- من مقاييس أصوات اللين التي درستها المقياس السابع.

فما رمزه؟ وما الكلمة التي تمثله معيارياً؟ وما طريقة تكوينه؟ وهل له ما يمثلها من أصوات العربية؟

١٦- الفتحة المرفقة القصيرة أحد أصوات اللين العربية التي درستها صف هذا الصوت، وبين طريقة تكوينه، وحدد مواقع وجوده.

١٧- من صور الفتحة النطقية في العربية: الفتحة المرفقة:

فما ضابطها؟ وما علة ترفيقها وامتناع تفخيمها أو توسطها؟ وعم يكشف ذلك من خصائص العربية؟ وما إيجاءاته؟ وما أثر معرفة ذلك في مجال البحث والدرس والتعلم والأداء.

١٨- اختلف بعض الباحثين المحدثين مع القدامى الأئمة في وصفهم لصوت القاف بالجره، حيث يرونها مهموسة فما حجتها في دعواهم؟ وعم تضعفها؟ وما الرأي الذي تميل إليه مشفوعاً بعلّة ميلك إليه؟

١٩- أصاب التغيير صوت الناء في اللهجات العربية المعاصرة. فإلام تغيرت موضعاً بالأمثلة؟ وما العلاقة بين الصورة الأصلية للناء، وما تغيرت إليه؟

٢٠- درست الأصوات الآتية: "الطاء، والذال، والفاء".

فقيم اتفقت هذه الأصوات؟ وفيم اختلفت؟ وما مصادر اتفاقها واختلافها؟

٢١- درست الواو والياء المديتين كما درستهما لينتين.

اذكر الفرق بينهما مديتين ولينتين من حيث مخرجهما، وصفاتهما وطريقة تكوينهما ونطقهما، واشفع إجابتك بالأمثلة الموضحة.

ثالثاً: عم تفسر ما يأتي:

١- اهتزاز الوترين الصوتيين في حالة كونهما مشدودين؟

- ٢- حدة الصوت؟
- ٣- امتناع بعض اللغويين المحدثين من وصف صوت الحمزة بالجهر والهمس؟
- ٤- اضطراب رأي الخليل بن أحمد في مخرج الحمزة؟
- ٥- وصف القاف باللهوية؟
- ٦- سلامة قول المحدثين بـمس القاف وصحته، وكذلك سلامة قول القدامى بجهرها؟
- ٧- احتفاظ صوت الفاء بجميع صفاته حتى في اللهجات الدارجة؟
- ٨- المبالغة في إظهار الميم الساكنة إذا وليها فاء أو واو؟
- ٩- إظهارها مع باقي الأصوات الساكنة؟

## النشاط التعليمي للوحدة الثانية

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات هذه الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

- اجمع ما كتبه كل القدامى، وكل المحدثين حول مفهوم الشدة والرخاوة والتوسط، والإطباق والانفتاح، والاستعلاء والاستفال، والذلاقة والإصمات، والأصوات الشديدة والرخوة والمتوسطة، والمطبقة والمنفتحة، والمستعلية والمستفلة والمذلقة والمصمتة، مستعيناً على ذلك بما جمعه شبكات الاتصال المختلفة، وبالمكتبات الخاصة والعامة، وبالدراسات المتخصصة والمنشورات والحوليات، والفصليات لتفيد من كل منها.

- ناقش زملاءك مناقشة علمية موضوعية في مفهوم الصفات الخاصة، وصفات القوة ولضعف، وما يقوى به الصوت ويضعف، والفرق بين الصفات العامة (المشتركة) والصفات الخاصة.



## الوحدة الثالثة

### المقاطع الصوتية، النبر، من أحكام التجويد

مبررات دراسة الوحدة:

الدارس العزيز: هذه هي الوحدة الثالثة وفيها -إن شاء الله- سوف تعرف حقيقة المقاطع اللغوية وما تتكون منه؛ لتعلم أن الكلمة العربية يتكون بناؤها من مقاطع تختلف صورها وتتعدد أشكالها.

وسوف نتعرف على تاريخ الدراسة المقطعية للكلمات، ويتأكد لك اختلاف المقاطع الصوتية من لغة لأخرى، وأنها لا تتخذ شكلاً واحداً، بل منها ما يكون مفتوحاً ومنها ما يكون مقفولاً، وتكشف لك أهمية الدراسة المقطعية لأصوات الكلمة، فهي إحدى الوسائل الشرعية التي تؤكد أصالة الكلمة من عجمتها أو عجمتها من أصلتها، كما تُعين على تحديد مواضع النبر في الكلمة العربية، كما تعيننا على تعلم اللغة الفصحى تعليماً صحيحاً، وفي هذه الوحدة تقف على أشكال المقاطع غير العربية التي تؤكد لك عجمة الكلمة وبعدها عن أرومة العربية الكريمة.

وفي هذه الوحدة تدنو من دراسات لغوية طريفة أنت في حاجة إليها حيث إنها تمهدك إلى الطريقة المثلى في تعلم العربية الفصحى.

كما يتجلى لك في هذه الوحدة اختلاف اللغات في نبر كلماتها وخضوعها في ذلك لقانون أو عدم إخضاعها نبر كلماتها لقوانين تعارفت عليها اللغة، وأقرتها مقاييسها الصوتية.

ويتجلى لك في هذه الوحدة أن للعربية نظاماً فرعياً في تجديد النبر بكلماتها.

وفيها يتكشف لك اختلاف مواضع النبر في الكلمات العربية. وفي هذه الوحدة تعلم أن بين النبر في اللغة الفصحى، والنبر في اللهجات العربية المعاصرة فرقاً يتعين عليك معرفته والوقوف عليه، لتقف من خلال ذلك على الفروق الدقيقة بين الفصحى ولهجاتها المعاصرة وفي هذه الوحدة تتعرف على أمور مهمة تتعلق بتلاوتك لآي الذكر الحكيم فهي سلاحك وعدتك في أثناء تلاوتك لكتاب الله الحكيم.

كما تتعرف من خلالها على أهم مباحث علم التجويد القرآني ومجالاته وأدواته. وفي هذه الوحدة يتعلم الدارس المدود بصورها وأشكالها ومقدار كل منها، ويقف على أسبابها.

ومن خلال دراستنا للفتح والإمالة نقف على بعض خصائص العربية التي نحن في حاجة شديدة إلى معرفتها.

ودراستك لهذه الوحدة ستوقفك على مصطلحات صوتية تَعَلُّمُكُ إياها ضرورة، وفهمك لها يعينك على البحث والدرس والتحليل والاستنباط.

لذا أدعوك -عزيزي الدارس- للإقبال على مذاكرة وفهم واستيعاب هذه الوحدة لتيسر لك سبيل الوصول إلى الإجابة، والله يوفقك.

الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

- ١- تفهم على مفهوم الوحدات الصوتية.
- ٢- تعرف مفهوم المقطع الصوتي.
- ٣- تدرك ما يتكون منه المقطع الصوتي.
- ٤- تدرك أن التقسيم إلى مقاطع قد سبق التقسيم إلى كلمات.
- ٥- تعرف ضربي المقاطع ونوعي كل منهما.
- ٦- تفهم على أشكال المقاطع العربية.
- ٧- تفهم بعض خصائص العربية في ضوء مقاطعها.
- ٨- تعرف ما يعد من المقطع وما لا يعد منه.
- ٩- تفهم أسرار الدراسة المقطعية لكلمات العربية.
- ١٠- تفهم أن دراسة المقاطع لها أهمية عظيمة في تعلم اللغة.
- ١١- تُعرّف النبر تعريفاً صحيحاً.
- ١٢- تفرق بين نبر الكلمة ونبر الجملة.
- ١٣- تعرف أن موضع النبر من الكلمة من المسائل التي تختلف فيها اللغات.
- ١٤- تعلم أن للعربية الفصحى نظاماً معيناً في نبر الكلمات.
- ١٥- تفهم على حقيقة علم التجويد.
- ١٦- تفرق بين علم الأصوات، وعلم التجويد.
- ١٧- تفهم على حقيقة ما قاله السلف الأئمة عن علم التجويد.
- ١٨- تعرف أحكام النون الساكنة المختلفة وضابط كل منها وبيئته.
- ١٩- تفهم على أحكام الميم الساكنة، والبيئة الصوتية لكل منها.
- ٢٠- تفهم حقيقة همزة الوصل وغرضها.
- ٢١- توازن بينها وبين همزة القطع.

### الفصل الأول: المقاطع الصوتية، النبر:

- تعريف المقطع. - طبيعته. - المقاطع اللغوية وقسماتها. - اختلاف المقاطع باختلاف اللغات. - أشكال المقاطع في اللغة العربية.
- أهمية دراسة المقاطع الصوتية.
- نماذج لمقاطع غير عربية.
- مفهوم النبر، وطبيعته:
- اختلاف مواضع النبر باختلاف اللغات.
- ضوابط النبر في العربية الفصحى.
- الفرق بين النبر في الفصحى والدراجة.

### الفصل الثاني: من أحكام التجويد القرآني:

- حقيقة التجويد في اللغة والاصطلاح.
- الوقف والابتداء. - بين المد والقصر.
- بين الفتح والإمالة. - بين الإظهار والإدغام.
- أحكام النون الساكنة والتنوين.
- الإظهار بقسميه.
- الإدغام بضريبه وحروف كل منهما.
- الإقلاب وبيئته الصوتية.
- الإخفاء وبيئته الصوتية.
- أحكام الميم الساكنة.
- همزة الوصل بين السماع والقياس.

الوحدة  
الثالثة  
المقاطع  
الصوتية،  
النبر،  
من أحكام  
التجويد  
القرآني

## الفصل الأول: المقاطع الصوتية، النبر

### المبحث الأول: المقاطع

بعد أن تكلمنا عن الأصوات التي هي بمثابة اللبنات الأولى للألفاظ، وعرفنا أن هذه الأصوات إما أصوات يينة، أو أصوات ساكنة، كما عرفنا أن الأولى واضحة في السمع بخلاف الثانية، والأصوات هذه بنوعيتها هي المرحلة الأولى، واللبنة الأساسية في تكوين الألفاظ.

ولقد نظر اللغويون إلى الكلام فحللوه إلى وحدات صوتية أكبر من الأصوات المفردة، وأطلقوا على هذه الوحدات التي تتكون من نوعي الأصوات اللينة والساكنة اسم "المقاطع".

ذلك أن إصدار جملة من الجمل، أو لفظ من الألفاظ هو عبارة عن إصدار سلسلة متتابعة من الأصوات، يتطلب النطق بها القيام بطائفة من عمليات الانفتاح والانغلاق في جهاز النطق لدى الإنسان، والفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز النطق سواء كان الغلق كاملاً أو جزئياً هي التي تمثل "المقطع".<sup>(١)</sup>

فالمقطع هو مجموعة من الأصوات المفردة تقع بين كل انفتاح من انفتاحات الفم في أثناء الكلام، ومن الانفتاح الذي يليه.

والمقطع أصغر وحدة صوتية تتألف من الأصوات المفردة.

"بل إن التقسيم إلى مقاطع قد سبق التقسيم إلى كلمات، ففي أقدم النصوص الكثير من اللغات لا يفصل بين الكلمات، ففيها آخر كل كلمة مركب مع مبدأ الكلمة التالية تبعاً لقواعد الكتابة المقطعية، تلك هي الحال في كتابات الهند القديمة، وكذلك في الكتابة القبرصية، وهي بدورها كتابة مقطعية".<sup>(٢)</sup>

(١) دروس في علم أصوات العربية لكاتبينو (ص ١٩١) بتصرف.

(٢) اللغة لفندريس، ترجمة الدكتور عبد الحميد الدواخلي، والأستاذ محمد القصاص (ص ٨٥).

والمقاطع عامة يمكن تقسيمها إلى نوعين رئيسيين:

- ١- مقطع مفتوح: وهو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل.
- ٢- مقطع مقفول: وهو الذي ينتهي بصوت ساكن واحد أو صوتين ساكنين وهو المزدوج.

ومن تعريف النوعين يتضح لنا:

أن النوع الأول يشمل نوعين:

- أ- مقطع مفتوح قصير: وهو الذي ينتهي بصوت لين قصير.
- ب- مقطع مفتوح متوسط: وهو الذي ينتهي بصوت لين طويل.

والنوع الثاني يشمل نوعين:

- أ- مقطع مقفول: وهو الذي ينتهي بصوت ساكن.
  - ب- مقطع مقفول مزدوج: وهو الذي ينتهي بصوتين ساكنين.
- واللغات الإنسانية تختلف في إثارة بعض الأنواع من المقاطع، فبعض اللغات لا يميل إلى المقفولة، وبعضها الآخر يؤثر المقاطع المفتوحة، ولغتنا العربية رغم ميلها إلى المقاطع الساكنة، إلا أن بها النوعين: المفتوح، والمغلق.
- وقد ذكر نحاة العربية القدماء استحالة اجتماع أربعة متحركات في الكلمة الواحدة، وكرهته فيما هو كالكلمة الواحدة، وأباحوا توالي أربعة مقاطع مغلقة فيما هو كالكلمة الواحدة، إذ لنا أن نقول: "استفهمتم"<sup>(١)</sup> ودراسة النسيج المقطعي في اللغة العربية يظهر لنا أن اللغة العربية تشمل أنماطاً معينة من المقاطع، هي كما يأتي:

المبحث الثاني: أشكال المقاطع في اللغة العربية:

المقاطع في اللغة العربية أشكال وأنماط معينة، هي على الوجه الآتي:

(١) انظر: الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس (ص ١٦٣).

سته مقاطع: الأول والثاني مفتوحان، والأربعة الأخيرة مقفولة.

١- ويتكون من ساكن + لين قصير.

مثاله: المقاطع الثلاثة من الفعل ضرب.

٢- ويتكون من: ساكن + لين طويل.

مثاله: المقطع الأول من الفعل نام.

٣- يتكون من: ساكن + لين قصير + ساكن.

مثاله: حرف الجر من.

٤- ويتكون من: ساكن + لين طويل + ساكن.

مثاله: كلمة "ناب" عند الوقف عليها.

٥- ويتكون من: ساكن + لين قصير + ساكن.

مثاله: المقطع الأخير من كلمة "المستقر" عند الوقف عليها.

٦- ويتكون من: ساكن + لين طويل + ساكنين.

ومثاله هو: المقطع الأول من "ضالين" وهو "ضال" إذ في بعض القراءات

يطيلون ألف المد، وفي هذه الحالة يتكون هذا المقطع.

وهذا النوع من المقاطع نادرٌ في النثر العربي، ولا يوجد مطلقاً في الشعر العربي".<sup>(١)</sup>

وبالنظر في أنماط المقاطع هذه، ونسبة ورودها في اللغة العربية، تبين لنا أن

الثلاثة الأولى أكثر وروداً في اللغة العربية، ثم يأتي بعدها النوع الرابع، ويأتي في

الغالب في نهایات الكلمات، ووجوده في حشوها نادر مثل: "مدهامتان" وهو

الثاني "هام".

أما النوع الخامس فنادر، ولا يأتي إلا في نهاية الكلمات عند الوقف عليها

وأما النوع السادس فنادر جداً، ولا يأتي إلا في حال الوقف دائماً.

(١) انظر: الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس (ص ١١٤).

هذا والكلمة في اللغة العربية يمكن أن تكون مقطعاً واحداً أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة، ولا يوجد في اللغة العربية أكثر من سبعة مقاطع مطلقاً.

وإليك الأمثلة على الترتيب:

- ١- الكلمات العربية التي تتكون من مقطع واحد مفتوح قصير كواو العطف، أو مفتوح طويل مثال: "يا" في النداء، وذو، وأغلب ما يأتي على هذا النوع، وهو النوع الثاني أدوات نحوية، أما غير الأدوات فقليل، مثاله: فعل الأمر: ع من وعي. وقد تأتي الكلمات المكونة من مقطع واحد من النوع الثالث مثل: صد، بل، يد، دم. وقد تكون من النوع الرابع مثل: ناب، في حال الوقف. وقد تكون من النوع الخامس، مثل: كلمة "درب" حال الوقف.
- ٢- وأما الكلمات العربية المكونة من مقطعين مثل: ناموا.
- ٣- والمكونة من ثلاثة مثل: شرب، كتب،... إلخ.
- ٤- والمكونة من أربعة مثل: ثمرة، بلحة،... إلخ.
- ٥- والمكونة من خمسة مثل: ثمرتك، شجرتك، بلحتك،... إلخ.
- ٦- والمكونة من ستة مثل: ثمرتكما، شجرتكما... إلخ.
- ٧- والمكونة من سبعة: نحو قوله تعالى: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ).

والكلمات ذات الأربعة والخمسة، والستة والسبعة كلها من ذوات الملحقات الصرفية<sup>(١)</sup>، ومما لاشك فيه أن معرفتنا لأنواع النسيج في اللغة العربية يسهل علينا معرفة الكلمات التي دخلت العربية، وهي أصلاً ليست من اللغة العربية؛ لأن اللغات لا تتفق في طريقة نسيج كلماتها، بل تختلف فيما بينها اختلافاً بيناً، فإذا عرفنا أنماط المقاطع التي تنسج منها الكلمات العربية - وهي

(١) انظر: مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان (ص ١٤٣).

الأنواع السابقة- أمكن الحكم على الكلمات التي يأتي نسجها المقطعي مخالفاً للمنهج الذي تسير عليه العربية.

فمثلاً من الكلمات التي لا تكون عربية:

١- الكلمات المؤلفة من ثمانية مقاطع.

٢- الكلمات المجردة من اللواحق، وتشمل أربعة مقاطع من النوع الأول.

٣- الكلمات المجردة، وتتكون من مقطع من النوع الثالث، مقطعين من النوع الثاني.

٤- الكلمات المكونة من ثلاثة مقاطع، الأول فيها من النوع الثاني، والثاني والثالث من النوع الثالث.

هذه الكلمات على سبيل لمثال لا تكون عربية؛ لأن هذا النسج غير عربي، ولا يتسع المجال لذكر جميع الأشكال التي لا تأتي عليها الكلمات في اللغة العربية. من هنا يظهر لنا أهمية دراسة المقاطع للوقوف على ما يلائم هذه اللغة، وما لا يُسمح به في لغة أخرى.

هذا بالإضافة إلى أمر لا يقل أهمية عن سابقه، وهو أن دراسة المقاطع في لغتنا العربية يسهل لنا مهمة تحديد موقع النبر من الكلمة، وهو ما سوف نبينه فيما يلي - إن شاء الله تعالى.

### المبحث الثاني: النبر

النبر هو الضغط على مقطع معين من الكلمة، وعند النبر تنشط جميع أعضاء النطق في وقت واحد، ويقول كاتينيو في تعريفه:

"النبرة هي إشباع مقطع من المقاطع بأن تقوي إما ارتفاعه الصوتي أو شدة أو مداه، أو عدة عناصر من هذه العناصر في نفس الوقت، وذلك بالنسبة إلى نفس العناصر في المقاطع المجاورة".<sup>(١)</sup>

(١) دروس في أصوات العربية (ص ١٩٤).

ويجدر العناية بالتمييز بين نبر الكلمة ونبر الجملة<sup>(١)</sup>.  
 ومن الملاحظ أنه عند النبر على مقطع معين من الكلمة أن جميع أعضاء  
 النطق تنشط نشاطاً ملحوظاً، ونعني جميع الأعضاء بما فيها الرتبان والأوتار  
 الصوتية والفراغات الرنانة المقوية للصوت، وباقي أعضاء النطق الأخرى.  
 ونطق اللغة لا يكون سليماً وصحيحاً إلا إذا لوحظ موطن النبر من الكلمة.  
 وموضع النبر من الكلمة من الأمور التي تختلف فيها اللغات الإنسانية؛ إذ  
 منها ما يخضع لقانون خاص<sup>٢</sup> بموطن النبر في كلماته كاللغة العربية، واللغة  
 الفرنسية، ومنها ما لا يكاد يخضع لقاعدة معينة كاللغة الإنجليزية<sup>(٢)</sup>.  
 ونبر الكلمات في اللغات الهندوأوربية له دور بارز في التمييز بين الصيغ  
 النحوية أو بين الكلمات، وذلك بحسب مكان وقوعها منها، أو بحسب جنسها؛  
 ولذلك عالج النحاة الهنود واليونانيون، واللاتينيون مسألة نبر الكلمة ومكان النبر.  
 واللغة العربية لها نظام معين في نبر الكلمات؛ إلا أن هذا النظام وهذه  
 القواعد لا تعتمد في الحقيقة على أية رواية قديمة، فلم يذكرها النحاة العرب  
 الذين وضعوا اللغة العربية بدقة وبراعة أدهشت المحدثين، وكانت محل إعجابهم.  
 إلا أننا نستطيع تحديد موطن النبر من خلال قراءة القرآن الكريم، إذ أن  
 القرآن الكريم هو النص الذي تلقاه الخلف من السلف، ولم يصله أي تحريف أو  
 تحوير، وهذا من فضل الله على اللغة العربية التي كانت لسان الوحي الباقي  
 والمعجز إلى يوم القيامة.

(١) انظر: السابق (ص ١٩٤).

(٢) انظر: الأصوات اللغوية (ص ١١٩) يقول الدكتور إبراهيم أنيس: "إن بعض الكلمات الإنجليزية يختلف استعمالها باختلاف موضع النبر فيها، فبعض الكلمات لا يفرق بينها حين تستعمل فعلاً أو اسماً إلا اختلاف موضع النبر".

ويمكن معرفة موضع النبر في الكلمات العربية بدقة وعناية على ضوء سماعنا  
لقراء القرآن المجيد في عصرنا هذا.  
هذه القواعد هي<sup>(١)</sup>.

١- إذا كان المقطع الأخير من الكلمة من النوعين: الرابع والخامس كان هو  
موضع النبر، ولا يكون هذا إلا في حالة الوقف، كما نعرف مثاله في الوقف على  
قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(٢)</sup> [نَسْتَعِينُ] وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ  
الْمُسْتَقَرُّ﴾ [الْمُسْتَقَرُّ] فالنبر في الأول على "عين" وفي الثاني على "قر".

٢- وإذا لم يكن المقطع الأخير من النوعين السابقين نظرنا للمقطع قبل  
الأخير؛ فإذا كان من النوعين: الثاني والثالث كان النبر عليه، وهذا الموضع هو  
موطن النبر في الكثرة الغالبة من الكلمات العربية، وكذلك يكون النبر على  
المقطع قبل الأخير إذا كان من النوع الأول بشرط ألا يسبق بمثله، مثل: يكتب،  
وشارك، فالمقطع قبل الأخير من النوع الأول في هاتين الكلمتين، ولم يسبق بمثله.

٣- النبر على المقطع الأول: وذلك إذا كان المقطع الثاني من الكلمة من  
النوع الأول وسبق بمثله، أي بمقطع من النوع الأول في هذه الحالة يكون النبر  
على المقطع الأول، أو بعبارة أخرى على المقطع الثالث حين نعد المقاطع من  
الآخر فالوسط فالأول، أي: عكسيًا، مثاله: كتب، شرب، فرح، فالنبر على  
المقطع الأول وهو الكاف، والشين، والفاء، مع ملاحظة أن هذه الأصوات

(١) يلاحظ أن أداة التعريف "ال" لا تعد ضمن مقاطع الكلمة، أما ما يلحق بالكلمة من ضمائر متصلة؛ وكذلك

حروف المضارعة فهو من مقاطع الكلمة، وعد المقاطع في الكلمة يراعي حال نطقها وفي درج الكلام.

(٢) انظر في قواعد النبر: الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس (ص ١٢٠-١٢١) ودروس في أصوات

العربية (ص ٩٥)، ومناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان (ص ١٦١-١٦٣)، والوجيز في فقه اللـ

(ص ٢٤٩-٢٥٠).

الساكنة مع الصوت القصير، وهو الفتحة؛ لأن هذا المقطع يتكون كما عرفنا من صوت ساكن + صوت قصير.

٤- النبر على المقطع الرابع: ونعني بالرابع هنا حين نعد المقاطع من الآخر إلى الأول أي: من آخر الكلمة إلى أولها، وهذا لا يكون إلا في حالة واحدة، وهي نادرة، وذلك أن تكون المقاطع الثلاثة التي قبل المقطع الأخير من النوع الأول، مثل: شجرة فالنبر على المقطع الأول والذي يتكون من: صوت ساكن + صوت قصير.

هذا في العربية الفصحى، وهو ما يعنينا، وهو المقصد الأساسي لهذه الدراسة الصوتية، حتى نستطيع نطقها النطق السليم؛ كي نحافظ على كتاب الله ﷻ.

أما في اللهجات العربية المعاصرة، أو إن شئت قلت: اللسان الدارج أو العامي، فيخضع لقواعد تختلف عما قلناه، ووضحناه، ولقد بالغ المحدثون في القول بأهمية دور نبر الكلمة في الألسن الدارجة الحديثة مبالغة مفرطة، واعتبروا نبر الكلمة المحرك الأول في جميع التحويرات التي طرأت على التركيب المقطعي<sup>(١)</sup> ويذكر كاتينو أن نبر الكلمة ضعيف في أكثر الألسن الدارجة في العربية.

(١) انظر: دروس في أصوات العربية (ص ١٩٥)، أفرده بالتصنيف عدد كبير من العلماء منهم: أبو جعفر النحاس وابن الأنباري، والزجاجي، والراني، والقماني، والسجاوندي وغيرهم.

## الفصل الثاني: من أحكام التجويد

التجويد مصدر من الفعل 'جَوَّدَ' والاسم منه الجودة ضد الرداءة.

والتجويد: الإتيان بالقراءة بجودة الألفاظ، بريئة من الرداءة في النطق، أي: النطق بها نطقًا جيدًا متينًا قويًا.

ومعناه كما يقول ابن الجزري: انتهاء الغاية في التصحيح، وبلوغ النهاية في التحسين، والتجويد حلية التلاوة، وزينة القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها وراتبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره، وتصحيح لفظه، وتلطيف النطق به على حال صيغته، وكمال هيئته، من غير إسراف ولا إفراط ولا تكلف وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بقوله: "من أحب أن يقرأ القرآن غصًا كما أنزل فليقرأه قراءة ابن أم معبد" يعني: عبد الله بن مسعود وكان ﷺ قد أعطي حظًا عظيمًا في تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله كما أنزل، وناهيك رجل أحب النبي ﷺ أن يسمع القرآن منه، ولما قرأ أبكى الرسول ﷺ - كما ثبت في الصحيحين.

وأول ما يجب على مرید إتقان قراءة القرآن تصحيح إخراج كل حرف من مخرجه وإعطاؤه صفته المعروفة به ليمتاز من غيره، وقد قدمنا مخارج الحروف وصفاتها؛ لأن ذلك بمثابة الأساس الأول لمن يريد إتقان قراءة القرآن الكريم. وسوف نذكر بعض أحكام لتجويد في هذا المبحث تميمًا للفائدة، وبالله التوفيق.

بين الوقف والابتداء<sup>(١)</sup>:

من الأمور ذات الأهمية الواضحة للعيان معرفة أحكام الوقف والابتداء في قراءة القرآن الكريم، فهو فنٌ جليل به تعرف كيفية أداء القراءة، يقول عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: "لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيماء

(١) أفردته بالتصنيف عدد كبير من العلماء، منهم: أبو جعفر النحاس وابن الأباري، والزجاجي، والداودي، والعماني، والجاوندي وغيرهم، انظر: الإتقان (١/١٠٩).



والوقف الحسن: هو الذي يحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده، كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ١]؛ لأن الابتداء برب العالمين لا يحسن لكونه صفة لما قبله.

والوقف القبيح: هو الذي ليس بتام ولا حسن، كالوقف على " بِسْمِ " من قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ [الفاتحة: ١].

ولا يتم الوقف على:

- ١- المضاف دون المضاف إليه.
  - ٢- المنعوت دون النعت.
  - ٣- الرفع دون مرفوعه وعكسه.
  - ٤- الناصب دون منصوبه وعكسه.
  - ٥- المؤكد دون توكيده.
  - ٦- المعطوف دون المعطوف عليه.
  - ٧- البديل دون مبدله.
  - ٨- إن، وكان، وظن، وأخواتها دون اسمها، ولا اسمها دون خيرها.
  - ٩- المستثنى دون الاستثناء.
  - ١٠- الموصول دون صلته اسماً كان أو حرفاً.
  - ١١- الفعل دون مصدره.
  - ١٢- الحرف دون متعلقه.
  - ١٣- الشرط دون جزائه.
- وهناك تقسيمات أخرى للوقف مذكورة في كتب القراءات، ونكتفي ذكرناه هنا لضيق المكان<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: الإتيان للسيوطي (١١٢/١٠) وما بعدها.

## كيفية الوقف على أواخر الكلم:

للووقف على أواخر الكلم في اللغة العربية أوجه متعددة، والمستعمل منها عند أئمة القراءات تسعة، وهي:

١- السكون: وهو الأصل في الوقف على الكلمة المحركة وصلماً؛ لأن معنى الوقف: الترك والقطع؛ ولأنه ضد الابتداء فكما لا يبدأ بساكن، لا يوقف على متحرك، وهذا هو اختيار كثير من القراء.

٢- الروم: وهو عبارة عن النطق ببعض الحركة، وعند بعض العلماء هو ضعف الصوت في أثناء النطق بالحركة، حتى يذهب معظمها، ولا يكون الروم مع الفتحة؛ لأن الفتحة خفيفة، إذا خرج بعضها خرج سائرهما، فلا تقبل التبعيض، فالروم يختص بالرفوع والمجزوم، والمضموم، والمكسور، بخلاف المفتوح.

٣- الإشمام: وهو الإشارة إلى الحركة من غير تصويت، وفسره بعضهم بأنه جعل الشفتين على صورة الحركة، وكلا التفسيرين واحد.

ويختص الإشمام بالضمة سواء كانت حركة إعراب أم بناء، وإذا كانت لازمة. أما الضمة العارضة، وميم الجمع عند ضم، وهاء التأنيث إذا كان موقوفاً عليها بالهاء فلا روم في ذلك، ولا إشمام.

هذا، والوقف بالروم والإشمام ورد عن أبي عمرو<sup>(١)</sup> والكوفيين نصاً، ولم يأت عن الباقيين فيه شيء.

## ٤- الإبدال: ويكون كما يلي:

أ- في الاسم المنصوب المنون يوقف عليه بالألف بدلاً من التنوين، ومثله إذن حرف النون، ففي حال الوقف يوقف عليها بالألف بدل النون.

(١) أبو عمر بن العلاء، إمام قراء البصرة، وهو العالم اللغوي المعروف المتوفى سنة ١٥٤هـ، وهو أحد القراء السبعة.

ب- وفي الاسم المفرد المؤنث بالتاء يوقف عليه بالهاء بدلاً منها.  
ج- وإذا كان آخر الكلمة الموقوف عليها همزة متطرفة بعد حركة أو ألف، فإنه يوقف عليها عند حمزة، بإبدالها حرف مد من جنس ما قبلها، وإن كان ألفاً جاز حذفها.

٥- النقل: ويكون فيما آخره همزة بعد ساكن؛ فإنه يوقف عليه عند همزة بنقل حركتها إليه، فيحرك بها، ثم تحذف هي، سواء كان الساكن صحيحاً مثل: "ينظر المرء- لكل باب منهم جزء"، أم كان ياء أو وواواً أصليين، وسواء كانتا أحرف مد أو لين، مثل: "المسيء- أن تبوء- سيء- قوم سوء".

٦- الإدغام: وهو فيما آخره همزة بعد ياء أو واوٍ زائدتين؛ فإنه يوقف عليه عند حمزة أيضاً بالإدغام، بعد إبدال الهمزة من جنس ما قبلها، نحو: "النسيء، وبريء، وقروء".

٧- الحذف: ويكون في الياءات الزوائد عند من يثبتها وصلاً، ويحذفها وقفاً، وياءات الروائد هي التي لم ترسم، وعددها مائة وإحدى وعشرون، منها خمس وعشرون في حشو الآي، ولباقي في رؤوس الآي.

فنافع وأبو عمرو، وحمزة<sup>(١)</sup> والكسائي، وأبو جعفر<sup>(٢)</sup> يثبونها في الوصل دون الوقف، وابن كثير<sup>(٣)</sup> ويعقوب<sup>(٤)</sup> يثبتان في الحالين، وابن عامر<sup>(٥)</sup> وعاصم<sup>(٦)</sup>

(١) حمزة أحد القراء السبعة، وهو من قراء الكوفة، توفي سنة ١٥٦هـ.

(٢) هو يزيد بن القعقاع الحزومي المدني، إمام قراء العربية وأحد القراء العشرة توفي سنة ١٣٠هـ.

(٣) هو عبد الله بن كثير إمام أهل مكة في القراءة، ولد سنة ٤٥هـ، وتوفي سنة ١٢٠هـ، وهو أحد القراء السبعة.

(٤) هو يعقوب بن إسحاق الحضرمي، توفي سنة ٢٠٥هـ.

انتهت إليه رياضة الإقراء في البصرة بعد أبي عمرو بن العلاء عالم من علماء النحو والقراءات، وأحد القراء العشرة.

(٥) هو عبد الله بن عامر إمام القراء في الشام، وأحد القراء السبعة، توفي بدمشق سنة ١١٢هـ.

(٦) هو عاصم بن مهدي بن أبي السجود، أحد القراء السبعة، انتهت إليه رياضة القراءة بالكوفة، بعد أبي عبد

الرحمن السلمي توفي سنة ١٢٧هـ.

وخلف<sup>(١)</sup> يحدفون في الحالين، وربما خرج بعضهم عن أصله في بعضها.

٨- الإثبات: يكون في الياءات المحذوفة وصلاً عند من يثبتها وقفاً نحو:

"هاء- وال- واق- باق".

٩- الإلحاق: هو ما يلحق آخر الكلم من هاءات السكت عند من يلحقها

في: عم- فيم- بم- لم- مم، والنون المشددة من ضمير جمع الإناث نحو: هن، ومثلهن، والنون المفتوحة في نحو: العالمين- واللذين- والمفلحون والمشدد المبني نحو: ألا تعلقو علي، وخلقت بيدي، ومصرخي، ولدي.

وهناك إجماع على لزوم اتباع رسم المصاحف العثمانية في الوقف إبدالاً

وإثباتاً وحذفاً ووصلاً وقطعاً.

إلا أنه ورد عنهم خلاف في أشياء بأعيانها، كالوقف بالهاء على ما كتب

بالتاء، وإلحاق الهاء فيما تقدم من نحو: عم، وغيره، وبإثبات الياء في مواضع لم يرسم بها، والواو في: ويدع الإنسان، يوم يدع الداع، سندع الزبانية، ويمح الله الباطل، والألف في: أيه المؤمنون، أيه الساحر، أيه الثقلان.

وتحذف النون في "وكأين" حيث وقع؛ فإن أبا عمرو يقف عليه بالياء،

ويوصل "أياما" في الإسراء و "مال" في النساء، والكهف، والفرقان، وسأل، وقطع ونبان، ويكأنه، وألا يسجدوا، ومن القراء من يتبع الرسم في الجميع.

بين المد والقصر:

روي أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقرأ رجلاً رجلاً، فقرأ الرجل: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ

لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] مرسله، فقال ابن مسعود: ما هكذا قرأنيها رسول الله ﷺ، فقال: قرأنيها: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ فمدوها<sup>(٢)</sup>.

(١) هو خلف بن هشام البزار، وهو أحد القراء العشرة، وهو من رواة حمزة، وتوفي ببغداد سنة ٢٢٩هـ.

(٢) أخرجه الطبراني، وانظر: الإتيان (١/١٢٧).

فالمد والقصر من المباحث ذات الأهمية التي لا تخفى على أحد، وسوف نلقي الضوء على هذا المبحث فيما يلي:

المد: هو زيادة في طول حرف المد عن المد الطبيعي، والمد الطبيعي هو الأصلي، وهو الذي لا تقوم ذات حرف المد دونه، ومقداره حركتان، والحركة هي مقدار بسط الأصبع أو ثنيه.

والقصر: هو ترك تلك الزيادة، وإبقاء الطبيعي على حاله.

وقد ذكرنا في دراستنا لأصوات اللين أن طول الصوت اللين أو قصره لا يغير موضع المخرج والفرق بين الطويل والقصر هو فرقة في الكمية، أي فرق في زمن النطق فقط، وأصوات اللين الطويلة هي ما يعرف عند القدماء بحروف المد، وحروف المد هي:

١- الألف مطلقاً؛ لأنها ساكنة، وقبلها مفتوح دائماً.

٢- الواو الساكنة، وقبلها مضموم.

٣- الياء الساكنة، وقبلها مكسور.

والمد نوعان: أصلي، وهو الطبيعي، ومد فرعي: وهو الزائد على المد الأصلي في حروف المد المذكورة، وله سببان:

١- السبب اللفظي.

٢- السبب المعنوي.

فاللفظي: همز أو سكون، فالهمز يكون بعد حرف المد وقبله، فإن كان معه في كلمة واحدة، فهو المد الواجب المتصل، ومثاله: أولئك، شاء الله، ومن سوء، ويضيء وإن كان قبله فهو المد البدل، ومثاله: آدم- إيمان- وأوتوا.

وإن كان حرف المد آخر الكلمة، والهمز أول الكلمة الثانية فيسمى المد الفرعي الجائز المنفصل، ومثاله قوله تعالى: ﴿بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾، ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾، ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾.

ويسمى في الآيتين فرعياً، إلا أنه في الأولى واجب متصل، وفي الثانية جائز منفصل، وإذا كانت همزة قبل حرف المد سمي "المد البدل"؛ لأن في الثانية أُبدلت حرف مد.

والمد الفرعي - بسبب وجود السكون بعد حروف المد - قسمان:

أ- مد لازم: ويكون إذا كان السكون الذي يليه لازماً، وهو الذي لا يتغير حاله؛ لأن السكون في بنية الكلمة، ومثاله: "الضالين" "الم" "تجاجوني".

ب- مد جائز: ويكون إذا كان السكون الذي يليه عارضاً وذلك في حال الوقف، ومثاله: العباد - نستعين - موقنون حال الوقف على هذه الكلمات.

وقد أجمع القراء على مد الفرعي المتصل [وهو الذي تأخرت فيه همزة عن حرف المد] وذو الساكن اللازم، وإن اختلفوا في مقداره، واختلفوا في مد النوعين الآخرين، وهما: المنفصل، والساكن العارض، وفي قصرهما<sup>(١)</sup> وأما المد البدل هو ما تقدم فيه الهمز، فحكمه الجواز لقصره لحركتين عند الجميع، وجوازه عند ورش فقط.

وأما السبب المعنوي: كقدر المبالغة في النفي للتعظيم نحو: لا إله إلا الله، والذي يعيننا في هذا المبحث هو السبب اللفظي، وقد عرفته.

مما سبق نستنتج ما يأتي:

١- أسباب المد شيثان، لفظي [همزة أو سكون] ومعنوي.

٢- الهمز سبب لأنواع المد الثلاثة:

أ- المتصل مثل: ما جاء.

ب- والمنفصل مثل: يا أيها.

ج- والبدل، مثل: آمنوا.

(١) انظر: الإتيان (١/١٢٧)، وما بعدها، وانظر: النشر (١/٣١٣) وما بعدها.

## ٣- أحكام المد ثلاثة، هي:

أ- الوجود: وله نوع واحد، وهو المد المتصل، وهو ما جاء فيه بعد حرف المد همزة في كلمة واحدة، وقد أجمع القراء على مدّه، واختلفوا في الكمية، فحذف يمدّه مقدار أربع حركات أو خمس في الوصل، أما في الوقف فستّ حركات.

ب- الجواز: وله أنواع كثيرة، سنذكر منها ثلاثة أنواع، وهي:

١- المد المنفصل: وهو ما جاء فيه بعد حرف المد همزة منفصلة في كلمة أخرى، مثل: بما أنزل- قالوا آمنا- وفي أنفسكم.

٢- المد العارض للسكون: وهو ما جاء فيه بعد حرف المد سكون عارض في حال الوقف فقط، مثل: العالمين.

٣- المد البدل: وهو ما كانت الهمزة فيه متقدمة على حرف المد؛ وسمي بدلاً لأن الهمزة الثانية أبدلت حرف مد مثل آمنوا.

ج- اللزوم: له نوع واحد، وهو ما جاء فيه بعد حرف المد سكون لازم في حالة الوصل والوقف، مثل: صاخة، وحكم هذا المد اللزوم للزوم مده ست حركات من غير زيادة ولا نقص عند جميع القراء.

وفي حال الوقف عليه إذا كان مرفوعاً مثل "ولا جان" فيه ثلاثة أوجه: السكون المحض، والروم، والإشمام، وإن كان مجروراً ففيه وجهان: السكون المحض، والروم، وإن كان منصوباً ففيه السكون المحض فقط.

٤- المد الطبيعي: مقداره حركتان، والحركة قبض الإصبع أو بسطه، ويعبر عنه بالألف فالألف مقدارها حركتان، والمد غير الطبيعي مقداره أربع حركات أو خمس أو ست.

فواتح السور في ضوء أحكام المد والقصر:

- ١- الم: تنطق هكذا: "الف لام ميم" تشدد الميم الأولى، وتمد لا والياء مدًا زائدًا.
- ٢- الر: تنطق هكذا: "الف لام را" بدون نطق همزة بعد لفظة را، ويقتصر في مده على المد الطبيعي، وهو حركتان.
- ٣- المر: تنطق هكذا: "الف لام ميم را" تشدد الميم الأولى، ولا تنطق همزة بعد لفظ را، ويقتصر في مدها على المد الطبيعي، وهو حركتان، أما الياء فتمد مدًا زائدًا.
- ٤- كهيعص: ينطق هكذا: "كاف ها يا عين صاد" لا تنطق همزة بعد لفظه ها، وتمد ياء لفظه عين لالتقاء الساكنين، وتمد الصاد مدًا زائدًا.
- ٥- طه: تنطق هكذا: "طاها" يقتصر في كل منهما على المد الطبيعي، وهو حركتان أو بمقدار ألف.
- ٦- طسم: وتنطق هكذا: "طا سم ميم" بدون همزة بعد لفظه طا، ومع تشديد الميم الأولى ومد الألف، وكل من اليائين مدًا زائدًا.
- ٧- طس: وتنطق هكذا: "طا سين" تمد الطاء مدًا طبيعيًا، أي بمقدار حركتين فقط، ويجوز زيادة مد الياء مدًا زائدًا.
- ٨- يس: وتنطق هكذا: "ياسين" تمد الياء مدًا طبيعيًا، أي بمقدار حركتين فقط، ويجوز زيادة مد الياء مدًا زائدًا.
- ٩- ص: وتنطق هكذا: "صاد" تمد مدًا زائدًا.
- ١٠- حم: تنطق هكذا: "حا ميم" تمد الحاء مدًا طبيعيًا بمقدار حركتين وتمد الياء مدًا زائدًا.
- ١١- عسق: وتنطق هكذا: "عين سين قاف" تمد ياء عين لالتقاء الساكنين وكذلك تمد ياء سين وألف قاف مدًا زائدًا.
- ١٢- ق: وتنطق هكذا: "قاف" تمد مدًا زائدًا.

١٣- ن: وتنطق هكذا: "نون" تمد مدًا زائدًا.

### بين الفتح والإمالة:

الفتح كما ينبه ابن الجزري في كتابه "النشر في القراءات العشر": هو فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف، ويقال له أحيانًا النصب.

والإمالة: هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء كثيرًا، وهو المحض، ويقال له أيضًا: الاضطجاع، والبطح والكسر، وهو بين اللفظين<sup>(١)</sup>.

وقد بينا كيفية النطق بالفتحة إذا كانت قصيرة، وبألف المد إذا كان صوت اللين طويلاً ثم بينا أيضًا كيفية نطق الإمالة، وموضعها، وعلاقتها بالمقاييس المعيارية حتى يكون القارئ على بينة من هذه الأصوات، وبهنا هنا أن نذكر بعض ما ورد في هذه الظاهرة على ضوء ما ذكر في كتب القراءات:

يقول الداني: الفتح والإمالة لغتان مشهورتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم.

فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد وتميم وأسد وقيس، والأصل فيها حديث حذيفة مرفوعًا: "اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم وأصوات أهل الفسق، وأهل الكتابين"<sup>(٢)</sup>.

ثم يقول: "فالإمالة من الأحرف السبعة من لحون العرب وأصواتها".

والإمالة قسمان:

أ- إمالة شديدة. ب- إمالة متوسطة.

فالشديدة وهي القريبة من الكسرة أو الياء، ويجتنب معها القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه.

(١) انظر: الإتيان (١/١٢٠)، وانظر: النشر (١/٣١٣) وما بعدها.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

والمتوسطة هي: التي بين الفتح المتوسط<sup>(١)</sup> والإمالة الشديدة.

والعلماء مختلفون في أيهما أوجه وأولى، ولكن الداني يقول: وأنا أختار الإمالة الوسطى التي هي بين بين؛ لأن الغرض من الإمالة حاصل بها، وهو الإعلام بأن أصل الألف الياء، والتنبيه على انقلابها إلى الياء في موضع، أو مشاكتها للكسر المجاور لها أو الياء.

أسباب الإمالة:

يقول ابن الجزري: إنها ترجع لشيئين، أحدهما: الكسرة، والثاني: الياء، وكل منهما متقدماً على محل الإمالة من الكلمة ومتأخراً عنه، ويكون أيضاً مقدراً في محل الإمالة، وقد تكون الكسرة والياء غير موجودين في اللفظ، ولا مقدرتين في محل الإمالة، ولكنهما مما يعرض في بعض تصاريف الكلمة، وقد تمال الألف أو الفتحة لأجل ألف أخرى أو فتحة أخرى مماله، وتسمى هذه إمالة لأجل إمالة، وقد تمال الألف تشبيهاً بالألف المماله، ثم يضيف ابن الجزري سببين آخرين، وهما الإمالة بسبب كثرة الاستعمال، والإمالة التي تكون للفرق بين الاسم والحرف، وبذلك تكون أسباب الإمالة اثني عشر سبباً.

والقراء العشرة أمالوا إلا ابن كثير؛ فإنه لم يمل شيئاً في جميع القرآن، وأما ما يمال فمواضع استيعابه كتب القراءات، والكتب التي عاجلت ظاهرة الإمالة في القرآن الكريم، والمتخصصة في هذا المبحث.

وسوف نذكر هنا فقط ما يدخل تحت ضابط:

حمزة والكسائي وخلف أمالوا:

١- كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت في القرآن أو فعل، مثل: الهدى،

(١) قسم القراء الفتح إلى نوعين: شديد، ومتوسط، فالشديد: هو نهاية فتح الشخص بلفظ الحرف، ولا يجوز في القرآن الكريم بل هو معدوم في لغة العرب، والفتح المتوسط هو: فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف، ويقال له أحياناً: النصب.

وأتى... إلخ.

٢- كل ألف تأنيث على فعلى، سواء كانت الفاء مضمومة أو مكسورة أو

مفتوحة، مثل: بشرى القربى، ضيزى، وألحقوا بذلك: موسى، عيسى، يحيى.

٣- كل ما كان على وزن فعال بالضم أو بالفتح فعل: سكارى، يتامى.

٤- كل ما رسم في المصاحف بالياء، مثل: بلى، متى، ويا أسفى، ويا ويلتى، ويا

حسرتى، وأنى للاستفهام.

٥- كذلك أمالوا من الواوي ما كسر أوله أو ضم: الربا كيف وقع، والضحى

كيف جاء، والقوى، والعلى.

٦- أمالوا رؤوس الآي من إحدى عشرة سورة جاءت على نسق، وهي: طه،

والنجم، وسأل، والقيامة والنازعات، وعبس، والأعلى، والشمس، والليل،

والضحى، والعلق.

ووافق على هذه السور أبو عمرو بن العلاء، وورش القارئ المصري.

وأمال أبو عمرو كل ما كان فيه راء بعد ألف بأي وزن كان مثل: ذكرى،

بشرى، أسرى، وأراه، واشترى، وترى، والقرى، والنصارى، وأسارى، وسكارى.

ووافق على ألفات فعلى كيف أتت.

وأمال أبو عمرو والكسائي كل ألف بعدها متطرفة مجرورة، مثل: الدار،

النار، القهار، الغفار، الديار، الكفار، وأبصارهم، وأدبارها، وأشعارها، وحمار،

سواء كانت الألف أصلية أم زائدة وأمال حمزة من عين الماضي من عشرة أفعال،

وهي: زاد- شاء- جاء- خاب- ران- خاف- زاغ- طاب- ضاق- حاق،

حيث وقعت وكيف جاءت.

وأمال الكسائي هاء التأنيث وما قبلها وقفًا مطلقًا بعد خمسة عشر حرفًا،

يجمعها قولك: "فجئت زينب لذود شمس".

وتفتح بعد عشرة أحرف، وهي: "جاع حض صفت قط".  
والأربعة الباقية وهي "الهر" إن كان قبل كل منها ياء ساكنة أو كسرة  
متصلة أو منفصلة بساكن تميّل، وإلا تفتح، وباقي الأحرف فيها خلاف وتفصيل،  
ولا ضابط لها، فيُرجع لها في كتب هذا الفن.

### فواتح السور في ضوء الفتح والإمالة:

"الر" في السور الخمس أمالها كل من حمزة والكسائي وخلف وأبي عمرو  
وابن عامر وأبي بكر، وجعلها بين بين ورش.

وأمال الهاء من فاتحة سورة مريم وطه كل من أبي عمرو والكسائي وأبي بكر.  
وأمال حمزة وخلف طه دون مريم.

وأمال الياء من أول مريم من أمال الراء إلا أبا عمرو على المشهور عنه،  
ومن أول يس حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر.

وأمال هؤلاء الأربعة من طه وطسم وطس، والحاء من حم في السور  
السبع ووافقهم في الحاء ابن ذكوان.

### بين الإظهار والإدغام:

الحروف المتجاورة تختلف في نسبة تأثرها بعضها ببعض، فقد يكون التأثر  
في الصفات بأن ينقلب الحرف من الجهر إلى الهمس، أو من الهمس إلى الجهر.

وأقصى ما يصل إليه الحرف في تأثره بما يجاوره أن يفنى في الحرف  
المجاور فلا يترك له أثرًا، وفناء الحرف في الحرف هو ما يطلق عليه عند  
القدماء "الإدغام".

والإدغام: هو اللفظ بحرفين حرفًا كالثاني مشددًا<sup>(١)</sup>.

وينقسم إلى قسمين:

(١) الإتيان (١/١٢١) وما بعدها.

أ- الإدغام الكبير. ب- الإدغام الصغير.

فالإدغام الكبير: (١) ما كان الأول من الحرف متحركاً سواء أكان الحرفان مثلين (٢) أم جنسين (٣) أم متقاربين (٤).

وشرطه أن يلتقي الحرفان حطاً ولفظاً، أو خطاً لا لفظاً، ليدخل نحو: "إنه هو"، ويخرج نحو: "أنا نذير".

وسببه: التماثل والتجانس والتقارب، ويقول ابن الجزري: والأكثرون يكتفون بالتماثل والتقارب.

وموانعه ثلاثة، هي:

١- كون الأول تاء ضمير سواء كان متكلماً أو مخاطباً نحو: "كنت تراب" "أفأنت تسمع"، "خلقت طيباً"، "جئت شيناً إمرأ".

٢- وإذا كان الحرف الأول مشدداً فكذلك يمتنع الإدغام نحو: "رب بما"، "مس سقر"، "أو أشد ذكراً".

٣- وكذلك إذا كان الحرف الأول منوناً يمتنع الإدغام؛ لأننا كما نعرف أن التنوين نون ساكنة تلحق آخر الاسم المنون، ومن هنا كانت هذه النون فاصلة بين المثليين أو المتقاربين، وبذلك يتفني سبب الإدغام للفصل بينهما، نحو: "غفور رحيم"، "سميع عليم"، "ورجل رشيد"، "لذكر لك".

والإدغام الكبير مشهور بنسبته لأبي عمرو بن العلاء أحد أئمة القراء

(١) الشر (٢٧٤/١).

(٢) المثان: أن يتفق الحرفان محرراً وصفة كالباء في الباء، والتاء في التاء... إلخ.

(٣) المتجانسان: أن يتفق الحرفان محرراً ويختلفا صفة، كالذال في التاء، والتاء في الطاء، والطاء في...

(٤) والمتقاربان: أن يتقارب الحرفان محرراً أو صفة أو محرراً وصفة، في التقارب في المخرج والاتحاد في...

الصفة مثل الحاء والهاء، والتقارب في المخرج والصفة مثل اللام والراء، والتقارب في المخرج والتباعد...

في الصفة مثل الدال والسين، والتقارب في الصفة والتباعد في المخرج مثل الشين والسين.

العشرة، ولم ينسب لغيره من هؤلاء الأئمة ولكنه ورد عن جماعة خارج الأئمة العشرة كالحسن البصري، والأعمش، وابن محيص وغيرهم<sup>(١)</sup>.

**والإدغام الصغير:** هو الشائع المروي عن جمهور القراء، وهو الذي يكون الحرف الأول فيه ساكناً؛ إذ لا فاصل يفصل بين الحرفين المدغمين، أما في الإدغام الكبير فالحركة فاصلة بين الحرفين، ومن هنا سمي كبيراً لتأثيره في إسكان هذه الحركة قبل الإدغام.

**والإدغام الصغير يندرج تحته أنواع ثلاثة، هي:**

١- الواجب: وهو كل حرفين التقيا أولهما ساكن، وكانا مثلين أو جنسين، في هذه الحالة يجب الإدغام لغة وقراءة.

فالمثلان مثل: "اضرب بعصاك الحجر"، "وقد دخلوا"، "وقل لهم" والجنسان نحو: "قال طائفة"، "وقد تبين"، "إذ ظلمتم"، "بل ران"، "هل رأيتم"، "قل رب".

٢- الممتنع: ويمتنع الإدغام إذا كان الحرف الأول الساكن حرف مد، مثل: "قالوا وهم"، ومثل: "الذي يوسوس"، أو أول الجنسين حرف حلق مثل: "فاصفح عنهم".

والسر في عدم إدغام حرف المد الساكن في الحرف الذي يليه واضحة للعيان، وإن كان لم يرد لها تعليل من الغالبية العظمى التي تناولته سواء في القدم أو في الحديث، والسر في ذلك أن حرف المد - كما عرفنا - من خلال دراستنا الصوتية لين، والحرف التالي له صوت ساكن، فهما صنفان لا صنف واحد، فالمد صوت لين، والذي بعده صوت ساكن أو صامت أو ساكن أو حرف في عرف القدماء، من هنا يظهر لنا السر في عدم إدغامه في الثاني.

أما العلة في الثاني أن حروف الحلق ليست بأصل للإدغام كما يقول المراد

(١) الإتيان (١/١٢٣).

في كتابه "المقتضب"<sup>(١)</sup>.

٣- الجائز: وهو الذي جرت عادة القراءة بذكره في كتب الخلاف؛ لأن هذا النوع هو الذي اختلف القراء فيه، وهو نوعان:

أ- إدغام حرف من كلمة في حروف متعددة من كلمات متفرقة، وتتحصر في: إذ، وقد وتاء التأنيث، وهل، وبل.

إذ: اختلف في إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف، وهي: التاء، والجيم، والذال، والزاي، والسين، والصاد.

قد: اختلف في إدغامها عند ثمانية أحرف، هي: الجيم، والذال، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والطاء.

تاء التأنيث: اختلف في إدغامها عند ستة أحرف: التاء، والجيم، والزاي، والسين، والصاد، والطاء.

هل، وبل: اختلف في إدغام لهما فيما بعدهما عند ثمانية أحرف، تختص "بل" منها بخمسة أحرف، هي: الزاي، السين، الضاد، الطاء، والطاء، وتختص "هل" بحرف واحد، وهو: التاء، ويشتركان في اثنين، وهما: التاء، والنون.

ب- النوع الثاني: الإدغام الجائز: وهو إدغام حروف قربت مخارجها، وهي سبعة عشر حرفاً اختلفت فيها، وهي: الباء عن الفاء "أو يغلب فسوف" والباء عند الميم "يعذب من يشاء" في البقرة، "اركب معنا" في هود، والفاء عند الباء "نخسف بهم" في سبأ، والراء الساكنة عند اللام "يعفر لكم" واللام الساكنة في الذال "من يفعل ذلك" حيث وقع،... إلخ.

أحكام النون الساكنة والتنوين:

سبق أن تعرضنا لأحكام النون الساكنة والتنوين عند الكلام على هذا

(١) انظر: الأصوات اللغوية (ص ١٢٤).

الصوت، إلا أننا سوف نذكرها هنا على سبيل الإجمال؛ لاندراجها تحت ظاهرة الفك والإدغام، حتى يكون القارئ على بينة.

النون الساكنة تكون في الاسم والفعل والحرف، وتكون وسطاً وطرفاً، والتنوين هو عبارة عن نون زائدة ساكنة تلحق آخر الأسماء لفظاً، وتفارقها خطأً ووقفاً وللنون والتنوين أحكام أربعة، هي: الإظهار- الإدغام- الإقلاب- الإخفاء.

أولاً: الإظهار<sup>(١)</sup> وينقسم إلى قسمين:

أ- الإظهار الحلقي.

ب- الإظهار المطلق.

فالإظهار الحلقي يكون مع حروف الحلق الستة، بمعنى أنه يأتي بعد النون أو التنوين أحد حروف الحلق الستة وهي: الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والحاء في كلمة واحدة مع النون، أو في كلمتين مع النون والتنوين، وقد سبقت أمثله في إظهار النون والتنوين بعد المخرج، وله مراتب ثلاث، هي:

١- أعلى عند الهمزة والحاء.

٢- أوسط عند العين والحاء.

٣- أدنى عند الغين والحاء.

ثانياً: الإدغام:

الحالة الثانية للنون الساكنة والتنوين الإدغام وحروفه ستة يجمعها كلمة:

"يرملون" بمعنى أن تأتي بعد النون أو التنوين هذه الأحرف، وينقسم إلى قسمين:

أ- إدغام بغنة: وحروفه أربعة وهي: في لفظ "ينمو" بشرط أن تقع هذه

الحروف بعد النون في كلمتين وبعد التنوين، ولا يكون إلا في كلمتين، ويسمى

(١) لا يخفى عليك أن الإظهار -لغة-: البيان، واصطلاحاً: إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة في

الحرف المظهر، وهو هنا: "النون"، والنون التي هي: نون ساكنة أيضاً.

الإدغام بغنة إدغامًا ناقصًا لزوال الحرف وبقاء صفته.

ب- إدغام بغير غنة: وله حرفان: اللام والراء.

ثالثًا: الإقلاب: وله حرف واحد فقط، وهو: الباء، فإذا وقعت الباء بعد النون في كلمة مثل: "أنبئهم" أو في كلمتين مثل: "أن بورك" أو وقعت بعد التنوين، ولا يكون في كلمتين مثل: "سميع بصير"، "عليم بذات الصدور" قلبت النون والتنوين الذي هو عبارة عن نون ميمًا.

رابعًا: الإخفاء: وهو عبارة عن النطق بالحرف بين الإظهار والإدغام عارض التشديد الذي يكون مع الإدغام مع بقاء الغنة في الحرف الأول. وحروفه هي الحروف الباقية، وهي خمسة عشر حرفًا. ومراتب الإخفاء ثلاث، هي:

١- أعلى عند الطاء والذال والتاء.

٢- أدنى عند القاف والكاف.

٣- أوسط عند باقي حروف الإخفاء.

أحكام الميم الساكنة:

وأيضًا سبق الكلام على أحكام الميم الساكنة، وسوف نذكرها هنا على

سبيل الإجمال:

للميم الساكنة قبل حروف الهجاء - فيما عدا الألف اللينة - ثلاثة أحكام، هي:

١- الإخفاء: وله حرف واحد، وهو: الباء، فإذا وقعت الميم قبل الباء

أُخفيت ويصحبها حينئذ غنة، ويسمى إخفاء شقويًا لخروج حروفه من الشفة.

ومثاله: "يوم هم بارزون" وقيل بإظهارها، ولكن الإخفاء أولى للإجماع

على إخفائها عند القلب، ووجه الإخفاء أنهما لما اشتركا في المخرج وتجانسا في

بعض الصفات ثقل الإظهار الخالص والإدغام المحض، فعدل عنه إلى الإخفاء.

٢- الإدغام: وجوباً ويكون عند ميم مثلها، ومثاله "خلق لكم ما في الأرض" سواء كانت الميم أصلية أو مقلوبة عن النون والتونين، ويسمى إدغاماً صغيراً، ويسمى أيضاً إدغاماً بغنة.

٣- الإظهار: وجوباً من غير غنة عند بقية الأحرف، وهي الستة والعشرون الباقية ويسمى إظهاراً شفوياً، ويكون في كلمة مثل: "تمسون"، وفي كلمتين مثل: "لعلكم تتقون".

### همزة الوصل:

لم تتناول همزة الوصل عند الكلام على تصنيف الأصوات في اللغة العربية، حيث لم تذكر في الأصوات الساكنة، ولا في الأصوات اللينة، لذا نرى أن نذكر هذا الصوت في نهاية هذا الكتاب، حتى يكون القارئ على بينة من أمر هذا الصوت، وسوف يكون تناولنا له من خلال كتب القدماء<sup>(١)</sup>.

### الغرض من الإتيان بهمزة الوصل:

جاء بهمزة الوصل توصلاً للنطق بالساكن؛ لأنه لا يمكن الابتداء بالساكن.

### موضع زيادتها:

همزة الوصل موضع زيادتها الفعل، وقد زيدت في أسماء معلومة وحرف واحد. فالفعل في موضعين: الأول: الماضي الذي تجاوزت عدته أربعة أحرف، وأولها الهمزة، فهي همزة وصل، وهو الخماسي "انطلق"، والسداسي "استخرج".

(١) لأستاذنا الدكتور كمال بشر مبحث طريف عن همزة الوصل، وقد استخلص منه أن النطق بالساكن في ابتداء الكلام إلامية صوتية يجوز وقوعها في اللغة العربية، ويرجح أنها وقعت في فترة من الفترات التاريخية في اللغة العربية قبل استحداث ذلك الصوت أو الصوت في أول أنواع معينة من الكلمات.

وهذا الصوت ليس في حقيقة الأمر إلا نوعٌ من التحريك، وهو نوع من التطوير الصوتي الذي يتغير بتغير الكلام، وفي السياق يقترح أن نشير إليه بالرمز المتوسط في الأبجدية المعيارية.

انظر: دراسات في علم اللغة (ص ١٣٥-١٧٤)، علم اللغة العام، القسم الأول، د. كمال بشر.

الثاني: كل فعل أمر انفتح فيه حرف المضارعة، وسكن ما بعده مثل: اضرب، انطلق، اقتدر.

وأما زيادتها في الأسماء فعلى ضربين:

أحدهما: أسماء هي مصادر، وهي كل مصدر كانت في أول فعله الماضي همزة وصل وقعت في أوله.

والآخر: الأسماء غير المصادر، والتي فيها همزة للوصل، وهي عشرة أسماء معدودة منها سبعة جاءت في القرآن الكريم، وهي: ابن، وابنة، وامرئ، وامرأة، واسم واثنين واثنتين، أما الثلاثة التي لم ترد في القرآن الكريم فهي: است، وابنم بمعنى ابن، وأيمن الله في القسم.

وأما الحرف الذي زيدت فيه همزة الوصل فلام التعريف، وذلك لسكون لام التعريف.

حركة همزة الوصل في اللغة العربية:

وحركة همزة الوصل: الكسر في الأسماء والأفعال، إلا إذا كان ثالث الفعل مضمومًا ضمًا لازمًا فتكون الهمزة مضمومة، مثل: اخرج، واقتل.

وكانت الهمزة مضمومة هنا لكراهية إخراج من كسر إلى ضم، ولم يعتدوا بالساكن الذي بينهما؛ لأنه غير حصين<sup>(١)</sup>.

وتُفتح همزة الوصل مع لام التعريف؛ وذلك لأن اللام حرف، والهمزة حرف، فجعلوا الهمزة معها مفتوحة لتخالف حركتها في الأسماء والأفعال<sup>(٢)</sup>.

ويذكر الأشموني أن لهمزة الوصل بالنسبة لحركتها سبع حالات: وجوب الفتح، وذلك في المبدوء "بال" ووجوب الضم وذلك في نحو: اقتل، واكتب بخلاف امشوا، وامضوا، ورجحان الضم على الكسر، وذلك فيما عرض، جعل

(١) انظر: سر صناعة الإعراب لابن جني (١٣٠/١-١٣١).

(٢) نفسه (١٣١/١).

ضمة عينه كسرة نحو: اغزي، قاله ابن الناظم، وفي تكملة أبي علي أنه يجب إتمام ما قبل ياء المخاطبة، وإخلاص ضمة الهمزة.

وفي التسهيل: أن همزة الوصل تشم قبل الضم المشم، ورجحان الضم على الكسر وذلك في أيمن وإيم الله، ورجحان الكسر على الضم، وذلك في كلمة اسم، وجواز الضم والكسر في الإشمام، وذلك نحو: اختار وانقاد مبنيين للمفعول، ووجوب الكسر، وذلك فيما بقي، وهو الأصل.

حكم همزة الوصل إذا دخل عليها همزة الاستفهام:

إذا دخل على همزة الوصل همزة استفهام حذفت عند بعض القراء، مثاله: "أصطفى البنات".

أما إذا وقعت بين همزة الاستفهام ولام التعريف فلا تحذف لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر، بل تُبدل ألفاً وتمد طويلاً لالتقاء الساكنين أو تسهل بين الهمزة والألف، والإبدال أقوى، وذلك في ست كلمات باتفاق، وكلمة واحدة عند البعض، فالكلمة الواحدة هي:

"به السحر" في يونس، عند أبي عمرو، وأبي جعفر، وأما الكلمات الست فهي: "والآن" موضعي يونس و "الذكرين" موضعي الأنعام، و "الله أذن لكم بها"، و "الله خير" في النمل.

"والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله".

## خلاصة الوحدة الثالثة

لا ريب في أهمية ما طرحناه عبيك في هذه الوحدة المهمة، وقد آن لك أن نقف على خلاصتها المتمثلة في الآتي:

- ١- دراسة المقاطع الصوتية سبيلنا إلى دراسة بنية الكلمة العربية دراسة علمية.
- ٢- المقطع في مفهوم اللغويين هو مجموعة من الأصوات المفردة، تقع بين كل انفتاح من انفتاحات الفم أثناء الكلام، ومن الانفتاح الذي يليه.
- ٣- يوصف المقطع الصوتي بأنه أصغر وحدة صوتية تتألف من الأصوات المفردة.
- ٤- يتكون بناؤه الصوتي من نوع الأصوات: اللينة والساكنة.
- ٥- الوحدات الصوتية المسماة بـ المقاطع أكبر من الأصوات المفردة بنوعيتها (اللينة، الساكنة).
- ٦- يتطلب إصدار جملة من الجمل أو لفظ من الألفاظ إصدار سلسلة متتابعة من الأصوات، يقتضي النطق بها القيام بطائفة من عمليات الانفتاح والانغلاق في جهاز النطق لدى الإنسان، والفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز النطق سواء كان الغلق كاملاً أو جزئياً هي التي تمثل "المقطع".
- ٧- تقسيم اللغة إلى مقاطع أسبق من تقسيمها إلى كلمات وهذا ما تؤكد النصوص القديمة وتشهد بصحته، ويتمثل ذلك في كتابات النصوص القديمة، والكتابة القبرصية، وهي بدورها كتابة مقطعية.
- ٨- تنقسم المقاطع اللغوية عامة إلى نوعين رئيسين، هما:
  - أ- مقطع مفتوح: وهو المقطع المنتهي بصوت لين قصير أو طويل.
  - ب- مقطع مقفول: وهو المقطع المنتهي بصوت ساكن واحد أو صوتين ساكنين وهو المسمى بالمزدوج.

- ٩- وينتظم المقطع الأول ( المفتوح ) نوعين اثنين هما:  
 أ- مقطع مفتوح قصير، وهو المنتهي بصوت لين قصير.  
 ب- مقطع مفتوح متوسط: وهو المنتهي بصوت طويل.  
 ١٠- بينما ينتظم المقطع الثاني ( المقطع المقفول ) نوعين اثنين، هما:  
 أ- مقطع مقفول: وهو المنتهي بصوت ساكن.  
 ب- مقطع مقفول مزدوج: وهو المقطع المنتهي بصوتين ساكنين.  
 ١١- تأكد للغويين المحدثين وقوع المقاطع الصوتية في كلمات العربية على أشكال وصور مختلفة، أمكنهم حصرها في ستة مقاطع، أولها وثانيها مفتوحان والأربعة الأخيرة المتممة للسته مقفولة.

وبيانها كالآتي:

- أ- الأول: ما تكون من: صوت ساكن + صوت لين قصير.  
 ب- الثاني: ما تكون بناؤه من: صوت ساكن + لين طويل.  
 ج- الثالث: ما تشكل بناؤه من: ساكن + لين قصير + ساكن.  
 د- الرابع: هو ما تكون بناؤه الصوتي من: ساكن + لين طويل + ساكن.  
 هـ- الخامس: ويتشكل بناؤه من: صوت ساكن + لين قصير + صوت ساكن.  
 و- السادس: وتتكون لبناته من: صوت ساكن + صوت لين طويل + ساكنين.  
 ١٢- تجلّى لدارسي المقاطع والباحثين فيها أن الكلمة العربية تأتي على مقطع واحد مفتوح قصير أو مفتوح طويل، ومن مقطعين اثنين ومن ثلاثة، ومن أربعة، و من خمسة، ومن ستة، ومن سبعة، كما تبين لهم أن الكلمات العربية ذات الأربعة والخمسة والسته والسبعة كلها من ذوات الملحقات الصرفية.  
 ١٣- لدراسة المقاطع الصوتية للكلمات العربية دورٌ مهم وعظيم يتمثل في الآتي:  
 أ- يعين على تعلم اللغة الفصحى تعلمًا صحيحًا دون عناء.

- ب- يساعد الباحثين والدارسين على تأصيل الكلمة، والحكم بعروبتها، أو عجمتها.
- ج- يكشف عن بعض خصائص العربية الصوتية.
- د- تحديد مواضع النبر في الكلمات العربية.
- هـ- ندحض به بعض المفتريات التي يطلقها خصوم العربية مثل وصمها بالصعوبة والثقل، وأنها تأتي الخفة والسهولة.
- ١٤- يمكننا الحكم في ضوء دراستنا للمقاطع الصوتية لكلمات العربية بانتفاء العروبة عما يأتي من الكلمات الآتية، والقول دون تردد بأها دخيلة:
- أ- الكلمات المؤلفة من ثمانية مقاطع.
- ب- الكلمات التي جاءت على أربعة مقاطع من النوع الأول وجاءت مجردة من اللواحق.
- ح- ما جاء مجرداً من الكلمات وتكوّن بناؤه المقطعي من ثلاثة مقاطع أحدها من النوع الثالث ومقطعان من النوع الثاني.
- د- ما جاء من الكلمات مكوناً من ثلاثة مقاطع الأول منها من النوع الثاني، وثانيها وثالثها من النوع الثالث.
- ١٥- النبر من الدراسات الصوتية الحديثة، وقد عُني بدراسته المحدثون لأسباب توافرت لهم، وفهمه والوقوف على حقيقته مما يعين على تعلم اللغة، ويكشف عن بعض أسرارها ودقائقها.
- ١٦- والنبر لدى اللغويين وبخاصة المحدثون هو الضغط على مقطع معين من الكلمة.
- ١٧- ومن النبر نبر الكلمة، ونبر الجملة، ولكل منهما دلالة.
- ١٨- تنشط جميع أعضاء النطق عند النبر على مقطع معين من الكلمة.
- ١٩- سلامة النطق وصحته مرهونة بملاحظة موطن النبر من الكلمة.
- ٢٠- من اللغات ما يخضع نبر الكلمات بما لقواعد أقرتها اللغة، ومنها ما لا يخضع لقاعدة.

٢١- علم التجويد من أشرف العلوم وأجلّها، فهو علم ذو قدر استمده من القرآن الكريم.

٢٢- مباحث علم التجويد القرآني مباحث مقصورة على النص القرآني الكريم، بخلاف علم الأصوات، فدراسته تنتظم أصوات العربية الفصحى.

٢٣- والتجويد هو: الإتيان بالقراءة بمجودّة الألفاظ، بريفة من الرداة في النطق، وهو كما عرفه الإمام ابن الجزري: انتهاء الغاية في التصحيح، وبلوغ النهاية في التحسين.

٢٤- علم التجويد القرآني علم له مرجعيته الشرعية وسنده الصحيح المتواتر عن المعصوم عليه السلام.

٢٥- من مباحث علم التجويد القرآني وأهمها شأنًا مخارج الأصوات وطبقاتها الخاصة والمشاركة، ومعرفة مخارج الحروف وصفاتها الخاصة والعامة، مما يحسن به الأداء ويحلو.

- الوقف يأتي على صور ثلاث لكل منها مفهومه وهي علي النحو التالي:  
أ- الوقف التام، وهو الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، ولا يكون بعده ما يتعلق به.

ب- الوقف الحسن: وهو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده.

ج- الوقف القبيح: هو الذي ليس بتام ولا حسن.

ولكل من هذه الأنواع ما يمثلها من آي الذكر الحكيم.

- للمد نوعان: أصلي، وهو المسمى بالمد الطبيعي، وفرعي وهو الزائد على

المد الأصلي في حروف المد المذكورة، وللمد الفرعي سببان اثنان، هما:

أ- السبب اللفظي. ب- السبب المعنوي.

وللمد الفرعي بسبب وقوع السكون إثر حروف المد قسمان:

أ- مد لازم و هو ما كان السكون فيه لازماً لا يتغير حاله.

ب- مد جائز وهو ما كان السكون فيه عارضاً للوقف.

٢٦- الهمزة في ضوء ما درسته سبب لأنواع المد الثلاثة:

أ- المتصل. ب- المنفصل. ج- مد ابدال.

- وللمد أحكام ثلاثة تتمثل فيما يلي:

١- الوجوب ويقع ذلك في المد المتصل.

٢- الجواز، ويقع ذلك في أنواع كثيرة يكفي بذكر ثلاثة منها على النحو التالي:

أ- المد المنفصل وهو ما جاء فيه بعد حرف المد همزة منفصلة في كلمة أخرى.

ب- المد العارض للسكون: وهو ما جاء فيه بعد حرف المد سكون عارض

في حال الوقف فقط.

ج- المد ابدال، وهو ما كانت الهمزة فيه متقدمة على حرف المد.

٣- اللزوم: ويقع في نوع واحد فقط، وهو ما جاء فيه بعد حرف المد سكون

لازم في حالة الوصل والوقف.

ولكل من هذه الصور المدية ما يمثلها من كلمات القرآن الكريم.

٢٧- مما عرفته من مباحث علم التجويد القرآني الفتح والإمالة، والفتح كما عرفه

علماء الأداء هو فتح القارئ لفيه بلفظه الحرف ويسمى أحياناً: النصب،

ويعزى الفتح لأهل الحجاز.

والإمالة كما عرفها علماء الأداء القرآني هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة

وبالألف نحو الياء كثيراً، والإمالة لغة عامة أهل نجد وتميم وأسد وقيس.

وهي من الأحرف السبعة التي نزل القرآن الكريم بها، وهي من لحون

العرب وأصواتها ولإمالة قسمان:

أ- إمالة شديدة، وهي القريبة من الكسرة أو الياء.

ب- إمالة متوسطة، وهي التي بين الفتح المتوسط والإمالة الشديدة.

- ٢٨- الإظهار والإدغام لغتان شائعتان من لغات العرب.  
 والإظهار في الاصطلاح إخراج كل حرف من مخرجه إخراجاً كاملاً.  
 - وللإدغام نوعان:  
 أ- الإدغام الكبير وهو ما كان الحرف الأول من الحرفين متحركاً.  
 ب- الإدغام الصغير وهو الذي يكون الحرف الأول فيه ساكناً وللإدغام موانعه المتمثلة فيما يأتي:  
 أ- كون الأول تاء ضمير للمتكلم أو المخاطب.  
 ب- كون الحرف الأول منوئاً.  
 ٢٩- يختلف الإدغام في القراءات القرآنية عنه في غيرها حيث يشترط فيه في القراءة صحة الرواية وسلامة السند، بخلاف غير القراءة فلا يشترط فيه ذلك.  
 ٣٠- من مباحث التجويد القرآني التي درستها أحكام النون الساكنة والتنوين، وهي:  
 ١- الإظهار عند حروف (الهمزة، والهاء، والعين والحاء، والغين والخاء).  
 ٢- الإدغام بغنة في حروف (ينمو) وبغير غنة في حرفي (ل، ر).  
 ٣- الإقلاب عند الباء.  
 ٤- الإخفاء عند خمسة عشر حرفاً هي (ص - ذ - ث - ك - ج - ش - ق - س - د - ط - ز - ف - ت - ض - ظ).  
 ٣١- ومن مباحث التجويد: أحكام الميم الساكنة، وهي ثلاثة:  
 ١- الإخفاء. ٢- الإدغام. ٣- الإظهار.  
 ٣٢- همزة الوصل تقع سماعية كما تقع قياسية وتأتي في أمر الثلاثي وماضي الخماسي والسداسي وأمرهما ومصدرهما.  
 ٣٣- همزات الحروف عدا "ال" همزات قطع وكذلك همزات الأسماء، سوى العشرة المنصوص عليها همزات قطع.

## اختبار الوحدة الثالثة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- تمثل الأصوات بضربها: اللينة، والساكنة اللينات الأولى في تكوين الألفاظ.
- ٢- الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز النطق سواء كان الغلق كاملاً أو جزئياً هي التي تمثل " المقطع".
- ٣- المقطع الصوتي هو أكبر وحدة صوتية تتألف من الأصوات المفردة.
- ٤- تأتي المقاطع على صورة واحدة.
- ٥- المقطع الصوتي المفتوح هو الذي ينتهي بصوت ساكن واحد أو صوتين ساكنين، وهو المزدوج.
- ٦- للمقطع المفتوح نوعان هما: قصر، وطويل.
- ٧- لا تميل اللغات إلى المقاطع المقفولة.
- ٨- بعض اللغات يميل إلى المقاطع المقفولة.
- ٩- تميل كل اللغات إلى المقاطع المفتوحة.
- ١٠- مخالفة الكلمة النسج المقطعي للكلمة العربية دلالة قاطعة على عجمتها وبرهان على أنها كلمة دخيلة.
- ١١- الكلمات المجردة من اللواحق، وانتظمت أربعة مقاطع من النوع الأول كلمات دخيلة (أعجمية).
- ١٢- الكلمات التي تكون بناؤها المقطعي من ثلاثة مقاطع، أولها من النوع الثاني، وثانيها وثالثها من النوع الثالث كلمات عربية الأصل.
- ١٣- لا أثر للدراسة المقطعية في معرفة الدخيل من المفردات من الأصيل.
- ١٤- يمكن معرفة موضع النبر في الكلمات العربية بدقة وغاية على ضوء سماء

لقراء القرآن المجيد في عصرنا هذا.

- ١٥- إن بعض الكلمات الإنجليزية يختلف استعمالها باختلاف موضع النبر فيها فبعض الكلمات لا يفرق بينها حين يستعمل فعلاً أو اسماً إلا باختلاف موضع النبر.
- ١٦- تتفق اللغة الفصحى واللهجات العربية الحديثة في قواعد النبر للكلمات.
- ١٧- يرى كاتبينو أن نبر الكلمة ضعيف في أكثر الألسن الدارجة في العربية.
- ١٨- دراسة النبر في العربية دراسة قديمة.
- ١٩- دراسة النبر ذات أهمية في تعلم العربية تعلمًا صحيحًا.
- ٢٠- دراسة النبر توقفتنا على بعض خصائص العربية.
- ٢١- أغفلت دراسة القدامى الصوتية دراسة النبر.
- ٢٢- التجويد عند البنا اللمياني: انتهاء الغاية في التصحيح، وبلوغ النهاية في التحسين.
- ٢٣- لا يحسن الوقف ولا يتم على المستثنى دون الاستثناء.
- ٢٤- يتم الوقوف على الفعل دون مصدره.
- ٢٥- يتم الوقف ويحسن على أدوات الشرط.
- ٢٦- لا يتم الوقف على أحد المتلازمين.
- ٢٧- الوقف في قوله " وأولئك هم المفلحون". " أم لم تنذرهم لا يؤمنون" وقف تام.
- ٢٨- الوقف على كلمة "بسم" من قوله تعالى: "بسم الله" وقف قبيح.
- ٢٩- يعد السكون هو الأصل الأصيل في الوقف على الكلمة المحركة وصلًا؛ لأن معناه الترك والقطع، وهو ضد الابتداء فكما لا يبدأ بساكن لا يوقف على متحرك، وهو اختيار كثير من القراء.
- ٣٠- لا يكون الروم مع الفتحة؛ لأن الفتحة خفيفة، إذا خرج بعضها خرج سائرهما، فلا تقبل التبعيض.
- ٣١- الإشمام إحدى وسائل الوقف لدى بعض القراء، وهو الإشارة إلى الحركة من

غير تصويت، وهو لدى بعضهم الآخر جعل الشفتين على صورة الحركة.

٣٢- حمزة قارئ كوفي.

٣٣- ابن عامر قارئ بصري.

٣٤- الإمام نافع قارئ المدينة.

٣٥- القعقاع أحد القراء العشرة.

٣٦- يعقوب الحضرمي قارئ بصري، وأحد القراء السبعة.

٣٧- للمد الفرعي سببان اثنان هما: سبب لفظي، سبب معنوي.

٣٨- يتمثل سبب المد اللفظي في الهمز أو السكون.

٣٩- إذا وقع حرف المد في آخر الكلمة الأولى، والهمز في أول الكلمة الثانية

سمي المد بالمد الواجب المتصل.

٤٠- يسمى المد مدًا لازمًا إذا كان السكون الذي بعده عارضًا.

٤١- أجمع القراء على مدّ الفرعي المتصل، كما أجمعوا على مقداره.

٤٢- المد البدل حكمه الجواز لقصره.

٤٣- المد اللازم حكمه الوجوب.

٤٤- ينحصر المد الجائز في ثلاث صور.

٤٥- يقال للفتح: الاضطجاع والبصح والكسر.

٤٦- لا صلة للإمالة بأصوات اللين ومقاييسها المعيارية.

٤٧- الفتح لغة عامة أهل نجد وتميم وأسد وقيس.

٤٨- تعد الإمالة وكذلك الفتح من الأحرف السبعة التي يُقرأ بها القرآن الكريم.

٤٩- الإمالة الشديدة هي التي بين الفتح المتوسط والإشباع المبالغ فيه.

٥٠- الغرض من الإمالة هو الإعلام بأن أصل الألف الياء، والتنبيه على انقلاب

إلى الياء في موضع، أو مشاكلتها للكسر المجاور لها أو الياء.

- ٥١- قد تمال الألف أو الفتحة لأجل ألف أخرى أو فتحة أخرى ممالة.
- ٥٢- يرى ابن الجزري أن من أسباب الإمالة كثرة الاستعمال.
- ٥٣- أمال حمزة كل ما كان فيه راء بعد ألف بأي وزن كان نحو: "ذكرى، بشرى، أسرى، وأراه، واشترى، وترى، والقرى، والنصارى، وأسارى، وسكارى".
- ٥٤- أمال خلف هاء التانيث وما قبلها وقفًا مطلقًا بعد خمسة عشر حرفًا: "فجئت زينب لذود شمس".
- ٥٥- الطريقة المثلى لتعلم الفتح والإمالة تعلمًا صحيحًا: تعلمهما على يد مجيد متقن لهما.
- ٥٦- الإمالة في اللهجات العربية تخضع لما تخضع له الإمالة في القراءات القرآنية.
- ٥٧- الإمالة إحدى صور المماثلة.
- ٥٨- أمال الهاء من فاتحة سورة مريم، وطه كل من الإمام نافع وعاصم وحمزة.
- ٥٩- بالإظهار والإدغام قرئت بعض آي الذكر الحكيم، وكل منهما يمثل أحد الأحرف القرآنية السبعة التي نزل القرآن الكريم عليها.
- ٦٠- يكشف الإدغام عن بعض خصائص العربية العظيمة.
- ٦١- الإدغام هو أقصى ما يصل إليه الحرف في تأثره بما يجاوره بحيث يفنى في الحرف المجاور له فلا يُترك له أثر.
- ٦٢- يتمتع الإدغام إذا كان الحرف الأول الساكن حرف مد، أو أول الجنسين حرف حلق.
- ٦٣- الإدغام في الآيات الكريمة الآتية إدغام ممتنع: "قالوا وهم"، "الذي يوسوس"، "فاصفح عنهم".
- ٦٤- كل ما تميزه اللغة من صور الإدغام المختلفة نقرأ به القرآن الكريم.
- ٦٥- الوسيلة المثلى لتعلم الإدغام التلقين والمشاهدة، شريطة تحقق ذلك على يد شيخ يجيد هذا الفن ويتقنه.
- ٦٦- الإظهار والإدغام من مباحث علم الأصوات.

- ٦٧- تقع النون الساكنة في الأفعال دون سواها من الكلم العربي.
- ٦٨- تقع النون الساكنة في أقسام الكلمة المختلفة.
- ٦٩- لا تقع النون الساكنة إلا في طرف الكلمة.
- ٧٠- بين الإظهار الحلقي والمطلق فرق يتمثل في حروف كل منهما.
- ٧١- يتعين إظهار النون وكذلك التنوين إذا وقع بعدهما حرف حلقي.
- ٧٢- الإظهار المطلق أكثر أمثلة من الإظهار الحلقي.
- ٧٣- للإخفاء عشرون حرفاً.
- ٧٤- إخفاء النون والتنوين عند الطاء والذال والتاء إخفاء أدنى.
- ٧٥- للميم الساكنة قبل حروف الهجاء -فيما عدا الألف اللينة- خمسة أحكام.
- ٧٦- همزة "ال" همزة قطع.
- ٧٧- تكسر همزة الوصل في الأسماء والأفعال دون قيد أو شرط.
- ٧٨- تكسر همزة الوصل مع لام التعريف.
- ٧٩- إذا وقعت همزة الوصل بين همزة الاستفهام ولام التعريف تَعَيَّنَ بقاء همزة الاستفهام وامتنع حذفها.
- ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:
- ١- المقطع الصوتي يوصف بأنه:
- أ- أكبر وحدة صوتية تتألف منها الأصوات المفردة.
- ب- أصغر وحدة صوتية تتألف منها الأصوات المفردة.
- ٢- تقسيم اللغة إلى مقاطع:
- أ- أسبق من تقسيمها إلى كلمات.
- ب- تقسيم لاحق على تقسيمها إلى كلمات.
- ٣- المقطع المفتوح القصير هو:
- أ- المنتهي بصوت طويل.

- ب- المنتهى بصوت لين قصير.  
ج- المنتهى بصوتين ساكنين.  
٤- المقطع المقفول هو:  
أ- المنتهى بصوت ساكن.  
ب- المنتهى بصوت لين قصير.  
ج- المنتهى بصوت طويل.  
٥- يحكم على الكلمة بكونها دخيلة إذا كانت:  
أ- مكونة من ثلاثة مقاطع.  
ب- مكونة من أربعة مقاطع.  
ج- مكونة من ثمانية مقاطع.  
٦- النبر لدى اللغويين:  
أ- لا يوجد إلا في الكلمة المفردة.  
ب- يوجد في الكلمة ويوجد كذلك في الجملة.  
٧- جميع اللغات الإنسانية:  
أ- تتفق في مواضع النبر من كلماتها.  
ب- تختلف في مواضع النبر من كلماتها.  
٨- يأتي الوقف في علم التجويد على:  
أ- ثلاث صور.  
ب- صورتين اثنتين.  
ج- صورة واحدة.  
٩- للمد الفرعي في التجويد القرآني:  
أ- أربعة أسباب.

ب- سببان اثنان.

ج- سبب واحد.

١٠- مد البدل هو:

أ- ما جاء فيه بعد حرف المد همزة منفصلة في كلمة أخرى.

ب- ما جاء فيه بعد حرف المد سكون عارضة.

ج- ما كانت الهمزة فيه متقدمة على حرف المد.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- للأصوات اللغوية ضربان درستهما، ولكل منهما خصائصه التي تميزه من الآخر، اذكر هذين الضربين، وأبرز خصائص كل منهما.

٢- "... بل إن التقسيم إلى مقاطع، قد سبق التقسيم إلى كلمات ففي أقدم النصوص

الكثير من اللغات لا يفصل بين الكلمات، ففيها آخر كل كلمة مركب مع مبدأ

الكلمة التالية تبعاً لقواعد الكتابة المقطعية، تلك هي الحال في كتابات الهند

القديم، وكذلك في الكتابة القبرصية وهي بدورها كتابة مقطعية".

تأمل هذا النص، واكشف عن فكرته المحورية ودلالاتها.

٣- تختلف اللغات الإنسانية في إثارة بعض الأنواع من المقاطع. اشرح هذا

القول في ضوء ما درست وبين ما تؤثره العربية من مقاطع.

٤- لمقاطع العربية أشكالها المختلفة. اذكرها وأشفع كلاً منها بما يوضحه من أمثلة.

٥- تأتي الكلمة العربية على مقطع واحد، كما تأتي على سبعة مقاطع.

اشرح هذا القول في ضوء ما درسته.

٦- نص اللغويون المحدثون على مقاطع لا تعرفها العربية ويأبأها نسيجها الصوتي.

اذكرها واكشف عن دلالتها.

- ٧- لاشك أن بين الأوزان العروضية والمقاطع العربية علاقة وآصرة قرى. تناول ذلك بالبيان والتحليل.
- ٨- هناك نبر للكلمة، ونبر للجملة. ميز بين النبرين على هدي من دراستك.
- ٩- للمد نوعان حفلت بذكرهما وبيان حقيقتهما وأمثلتها مؤلفات علماء الأداء القرآني. وضح هذا القول على هدي مما درست.
- ١٠- للمد الفرعي صور مختلفات وضحها علماء التجويد القرآني في مؤلفاتهم النفيسة، وكشفوا فيها كذلك عن سر تعددها، بسين هذا مشفوعاً بالأمثلة القرآنية الموضحة لإجابتك.
- ١١- للمد أحكام ثلاثة بينها مؤلفات التجويد القرآني، اذكر هذه الأحكام ومواضع كل منها، موضحاً ما تذكره بالأمثلة القرآنية.
- ١٢- للمدود على مختلف صورها كقيمتها وضوابطها. وضح هذه الحقيقة مستعيناً بالأمثلة القرآنية.
- ١٣- ما الصورة المثلى لمد فواتح السور القرآنية؟
- ١٤- اذكر أهم مؤلفات القدامى والمحدثين في علم الأداء القرآني.
- ١٥- للإمالة بيتها، وللفتح كذلك بيته. أفصح عن بيتها واكشف عن دلالة كل منهما.
- ١٦- ما حكم همزة الوصل الواقعة بين همزة الاستفهام ولام التعريف؟
- ١٧- علل لإجابتك وادعمها بالأمثلة القرآنية.
- ثالثاً: بم تعلل ما يأتي؟
- ١- اهتمام اللغويين المحدثين بالدراسة المقطعية لأصوات العربية؟

- ٢- استحالة اجتماع أربعة متحركات في الكلمة الواحدة، وكرامته فيما هو كالكلمة الواحدة؟
- ٣- سلامة اللغة من حيث النطق مرهونة بملاحظة موطن النبر من الكلمة؟
- ٤- تحديد موطن النبر من خلال الأداء القرآني؟
- ٥- تنوع الإظهار والإدغام؟
- ٦- تنوع مراتب الإدغام والإخفاء؟
- ٧- مجيء همزة الوصل سماعية وقياسية؟
- ٨- ضم همزة الوصل وامتناع كسرهما إذا كان ثالث الكلمة مضمومًا؟
- ٩- جواز حذف همزة الوصل عند دخول همزة الاستفهام عليها؟





الصفحة	الموضوع
٤	رسالة إلى الدارس
٥	لوحة المسار لدراسة وحدات الكتاب
٦	خريطة مكونات الكتاب
<b>القسم الأول</b>	
٧-٨١	<b>الوحدة الأولى: فقه اللغة ومستويات التحليل اللغوي</b>
٩	ميررات دراسة الوحدة الأولى
١٠	أهداف دراسة الوحدة الأولى
١٣	الرسم الخطي للوحدة الأولى
١٤	الفصل الأول: بين فقه اللغة وعلم اللغة
١٨	مباحث فقه اللغة
١٨	المبحث الأول: الكلام على أصل اللغة الإنسانية الأولى
١٩	المبحث الثاني: حياة اللغة وما طرأ عليها
١٩	المبحث الثالث: دراسة الأصوات التي تكوّن الألفاظ اللغوية
٢٠	المبحث الرابع: دراسة اللغة من حيث المعنى
٢١	المبحث الخامس: علم النظر "الستكس"
٢١	المبحث السادس: علم الأساليب "الستيسلتيك"
٢٢	المبحث السابع: البحث في الأصول التي جاءت منها الكلمات
٢٣	المبحث الثامن: بحوث اجتماعية

٢٤	المبحث التاسع: بحوث نفسية
٢٥	مقاصد فقه اللغة
٢٧	مناهج البحث في فقه اللغة
٢٨	منهج الملاحظة
٢٨	المنهج الوصفي
٢٩	المنهج المعياري
٣٠	المنهج التاريخي
٣١	المنهج الآلي
٣٢	المنهج التجريبي
٣٣	المنهج المقارن
٣٤	الفصل الثاني: مستويات التحليل اللغوي
٣٤	التحليل الصوتي
٣٨	التحليل البنائي (الصرفي)
٣٨	التحليل التركيبي (النحوي)
٣٨	التحليل الدلالي
٤٢	الفصل الثالث: اللغة معناها ونشأتها
٤٢	معنى اللغة من الناحية الاشتقاقية والاصطلاحية
٥٠	نظرية التوقيف
٥٥	نظرية المحاكاة
٥٥	نظرية المواضع
٥٨	نظرية الغريزة الكلامية

٥٩	النظرية الحديثة في نشأة اللغة
٦٤	خلاصة الوحدة الأولى
٦٧	اختبار الوحدة الأولى
٨١	النشاط التعليمي للوحدة الأولى
١٧٧-٨٣	<b>الوحدة الثانية: حياة اللغة</b>
٨٤	مبشرات دراسة الوحدة الثانية
٨٦	أهداف دراسة الوحدة الثانية
٨٨	الرسم الخطّي للوحدة الثانية
٨٩	الفصل الأول: حياة اللغة
٨٩	تفرع اللغة إلى لهجات
٩٠	أسباب تفرع اللغة إلى لهجات
٩٠	عوامل تفرع اللغة إلى لهجات
٩٣	تحول اللهجة إلى لغة
٩٥	الصراع اللغوي - أسبابه ونتائجه
٩٩	الفصل الثاني: الفصائل اللغوية
١٠٧	الفصل الثالث: اللغات السامية
١٠٩	مواطن الشعوب السامية
١١١	مميزات اللغات السامية
١١٢	اللغة الأكادية (البابلية والآشورية)
١١٦	اللغة الفينيقية
١١٩	اللغة العبرية

١٢١	اللغة الآرامية
١٢٥	اللغات الحبشية السامية
١٢٦	اللغة الأمهرية
١٢٨	اللغة العربية
١٣٣	بين العدنانية والحميرية
١٤٢	صراع لهجات العربية الباقية وسيادة لهجة قرش
١٤٥	مميزات اللغة العربية وخصائصها
١٤٨	الترجمة وأثرها في العربية
١٥٢	الفصل الرابع: الأبجدية العربية
١٥٧	الأبجدية وعلاقتها بالدراسة الصوتية عند العرب
١٦٠	أصل الخط
١٦٢	خلاصة الوحدة الثانية
١٦٦	اختبار الوحدة الثانية
١٧٧	النشاط التعليمي للوحدة الثانية

### القسم الثاني

٢٢٦-١٧٩

### الوحدة الأولى: فقه اللغة والأصوات

١٨١	مبررات دراسة الوحدة الأولى
١٨٤	أهداف دراسة الوحدة الأولى
١٨٦	الرسم الخطي للوحدة الأولى
١٨٧	الفصل الأول: فقه اللغة والأصوات
١٩٠	الدراسة الصوتية عند قدماء العربية

١٩٣	أثر الدراسة الصوتية في فروع الثقافة العربية
١٩٤	الدراسة الصوتية
١٩٨	أهمية علم الأصوات الفيزيائي في الدرس الصوتي
٢٠٠	مناهج البحث في الأصوات
٢٠٠	منهج الملاحظة الذاتية
٢٠١	المنهج الآلي
٢٠٤	الفصل الثاني: ظاهرة الصوت
٢٠٥	الصوت الإنساني
٢٠٧	العوامل التي تؤثر في درجة الصوت الإنساني
٢١٣	خلاصة الوحدة الأولى
٢١٩	اختبار الوحدة الأولى
٢٢٦	النشاط التعليمي للوحدة الأولى
٢٢٧-٣٠٤	<b>الوحدة الثانية: تصنيف الأصوات اللغوية وصفاتها</b>
٢٢٨	مبررات دراسة الوحدة الثانية
٢٣٠	أهداف دراسة الوحدة الثانية
٢٣٢	الرسم الخطّي للوحدة الثانية
٢٣٣	الفصل الأول: صفات الأصوات اللغوية
٢٣٣	الجهر والهمس
٢٣٧	الشدّة والرخاوة والتوسط
٢٤٠	الإطباق والانفتاح
٢٤١	الاستعلاء والاستفال

٢٤١	الذلاقة والإصمات
٢٤٤	الفصل الثاني: تصنيف الأصوات اللغوية
٢٤٥	مقاييس أصوات اللين المعيارية
٢٤٩	أنواع الأصوات المعيارية
٢٥٠	ثلاثة أنواع من الحركات
٢٥١	أصوات اللين في اللغة العربية
٢٥٧	الفصل الثالث: الأصوات الساكنة في اللغة العربية، أنواعها، مخارجها، طريقة نطقها
٢٥٨	أصوات الحلق
٢٦٣	أصوات أقصى اللسان
٢٦٦	أصوات وسط اللسان
٢٧٠	أصوات طرف اللسان
٢٨٧	خلاصة الوحدة الثانية
٢٩٦	اختبار الوحدة الثانية
٣٠٤	النشاط التعليمي للوحدة الثانية
٣٥٥-٣٠٥	<b>الوحدة الثالثة: المقاطع الصوتية، النبر، من أحكام التجويد</b>
٣٠٦	مررات دراسة الوحدة الثالثة
٣٠٨	أهداف دراسة الوحدة الثالثة
٣٠٩	الرسم الخطّي للوحدة الثالثة
٣١٠	الفصل الأول: المقاطع الصوتية
٣١٠	المبحث الأول: المقاطع

٣١١	المبحث الثاني: أشكال المقاطع في اللغة العربية
٣١٨	الفصل الثاني: من أحكام التجويد
٣١٩	أنواع الوقف والابتداء
٣٢١	كيفية الوقف على أواخر الكلم
٣٢٧	فواتح السور في ضوء أحكام المد والقصر
٣٣٤	أحكام النون الساكنة والتنوين
٣٣٦	أحكام الميم الساكنة
٣٣٧	الغرض من الإتيان بهمزة الوصل
٣٣٨	حركة همزة الوصل في اللغة العربية
٣٣٩	حكم همزة الوصل إذا دخل عليها همزة الاستفهام
٣٤٠	خلاصة الوحدة الثالثة
٣٤٦	اختبار الوحدة الثالثة
٣٥٥	النشاط التعليمي للوحدة الثالثة
٣٦٣-٣٥٧	الفهرس